وفيات الأعيان

وأنباء أبناء الزمان

لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان
(٦٠٨ - ٦٨١ هـ)

حققه

الدكتور إحسان عباس

المجلد الخامس

دار صادر
بيروت

١٣٩٧هـ ١٩٧٧م

وفيات الأعيان

٥

٦٨١

ابن المعلم الشاعر

أبو الغنائم محمد بن علي بن فارس بن علي بن عبد الله بن الحسين بن القاسم ، المعروف بابن المعلم الواسطي الهُرثي ، الملقب نجم الدين ، الشاعر المشهور ؛ كان شاعراً رقيق الشعر لطيف حاشية الطبع ، يكاد شعره يذوب من رقته ، وهو أحد من سار[1] شعره وانتشر ذكره ونَبُه بالشعر قدره وحسن به حاله وأمره وطال في نَظْم القريض عمره وساعده على قوله زمانه ودهره ، وأكثر القول في الغزل والمدح وفنون المقاصد ، وكان سهل الألفاظ صحيح المعاني يغلب على شعره وصف الشوق والحب وذكر الصبابة والغرام ، فعلق بالقلوب ولطف مكانه عند أكثر الناس ومالوا إليه وحفظوه[2] وتداولوه بينهم واستشهد به الوعاظ واستحلاه السامعون .

سمعت جماعة من مشايخ البطائح يقولون : ما سبب لطافة شعر ابن المعلم إلا أنه كان إذا نظم قصيدة حفظها الفقراء[3] المنتسبون إلى الشيخ أحمد بن الرفاعي – المقدم ذكره في حرف الهمزة[4] – وغنوا بها في سماعاتهم وطابوا عليها، فعادت عليه بركة أنفاسهم، ورأيتهم يعتقدون ذلك اعتقاداً لا شك[5] عندهم فيه ، وبالجملة

---

٦٨١ – ترجمته في مرآة الزمان : ٤٥١ وذيل الروضتين : ٩ والوافي ٤ : ١٦٥ وعبر الذهبي ٤ : ٢٧٩ والشذرات ٤ : ٣١٠ والنجوم الزاهرة ٦ : ١٠٢ .

١ بر : شاع .

٢ ر بر : وتحفظوه .

٣ ر والمختار : الشعراء .

٤ انظر ج ١ : ١٧١ .

٥ بر من : اعتقاد من لا شك .

فشعره يشبه النوح ، ولا يسمعه مَنْ عنده أدنى هوًى إلا فتنه[1] وهاج غرامه .

وكان بين ابن المعلم المذكور وبين ابن التعاويذي المذكور قبله تنافس، وهجاه ابن التعاويذي بأبيات جيمية أجاد فيها ولا حاجة إلى ذكرها[2] .

ولابن المعلم قصيدة طويلة أولها :

ردوا عليّ شواردَ الأظعان ... ما الدار إن لم تَغْنَ من أوطاني

منها :

ولكم بذاك الجزع من متمنع ... هَزَأت معاطِفُه بغصن البان

أبدى تلونه بأولِ موعدٍ ... فَمَنِ الوفيُّ لنا بوعد ثاني

فمتى اللقاءُ ودونه من قومه ... أبناءُ معركةٍ وأُسْدُ طِعانِ

نقلوا الرماحَ وما أظنُّ أكفَّهم ... خُلقت لغير ذوابلِ المران

وتقلّدوا بيضَ السيوفِ فما ترى ... في الحيّ غيرَ مُهَنّدٍ وسِنان

ولئن صددت فمن مراقبة العدا ... ما الصدُّ عن ملَلٍ ولا سلوان

يا ساكني نعمانَ أين زمانُنا ... بطُوَيلعٍ يا ساكني نعمان

وله من أخرى[3] :

كم قلت إياك العقيق فإنه ... ضَرِيَت جآذره بصيد أسوده

وأردتَ صيدَ مَها الحجاز فلم يسا ... عدك القضاء فرُحْتَ بعض صيوده

وله من أخرى :

أجيرانَنا إن الدموع التي جرت ... رخاصاً على أيدي النوى لَغَوالي

أقيموا على الوادي ولو عمر ساعة ... كلَوْثِ إزار أو كحلّ عقال

---

١ ر ق مج بر : افتتنه ، وأثبتنا ما في بر والمختار .

٢ ديوان ابن التعاويذي : ٧٥ .

٣ سقط البيتان من بر ت س ، وقد أوردهما المؤلف من قبل في ترجمة التهامي ٣ : ٣٨٠ ونسبهما هناك للتهامي ، وهما ثابتان في ترجمة ابن المعلم في « المختار » أيضاً .

فكم ثمَّ لي من وَقفةٍ لو شَرَيتُها بنفسيَ لم أُغبن فكيف بمالي

[وله من أخرى :

كيف يخفي سر الهوى المستهام هي حزوى وما الخيام الخيام

ولئن كانت الخيام ومـا النا س بها الناس ، فالغرام الغرام][1]

وله من أخرى :

قسماً بما ضُمَّتْ عليه شفاههم من قَرْقَفٍ في لؤلؤٍ مكنونِ

إن شارف الحادي العُذَيبَ لأقضيَنْ نحبي ومن لي أن تَبَرَّ يميني

لو لم يكنْ آثارُ ليلى والهوى بتِلاعِه ما رحت كالمجنون

وكان سبب عمل هذه القصيدة أن ابن المعلم المذكور والأبله وابن التعاويذي المذكورين قبله لما وقفوا على قصيدة صرَّدُرّ – المقدم ذكره في حرف العين[2] – التي أولها[3] :

أكذا يُجازى ود كل قرينِ أم هذه شيم الظباء العِينِ

وهي من نُخَب القصائد [وسأذكرها في ترجمة عميد الملك محمد ان شاء الله تعالى][4] أعجبتهم ، فعمل ابن المعلم من وزنها هـذه القصيدة وعمل ابن التعاويذي من وزنها قصيدة أبدع فيها ، وأرسلها إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي ، رحمه الله تعالى ، وهو بالشام يمدحه بها ، وأولها :

إن كان دينك في الصبابة ديني فقِفِ المطيَّ برملتَيْ يَبْرِينِ

وعمل الأبله قصيدة أخرى ، وأحسنُ الكل قصيدة ابن التعاويذي .

---

١ زيادة من مج .

٢ انظر ج ٣ : ٣٨٥ .

٣ ديوان صردر : ٥٣ .

٤ زيادة من ر ق .

وحكي عن ابن المعلم المذكور أنه قال : كنت ببغداد ، فاجتزت يوماً بالموضع الذي يجلس فيه أبو الفرج ابن الجوزي للوعظ ، فرأيت الخلق مزدحمين، فسألت بعضهم عن سبب الزحام فقال : هذا ابن الجوزي الواعظ جالس ، ولم أكن علمت بجلوسه ، فزاحمت وتقدمت حتى شاهدته وسمعت كلامه وهو يعظ حتى قال مستشهداً على بعض إشاراته : ولقد أحسن ابن المعلم حيث يقول :

يزدادُ في مسمعي تَكْرارُ ذكركمُ طيباً ، ويحسنُ في عيني تكرُّرُهُ

فعجبت من اتفاق حضوري واستشهاده بهذا البيت من شعري ، ولم يعلم بحضوري لا هو ولا غيره من الحاضرين .

وهذا البيت من جملة قصيدة له مشهورة .

ولابن المعلم في أثناء قصيدة أيضاً :

يوهي قُوَى جَلَدي مَنْ لا أبوح به ويستبيح دمي من لا أسميه
قسا فما في لساني ما يعاتبه ضعفاً ، بلى في فؤادي ما يقاسيه

وفي يوم وقعة الجمل على البصرة ، قبل مباشرة الحرب ، أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عمه عبد الله بن العباس ، رضي الله عنهما ، إلى طلحة والزبير رضي الله عنهما برسالة يكفهما عن الشروع في القتال ، ثم قال له : لا تلقين طلحة فانك إن تلقه تجده كالثور عاقصاً أنفه يركب الصعب ، ويقول : هو الذلول ، ولكن الق الزبير ، فإنه ألين عريكة منه ، وقل له : يقول لك ابن خالك : عرفتَني بالحجاز ، وأنكرتني بالعراق ، فما عدا مما بدا ؟ وعلي ، رضي الله عنه ، أول من نطق بهذه الكلمة ، فأخذ ابن المعلم المذكور هذا الكلام وقال :

منحوه بالجزع السلام وأعرضوا بالغَوْر عنه ، فما عدا مما بدا

وهذا البيت من جملة قصيدة طويلة .

ورسالة عليّ نقلتها من كتاب « نهج البلاغة »[1] .

---

١ وفي يوم وقعة ... البلاغة : لم يرد في بر من س ت مج .

ولا حاجة إلى الإطالة بذكر فرائده مع شهرة ديوانه وكثرة وجوده بأيدي الناس .

وكانت ولادته في ليلة سابع عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسمائة. وتوفي رابع رجب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة بالهُرْث ، رحمه الله تعالى .

والهُرْثُ : بضم الهاء وسكون الراء وبعدها ثاء مثلثة ، وهي قريـة من أعمال نهر جعفر، بينها وبين واسط نحو عشرة فراسخ ، وكانت وطنه ومسكنه إلى أن توفي بها ، رحمه الله تعالى .

٦٨٢

البحراني الشاعر

أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن قائد ، الملقب موفق الدين الإربلي أصلاً ومنشأ البحراني مولداً الشاعر المشهور ؛ كان إماماً مقدماً في علـم العربية ، مفنناً [١] في أنواع الشعر ، ومن أعلم الناس بالعروض والقوافي وأحذقهم بنقد الشعر وأعرفهم بجيده من رديئه وأدقهم نظراً في اختياره . واشتغل بشيء من علوم الأوائل ، وحل كتاب إقليدس [٢] ، وبدأ ينظم الشعر وهو صبي صغير بالبحرين جرياً على عادة العرب قبل أن ينظر في الأدب .

وهو شيخ أبي البركات ابن المستوفي صاحب « تاريخ إربل » – المقدم ذكره [٣] – وعليه اشتغل بعلوم الشعر وبه تخرج، وقد ذكره في تاريخه وعدد فضائله ، وقال: كان شيخنا أبو الحرم مكي الماكسيني [٤] النحوي – وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى–

---

٦٨٢ – لم ترد ترجمته في القطعة التي بقيت من تاريخ ابن المستوفي .

١ ر ن من : متفنناً .

٢ س ت بر من : أوقليدس .

٣ ج ٤ : ١٤٧ .

٤ ت س مج بر من : الماكساني .

يراجعه في كثير من المسائل المشكلة في النحو وكان يرجع إليه في أجوبة ما يورد عليه . وكان قد رحل إلى شَهْرزُورَ وأقام بها مدة، ثم رحل إلى دمشق ومدح السلطان صلاح الدين، رحمه الله تعالى، بقصيدة طويلة، وله ديوان شعر جيد ورسائل حسنة، وكان في الشعر في طبقة معاصريه ممن تقدم ذكرهم . ومن شعره قصيدة يمدح بها زين الدين أبا المظفر يوسف بن زين الدين صاحب إربل – وقد تقدم ذكره في ترجمة أخيه مظفر الدين في حرف الكاف[1] –:

رُبَّ دارٍ بالغضا طال بلاهَا ... عكف الركب عليها فبكاها
دَرَسَت إلا بقايا أسطر ... سَمَحَ الدهر بها ثم محاها
كان لي فيها زمانٌ وانقضى ... فسقى الله زماني وسقاها
وقَفَت فيها الغوادي وقفةً ... ألصقت حرَّ ثراها بحشاها[2]
وبكت أطلالها نائبةً ... عن جفوني، أحسن الله جزاها
قل لجيرانٍ مَوَاثيقهمُ ... كلما أحكمتُهَا رَثَّتْ قواها
كنت مشغوفاً بكم إذ كنتمُ ... شجراً لا يبلغ الطير ذُرَاها
لا تبيت الليلَ إلا حولها ... حرس ترشح بالموت ظُبَاها
وإذا مُدَّتْ إلى أغصانها ... كفُّ جانٍ قطعت دون جناها
فتراخى الأمرُ حتى أصبحت ... هَمَلاً يطمع فيها من رآها[3]
تخصبُ الأرض فلا أقربها ... رائداً إلا إذا عز حماها
لا يراني الله أرعى روضةً ... سهلة الأكناف من شاء رعاها
وإذا ما طمعٌ أغرى بكم ... عرض اليأس لنفسي فثناها
فصبابات الهوى أولها ... طمعُ النفسِ وهذا منتهاها
لا تظنوا لي إليكم رجعةً ... كشف التجريبُ عن عيني عَمَاها

---

١ ج ٤ : ١١٣ .
٢ المختار وبعض النسخ: الغواني ؛ ووقع البيت ثالثاً في ت س مج .
٣ بهامش س : يراها ، وكذلك في ق بر .

إن زَيْنَ الدين أولاني يداً ۞ لم تدع لي رغبة فيما سواها

وهي طويلة أجاد في مدحها[1] .

وكان أبوه من أهل إربل وصنعته التجارة، وكان يتردد من إربل إلى البحرين ويقيم بهـــا مدة لتحصيل اللآلىء من المغاصات أسوة التجار ، فاتفق أن ولد له هناك الموفق أبو عبد الله المذكور ، ثم انتقل إلى إربل فنسب إلى البحرين لهذا السبب[2] .

وله معنى مليح في غلام اسمه السهم وقد التحى :

قالوا التحى السهمُ قلت حصِّنْ ۞ حشـــاك فـالآنَ لا يطيشْ

فالسهم لا ينفـــذ الرمـــايا ۞ إلا إذا كان فيــه ريش

وتوفي ليلة الأحد ثالث شهر ربيع الآخر[3] سنة خمس وثمانين وخمسمائة بإربل، ودفن بمقبرة أهله قبلي البَسْت، رحمه الله تعالى. قال المطرزي في كتاب «المغرب»: البست كلمة فارسية وهو مفتح الماء في فم النهر[4] .

والبَحراني: بفتح الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وفتح الراء وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى البحرين المقدم ذكرها ، وهي بُليدة بالقرب من هَجَر ، قال الأزهري : وإنما سميت البحرين لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الأحساء وقرى ، هجر بينها وبين البحر الأخضر عشرة فراسخ ، وقدرت البحيرة ثلاثة أميال في مثلها ، ولا يغيض ماؤها ، وهو راكد زُعاق . وحدث أبو عبيد عن أبي محمد اليزيدي قال: سألني المهدي وسأل الكسائي عن النسبة إلى البحرين وعن الحصنين ، لم قالوا : حصني ، وبحراني ؟ فقال الكسائي : كرهوا أن يقولوا

---

١ ن : أجاد فيها ؛ بر من : فيها وفي مدحها .

٢ زاد في مج س ت : وتردد إلى البلاد ورحل في آخر عمره إلى الموصل، وتوفي بها ليلة الأحد... الخ ، وقد سقط البيتان التاليان من النسخ المذكورة ومن بر من .

٣ ت : الأول .

٤ قال المطرزي ... النهر : زيادة من ن ر ق ؛ وانظر المغرب ١ : ٣٧ .

حصناني لاجتماع النونين ، قال : وقلت أنا : كرهوا أن يقولوا بحري فتشبه النسبة إلى البحر .

والبَسْت : بفتح الباء الموحدة وسكون السين المهملة وبعدها تاء مثناة من فوقها ، واد عريض في وسط إربل تجري فيه مياه السيول في الشتاء والربيع وفيه شيء كثير من الحجارة الصغار ، والله أعلم .

٦٨٣

أبو شجاع الفرضي

أبو شجاع محمد بن علي بن شعيب ، المعروف بابن الدهان ، الملقب فخر الدين ، البغدادي الفرضي الحاسب الأديب ؛ هو من أهل بغداد ، وانتقل إلى الموصل وصحب جمال الدين الأصبهاني الوزير بها ، ثم تحول إلى خدمة السلطان صلاح الدين فولاه ديوان ميّافارقين ، فلم يعش له بها حال مع واليها ، فدخل[1] إلى دمشق فأجريَ له بها رزق لم يكن كافياً وكان يزجي به الوقت ، ثم ارتحل إلى مصر في سنة ست وثمانين وخمسمائة ثم عاد منها إلى دمشق وجعلها دار إقامة . وله أوضاع الجداول في الفرائض وغيرها ، وصنف « غريب الحديث » في ستة عشر مجلداً لطافاً ، ورمز فيه حروفاً يستدل بها على أماكن الكلمات المطلوبة منه ، وكان قلمه أبلغ من لسانه ، وجمع تاريخاً وغير ذلك .

وذكره أبو البركات ابن المستوفي في «تاريخ إربل» وعده في زمرة الوافدين عليها ، وقال في حقه : عالم فاضل متفنن[2] ، وله شعر جيد ، وذكر الأبيات التي

---

٦٨٣ – ترجمته في ذيل الروضتين : ٩ والوافي ٤ : ١٦٤ والنجوم الزاهرة ٦ : ١٣٦ ، ١٣٩ وعبر الذهبي ٤ : ٢٧٤ والشذرات ٤ : ٣٠٤ وبغية الوعاة : ٧٦ واقتصر من هذه الترجمة في المختار على ثلاثة أبيات من شعره .

١ ن : فرحل .

٢ بر من : متقن .

مدح بها الشيخ تاج الدين أبا اليمن زيد بن الحسن الكندي ، وقد ذكرتها في ترجمة الكندي[1] .

وذكره أيضاً العماد الكاتب في «الخريدة»[2] وأثنى عليه ، وأورد له مقاطيع أحسن فيها ، فمن ذلك قوله في ابن الدهان المعروف بالناصح أبي محمد سعيد بن المبارك النحوي – وقد سبق ذكره[3] – وكان مخلا باحدى عينيه :

لا يبعد الدهان إن ابنه ... أدهنُ منه بطريقين
في عجبِ البحر[4] فحدث به ... بفردِ عَيْنٍ وبوجهين

ومنه ما كتبه إلى بعض الرؤساء وقد عوفي من مرضه :

نَذَرَ الناسُ يومَ برئك صوماً ... غير أني نذرتُ وحديَ فطرا
عالماً أن يوم بُرْئِكَ عيدٌ ... لا أرى صومه ولو كان نذرا

وله غير ذلك أناشيد حسان . وكانت له اليد الطولى في النجوم وحَلّ الأزياج . وتوفي في صفر سنة تسعين وخمسمائة بالحلة السيفية ، وكان سبب موته أنه حج من دمشق وعاد على طريق العراق ، ولما وصل إلى الحلة عثر جمله هناك فأصاب وجهه بعض خشب المحمل فمات لوقته . وكان شيخاً دميم الخلقة مسنون الوجه مسترسل اللحية خفيفها ، أبيض تعلوه صفرة ، رحمه الله تعالى . وقيل إنه كان يلقب برهان الدين ، والله أعلم أي ذلك كان .

وقد تقدم الكلام على الحلة فلا حاجة إلى إعادته .

---

١ انظر ما تقدم ٢ : ٣٤١ .

٢ الخريدة (قسم العراق) ٢ : ٣١٢ .

٣ ج ٢ : ٣٨٢ .

٤ بر من : من عجب الدهر .

٦٨٤

ابن عنين الشاعر

أبو المحاسن محمد بن نصر[١] بن الحسين بن عُنَيْن الأنصاري ، الملقب شرف الدين ، الكوفي الأصل الدمشقي المولد الشاعر المشهور ؛ كان خاتمة الشعراء لم يأت بعده مثله ، ولا كان في أواخر عصره من يقاس به ، ولم يكن شعره مع جودته مقصوراً على أسلوب واحد بل تفنن فيه ، وكان غزير المادة من الأدب مطلعاً على معظم أشعار العرب ، وبلغني أنه كان يستحضر نقل[٢] كتاب «الجمهرة» لابن دريد في اللغة ، وكان مولعاً بالهجاء وثلب أعراض الناس ، وله قصيدة طويلة جمع فيها خلقاً من رؤساء دمشق[٣] سماها « مقراض الأعراض » . وكان السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، قد نفاه من دمشق بسبب وقوعه في الناس ، فلما خرج منها عمل[٤] :

فعلامَ أبعدتمْ أخا ثقة لم يجترم[٥] ذنباً ولا سرقا ؟
انفوا المؤذّنَ من بلادكم[٦] إن كان يُنْفَى كل من صدقا

وطاف البلاد من الشام والعراق والجزيرة[٧] وأذربيجان وخراسان وغَزْنَة

---

٦٨٤ – انظر مقدمة ديوانه ، ففيها إشارات إلى أهم مصادر ترجمته ، وراجع البدر السافر ، الورقة : ١٧٠ .

١ ن ق : محمد بن نصر الله .

٢ نقل : سقطت من ق بر من .

٣ بر من : مصر .

٤ زاد في المختار : عمل هذين البيتين وأنفذهما إلى بعض أصحابه بها وهما ، وانظر ديوانه : ٩٤ .

٥ بر من : يقترف .

٦ ر : دياركم .

٧ ت س مج : والشرق ، وبهامش س : خ : والجزيرة ؛ وسقطت اللفظة من المختار .

وخوارزم وما وراء النهر ، ثم دخل الهند واليمن وملكَهَا يومئذ سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى — المذكور في حرف الطاء[1] — وأقام بها مدة ، ثم رجع الى الحجاز والديار المصرية، وعاد إلى دمشق ، وكان يتردد منها إلى البلاد ويعود إليها . ولقد رأيته بمدينة إربل في سنة ثلاث وعشرين وستمائة ولم آخذ عنه شيئاً ، وكان قد وصل إليها رسولاً عن الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق ، وأقام بها قليلاً، ثم سافر وكتب من بلاد الهند إلى أخيه وهو بدمشق هذين البيتين، والثاني منهما لأبي العلاء المعري استعمله مضمناً فكان أحق به ، وهما[2] :

ساحت كُتْبَكَ في القطيعة عالماً ... أن الصحيفةَ لم تجدْ من حامل

«وعَذَرْتُ طيفك في الجفاء لأنه ... يسري فيصبح دوننا بمراحل»[3]

لله دره فما أحسن ما وقع له هذا التضمين . وقد كرر هذا المعنى في مواضع من شعره : فمن ذلك قوله من جملة قصيدة طويلة[4] :

ألا يا نسيم الريح من تل راهط ... وروض الحمى، كيف اهتديتَ إلى الهند

وقوله من أبيات وهو في عدن اليمن :

أأحبابنا لا أسأل الطيف زورة ... وهيهات ، أين الديلميات من عدن ؟

الديلميات وتل راهط والحمى : أسماء مواضع من ضواحي دمشق ، والبيت الذي للمعري قبله[5] :

وسألتُ كم بين العقيقِ إلى الحمى ... فعجبت من بُعْدِ المدى المتطاولِ

---

١ ج ٢ : ٥٢٣ .

٢ ديوانه : ٨٦ .

٣ علق صاحب المختار بعد هذا بقوله : « قلت أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : كونه لم ينبه على أنه مضمن عيب عند أهل الأدب ، والله أعلم » .

٤ ديوانه : ٧٣ .

٥ شروح السقط : ٧٣٤ .

والمعري أخذ هذا المعنى من دِعْبل بن علي الخُزَاعي الشاعر – المقدم ذكره[1] – فإنه كان قد هجا الخليفة المعتصم بالله بن هارون الرشيد، فطلبه، فهرب من العراق إلى الديار المصرية وسكن [بأسوان][2] في آخر بلادها، وقال في ذلك[3]:

وإن امرءاً أضحت مَطارح سَهْمه ... بأسْوَانَ لم يترك من الحزم معلما
حَلَلْتُ مَحَلاً يحسرُ الطرفُ دونه ... ويعجز عنه الطيفُ أن يتجشّما

وقد خرجنا عن المقصود ولكن ساق الكلام بعضه بعضاً[4].

ولما مات السلطان صلاح الدين وملك الملك العادل دمشق كان غائباً في السفرة التي نفي فيها، فسار متوجهاً إلى دمشق، وكتب إلى الملك العادل قصيدته الرائية يستأذنه في الدخول إليها ويصف دمشق ويذكر ما قاساه في الغربة، ولقد أحسن فيها كل الإحسان واستعطفه أبلغ استعطاف[5]، وأولها[6]:

ماذا على طيف الأحبة لو سَرى ... وعليهمُ لو سامحوني بالكرى

ووصف في أوائلها دمشق وبساتينها وأنهارها ومستنزهاتها[7]، ولما فرغ من وصف دمشق قال مشيراً إلى النفي منها:

فارقْتُها لا عن رِضاً، وهَجَرْتُها ... لا عن قِلًى، ورحلْتُ لا متخيرا
أسعى لرزقٍ في البلاد مشتّتٍ ... ومن العجائب أن يكون مُقَتّرا
وأصون وَجْهَ مدائحي متقنّعاً ... وأكفُّ ذيل مطامعي متسترا

---

١ ج ٢ : ٢٦٦ .
٢ زيادة من المختار .
٣ ديوان دعبل : ١٣٩ .
٤ وقد كرر ... بعضاً : سقط من بر ت س من .
٥ من ر ق بر : الاستعطاف .
٦ ديوانه : ٣ .
٧ بر : وموضع مستنزهاتها .

ومنها يشكو الغربة وما قاساه فيها :

أشكو إليك نوًى تمادى عُمْرُها حتى حَسِبْتُ اليومَ منها أشهرا
لا عيشتي تصفُو ، ولا رَسْمُ الهوى يعفو ، ولا جَفْني يصافحه الكرى
أضحي عن الأحوى المَريع محلأً[1] وأبيت عن ورد النمير مُنفَّرا
ومن العجائب أن يُقيِّلَ ظلكم[2] كل الورى ، ونبذت وحدي بالعَرا

وهذه القصيدة من أحسن الشعر ، وعندي هي خير من قصيدة أبي بكر ابن عمار الأندلسي التي أولها — وهي على وزنها ورويها وقد تقدم ذكر شيء منها في ترجمته — :

أدِرِ الزجاجةَ فالنسيم قد انبَرى

فلما وقف عليها الملك العادل أذن له في الدخول إلى دمشق، فلما دخلها قال[3]:

هجوتُ الأكابرَ في جِلّقٍ ورُعْتُ الوضيعَ بسبِّ الرفيعِ
وأُخرجتُ منها ولكنني رجَعْتُ على رغم أنف الجميع

وكان له في عمل الألغاز وحلها اليد الطولى ، فمتى كتب إليه بشيء منها حله في وقته وكتب الجواب أحسن من السؤال[4] نظماً . ولم يكن له غرض في جمع شعره ، فلذلك لم يدونه ، فهو يوجد مقاطيع في أيدي الناس، وقد جمع له بعض أهل دمشق ديواناً صغيراً لا يبلغ عُشْر ما له من النظم ، ومع هذا ففيه أشياء ليست له .

وكان من أظرف الناس وأخفهم روحاً وأحسنهم مجوناً ، وله بيت عجيب من جملة قصيدة يذكر فيها أسفاره ويصف توجهه إلى جهة الشرق ، وهو[5] :

1 ق ن : محولا ، ر : محللا .
2 ق : يقيل بظلكم .
3 ديوانه : ٩٤ .
4 ر : أحسن ما يكون .
5 ر : وهو قوله ، انظر ديوانه : ٢٩ .

أُشقّقُ قلب الشرق حتى كأنني أفتّش في سَوْدائه عن سَنا الفجر

وبالجملة فمحاسن شعره كثيرة .

وكنت قد رأيته في المنام في بعض شهور سنة تسع وأربعين وستمائة ، وأنا يوم ذاك بالقاهرة المحروسة ، وفي يده ورقة حمراء ، وهي عريضة ، وفيها مقدار خمسة عشر بيتاً تقريباً ، وهو يقول : عملت هذه الأبيات في الملك المظفر صاحب حَمَاة، وكان الملك المظفر في ذلك الوقت ميتاً أيضاً ، وكان في المجلس جماعة حاضرون ، فقرأ علينا الأبيات ، فأعجبني منها بيت فرددته في النوم ، واستيقظت من المنام وقد علق بخاطري ، وهو :

والبيت لا يَحْسُنُ[1] إنشاده إلا إذا أحْسَنَ مَنْ شادَهُ

وهذا البيت غير موجود في شعره .

وقد تقدم ذكره في ترجمة الإمام فخر الدين الرازي وأبياته الفائية وكذلك في ترجمة سيف الإسلام .

وكان وافر الحرمة عند الملوك ، وتولى الوزارة بدمشق في آخر دولة الملك المعظم ومدة ولاية الملك الناصر ابن المعظم ، وانفصل عنها لما ملكها الملك الأشرف وأقام في بيته ، ولم يباشر بعدها خدمة . وكانت ولادته بدمشق يوم الاثنين تاسع شعبان سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، وتوفي عشية نهار الاثنين لعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وستمائة بدمشق أيضاً ، ودفن من الغد بمسجده الذي أنشأه بأرض المزة ، وهي – بكسر الميم وتشديد الزاي – قرية على باب دمشق ، رحمه الله تعالى .

قال ابن الدبيثي : سمعته يقول : إن أصلنا من الكوفة من موضع يعرف بمسجد بني النجار ، ونحن من الأنصار ؛ قلت : هكذا نقلته أولاً ، ثم إني زرت قبر بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقابر باب الصغير ظاهر دمشق ، فلما خرجت من تربته وجدت على الباب قبراً كبيراً فقيل لي : هذا قبر ابن عُنَين ، فوقفت وترحمتُ عليه .

١ ق : يصلح .

وعُنَيْن : بضم العين المهملة وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، والله أعلم .

٦٨٥

القائم ابن المهدي

أبو القاسم محمد ، ويدعى نزار ، ابن المهدي أبي محمد عبيد الله القائم بالمغرب، كان أبو القاسم المذكور يلقب بالقائم – وقد تقدم ذكر والده المهدي في حرف العين وذكر ولده المنصور إسماعيل في حرف الهمزة[1] – وكان أبوه المهدي قد بايع له بولاية العهد في حياته بإفريقية وما معها ، وكانت الكتب تكتب باسمه، والمظلة تحمل على رأسه ، ولما توفي أبوه في التاريخ المذكور في ترجمته جُدِّدت له البيعة . وكان جهزه أبوه إلى مصر ليأخذها مرتين : المرة الأولى في الثامن عشر من ذي الحجة سنة إحدى وثلثمائة ، فوصل إلى الإسكندرية وملكها[2] والفيوم ، وصار في يده أكثر خراج مصر ، وضيق على أهلها ، والمرة الثانية وصل إلى الإسكندرية في شهر ربيع الأول سنة سبع وثلثمائة في عسكر عظيم ، فخرج عامل الإمام المقتدر عنها ودخلها القائم المذكور ، ثم خرج إلى الجيزة في خلق عظيم ووردت الأخبار بذلك إلى بغداد ، فجهز المقتدر مؤنساً الخادم إلى محاربته بالرجال والأموال ، فجدّ في السير ، فلما وصل إلى مصر كان القائم قد ملك الجيزة والأشمونين وأكثر بلاد الصعيد ، فتلاقيا ، وجرت[3] بين العسكرين

---

٦٨٥ – أخباره في تاريخ ابن الأثير (ج : ٨) والبيان المغرب (ج : ١) وأعمال الأعلام ٣ : ٥٣ والدرة المضية : ١١٠ واتعاظ الحنفا ورسالة افتتاح الدعوة وعيون الأخبار للداعي إسماعيل وغير ذلك ؛ وسقطت هذه الترجمة من المختار .

١ انظر ج ٣ : ١١٧ ، ج ١ : ٢٣٤ .

٢ ر : وتملكها ؛ ق : فملكها .

٣ ن ر ق : وجرى .

حروب لا توصف ، ووقع في عسكر القائم الوباء والغلاء فمات الناسُ والخيل ، فرجع إلى إفريقية وتبعه عسكر مصر إلى أن تباعد عنهم[1] ، وكان وصوله إلى المهدية يوم الثلاثاء الثالث من رجب من السنة المذكورة ، وفي أيامه خرج أبو يزيد مخلد بن كيداد[2] الخارجي – وقد تقدم ذكره وما جرى له وكيف مات في الأسر في ترجمة المنصور – والشرح في ذلك يطول .

وكانت ولادة القائم بمدينة سلمية – المذكورة في ترجمة والده المهدي – في المحرم سنة ثمانين ، وقيل سنة اثنتين وثمانين ، وقيل سبع وسبعين ومائتين ، واستصحبه والده معه عند توجهه إلى بلاد المغرب ؛ وتوفي يوم الأحد ثالث عشر شوّال سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى بالمهدية وأبو يزيد الخارجي محاصر له ، فقام بالأمر ولده المنصور إسماعيل ، وكتم خبر موته خوفاً من الخارجي أن يطلع عليه فيطمع فيه ، وكان بالقرب منه على مدينة سوسة ، فأبقى الأمور على حالها وأكثر من العطايا والصلات ولم يتسمّ بالخليفة ، وكانت كتبه تنفذ من الأمير إسماعيل ولي عهد المسلمين ، والله أعلم .

---

١ بدله في مج : فلقيه بالفيوم فهزمه وقتل عسكره وقيل ان عدد القتلى كان خمسين ألفاً ، والأرض التي كانت الوقعة فيها تعرف إلى الآن بأرض الخمسين ، فرجع إلى إفريقية وتبعه عسكر مصر إلى أن تباعد عنهم .

٢ بر من : كنداد ؛ ر : كيدار ؛ ن : كندار .

٦٨٦

المعتمد بن عباد ملك الأندلس وأبوه وجده

المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله أبي عمرو عبّاد بن الظافر المؤيد بالله أبي القاسم محمد قاضي إشبيلية بن أبي الوليد إسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطاف بن نعيم ، اللخمي ، من ولد النعمان ابن المنذر اللخمي آخر[1] ملوك الحيرة ؛ كان المعتمد المذكور صاحب قرطبة وإشبيلية وما والاهما من جزيرة الأندلس وفيه وفي أبيه المعتضد يقول بعض الشعراء[2] :

من بني المنذرين وَهْوَ انتساب ... زاد في فخره بنو عَبادِ
فتيةٌ لم تَلِدْ سواها المعالي ... والمعالي قليلةُ الأولاد

وكان بدء أمرهم في بلاد الأندلس أن نعيماً وابنه عطافاً أول من دخل إليها من بلاد المشرق ، وهما من أهل العريش ، المدينة القديمة الفاصلة بين الشام والديار المصرية في أول الرمل من جهة الشام ، وأقاما بها مستوطنين بقرية بقرب يومين[3] من إقليم طشانه[4] من أرض إشبيلية .

---

٦٨٦ – ترجمته في الذخيرة (القسم الثالث) : ١٤ والمعجب : ١٥٨ والقلائد : ٤٠ والحلة السيراء ٢ : ٥٢ وأعمال الأعلام : ١٥٧ والبيان المغرب ٣ : ٢٥٧ والوافي ٣ : ١٨٣ والشذرات ٣ : ٢٨٦ وعبر الذهبي ٣ : ٣٢١ ونفح الطيب (صفحات متفرقة) وقد جمع دوزي كثيراً مما ورد في المصادر في مجموع سماه « تاريخ بني عباد Historia Abbadidorum » (ليدن : ١٨٤٦) .

١ ن ر ق : أحد .

٢ نسب ابن الأبار هذين البيتين لابن اللبانة (الحلة ٢ : ٣٥) .

٣ يرجح دوزي أن هناك قرية تسمى Toriomina وأن اسمها الكامل بالعربية طور يومين ؛ وفي بعض النسخ : تومين ، وفي مج غير معجمة .

٤ طشانة Tocina لا تزال معروفة بمنطقة اشبيلية .

(204) وامتد لعطاف عمود النسب في الولد إلى الظافر محمد بن إسماعيل القاضي، فهو أول من نبغ منهم في تلك البلاد وتقدم باشبيلية إلى أن ولي القضاء بها فأحسن السياسة مع الرعية والملاطفة بهم، فرمقته القلوب، وكان يحيى بن علي بن حمّود الحسني المنعوت[1] بالمعتلي صاحب قرطبة، وكان مذموم السيرة، فتوجه إلى إشبيلية محاصراً لها، فلما نزل عليها اجتمع رؤساء إشبيلية وأعيانها وأتوا القاضي محمداً المذكور وقالوا له: أما ترى ما حل بنا من هذا الظالم وما أفسد من أموال الناس؟ فقم بنا نخرج إليه ونملّكك ونجعل الأمر إليك، ففعل، ووثبوا على يحيى، فركب إليهم وهو سكران فقتل.

وتم له الأمر ثم ملك بعد ذلك قرطبة وغيرها من البلاد. وقصته مشهورة مع الذي زعم أنه هشام بن الحكم آخر ملوك بني أمية بالأندلس الذي كان المنصور ابن أبي عامر قد استولى عليه وحَجَبه عن الناس، وكان يصدر الأمور عن إشارته، ولا يمكنه من التصرف، وليس له سوى الاسم والخطبة على المنابر، فإنه كان قد انقطع خبره مدة نيف وعشرين سنة، وجرت أحوال مختلفة في هذه المدة، ثم قيل للقاضي محمد المذكور بعد تملكه واستيلائه على البلاد: إن هشام بن الحكم في مسجد بقَلَعة رباح، فأرسل إليه من أحضره، وفوّض الأمر إليه، وجعل نفسه كالوزير بين يديه، وفي هذه الواقعة يقول الحافظ أبو محمد ابن حزم الظاهري في كتاب «نقط العروس»: أخلوقة لم يقع في الدهر مثلها فإنه ظهر رجل يقال له خلف الحصري[2] بعد نيف وعشرين سنة من موت هشام ابن الحكم المنعوت بالمؤيد وادعى أنه هشام، فبويع وخطب له على جميع منابر الأندلس في أوقات شتى، وسفك الدماء وتصادمت الجيوش في أمره، وأقام المدّعي أنه هشام نيفاً وعشرين سنة، والقاضي محمد بن إسماعيل في رتبة الوزير بين يديه، والأمر إليه، ولم يزل الأمر كذلك إلى أن توفي المدعو هشاماً، فاستبد القاضي محمد بالأمر بعده. وكان من أهل العلم والأدب والمعرفة التامة بتدبير الدول، ولم يزل ملكاً مستقلاً إلى ان توفي ليلة الأحد لليلة بقيت من جمادى

---

١ ن ر ق : المعروف .

٢ ق ر ن : الخضري .

الأولى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ؛وقيل إنه عاش إلى قريب الخمسين وأربعمائة ودفن بقصر إشبيلية ، واختلفوا أيضاً في مبدإ استيلائه : فقيل سنة أربع عشرة وأربعمائة ، وهو الذي ذكره العماد الكاتب في « الخريدة » ، وقيل أربع وعشرين ، والله أعلم بالصواب في ذلك كله .

(205) ولما مات محمد القاضي قام مقامه ولده المعتضد بالله أبو عمرو عَبّاد ، قال أبو الحسن علي بن بَسّام صاحب كتاب « الذخيرة » في حقه : ثم أفضى الأمر إلى عبّاد سنة ثلاث وثلاثين ، وتسمى أولاً بفخر الدولة ثم بالمعتضد، قطب رَحى الفتنة ، ومنتهى غاية المحنة ، من رجل لم يثبت له قائم ولا حصيد ، ولا سلم منه قريب ولا بعيد ، جبار أبرم الأمر وهو متناقض ، وأسدٌ فَرَسَ الطلا وهو رابض ، متهور تتحاماه الدهاة ، وجَبان لا تأمنه الكُماة ، متعسّف اهتدى ، ومُنبَتّ قطع فما أبقى ، ثار والناس حرب وضبط شأنه بين قائم وقاعد ، حتى طالت يده واتسع بلده وكثر عديده وعدده، وكان قد أوتي أيضاً من جمال الصورة وتمام الخلقة وفخامة الهيئة وسَباطة البنان وثقوب الذهن وحضور الخاطر وصدق الحس ، ما فاق على نظرائه ، ونظر مع ذلك في الأدب قبل ميل الهوى به إلى طلب السلطان أدنى نظر بأزكى طبع حصل منه لثقوب ذهنه على قطعة وافرة علقها من غير تعمُّد لها ولا إمعان في غمارها ولا إكثار من مُطالعتها ولا منافسة في اقتناء صحائفها ، أعطته سجيته على ذلك ما شاء من تحبير الكلام وقرض قطع من الشعر ذات طلاوة في معان أمدته فيها الطبيعة، وبلغ فيها الإرادة ، واكتتبها الأدباء للبراعة ، جمع هذه الخلال الظاهرة إلى جود كفّ بارى السحاب بها . وأخبار المعتضد في جميع أفعاله وضروب أنحائه غريبة بديعة . وكان ذا كلف بالنساء فاستوسع في اتخاذهن وخلط في جنوسهنّ، فانتهى في ذلك إلى مَدًى لم يبلغه أحد من نظرائه ، ففشا نسله لتوسعه في النكاح وقوته عليه ، فذكر أنه كان له من الولد نحو العشرين ذكوراً ، ومن الإناث مثلهم . وأورد له عدة مقاطيع ، فمن ذلك قوله :

شربنا وجفن الليل يغسل كحله ... بماءِ صباحٍ والنسيمُ رقيقُ
مُعتّقة كالتبر أما نجارها ... فضَخْم وأما جِسْمُها فدقيقُ

– وقد تقدم في ترجمة أبي بكر محمد بن عمار الأندلسي ذكر شيء من قصيدتيه اللتين مدح المعتضد المذكور بهما : إحداهما رائية والأخرى ميمية[1] –.
ولولده المعتمد فيه من جملة أبيات :

سَمَيْدَعٍ يَهَبُ الآلافَ مبتدئاً ويَسْتَقِلُّ عطاياه ويعتذرُ
له يدٌ كلُّ جبارٍ يُقَبِّلها لولا نَداها لقلنا إنها الحَجَرُ

ولم يزل في عز سلطانه واغتنام مَساره ، حتى أصابته علة الذبحة ، فلم تطل مدتها ، ولما أحس بتداني حِمامه استدعى مغنياً يغنيه ليجعل ما يبدأ به فألاً فأول ما غنى :

نَطْوي الليالي علماً أنْ سَتَطوينا فشَعْشعيها بماءِ المزن واسقينا

فتطيَّر من ذلك ولم يعش بعده سوى خمسة أيام [وقيل إنه ما غنى منها إلا بخمسة أبيات][2] وتوفي يوم الاثنين غرة جمادى الآخرة سنة إحدى وستين واربعمائة ، ودفن ثاني يوم بمدينة إشبيلية ، رحمه الله تعالى .
وقام بالملكة بعده ولده **المعتمد على الله أبو القاسم محمد** .
قال أبو الحسن علي بن القطّاع السعدي – المقدم ذكره[3] – في كتاب « لمح الملح » في حق المعتمد المذكور[4] : أندى[5] ملوك الأندلس راحة ، وأرحبهم ساحة ، وأعظمهم ثماداً ، وأرفعهم عماداً ، ولذلك كانت حَضْرته مَلقى الرحال ، وموسم الشعراء ، وقِبلة الآمال ، ومألف الفضلاء ، حتى إنه لم يجتمع بباب أحد من ملوك عصره من أعيان الشعراء وأفاضل الأدباء ما كان يجتمع ببابه ، وتشتمل عليه حاشيتا جنابه .

---

١ انظر ٤ : ٤٢٦ – ٤٢٧ .
٢ لم يرد في النسخ الخطية .
٣ ج ٣ : ٣٢٢ .
٤ انظر النفح ٤ : ٣٧٢ .
٥ ر ن : هو أسمح .

وقال ابن بسام في « الذخيرة »: وللمعتمد بن عبّاد شعر كما انشق الكِمام عن الزهر، لو صدر[1] مثله عمن جعل الشعر صناعة واتخذه بضاعة، لكان رائقاً معجباً ونادراً مستغرباً ، فمن ذلك قوله[2] :

أكْثَرْتَ هجرَكَ غير أنك ربما عطفَتْكَ أحياناً عليَّ أمورُ
فكأنما زَمَنُ التَّهاجر بيننا ليلٌ وساعاتُ الوصالِ بدورُ

وهذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم من جملة أبيات :

أسْفَرَ ضوءُ الصبح عن وَجْهه فقام خالُ الخدِّ فيه بلال
كأنما الخالُ على خدِّه ساعَةُ هجرٍ في زمان الوصال

وعزم المعتمد على إرسال حظاياه من قرطبة إلى إشبيلية ، فخرج معهن يشيعهن[3] فسايرهن من أول الليل إلى الصبح ، فودعهن ورجع وأنشد أبياتاً من جملتها[4] :

سايرتهم والليل غُفْلٌ ثوبه حتى تبدى للنواظر معلما
فوقفت ثَمَّ مودعاً وتسلمَتْ مني يد الإصباح تلك الأنجما

وهذا المعنى في نهاية الحسن . وله في وداعهن أيضاً[5] :

ولما وَقفنا للوَداع غُدَيَّةً وقد خَفَقَتْ في ساحة القصر راياتُ
بكينا دماً حتى كأن عيوننا بِجرْي الدموعِ الحمرِ منها جراحات

وهذا ينظر إلى قول القائل :

بكيت دماً حتى لقد قال قائلٌ أهذا الفتى من جفن عينيه يُرْعَفُ

---

١ بر من : صار .
٢ ديوانه : ١٣ .
٣ ن : ليشيعهن ؛ المختار : يودعهن .
٤ هذه القطعة في ديوانه : ٢٦ والمسالك ١٠ : ٣٩٧ .
٥ ديوانه : ٤ .

وقد سبق في شعر الأبيوردي نظيره .

ومن شعره أيضاً[1] :

لولا عيونٌ من الواشين ترمقني وما أحاذره من قول حراسِ
لزرتكم لا أكافيكم بجفوتكم مشياً على الوجه أو سعياً على الراس

وكتب إلى ندماه من قصره بقرطبة وقد اصطبحوا بالزهراء يدعوهم إلى الاغتباق عنده[2] :

حسد القصرُ فيكم الزهراءَ ولعمري وعَمْركم ما أساءَ
قد طلعتمْ بها شموساً نهاراً فاطلعوا عندنا بدوراً مساءَ

وهذا من بديع المعاني العجيبة .

والزهراء : بفتح الزاي وسكون الهاء وفتح الراء وبعدها همزة ممدودة، وهي من عجائب أبنية الدنيا ، أنشأها أبو المطرّف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب الناصر أحد ملوك بني أمية بالأندلس ، بالقرب من قرطبة ، في أول سنة خمس وعشرين وثلثمائة ، ومسافة ما بينهما أربعة أميال وثلثا ميل ، وطول الزهراء من الشرق إلى الغرب ألفان وسبعمائة ذراع ، وعرضها من القبلة إلى الجنوب ألف وخمسمائة ذراع ، وعدد السواري التي فيها أربعة آلاف سارية وثلثمائة سارية ، وعدد أبوابها يزيد على خمسة عشر ألف باب[3] . وكان الناصر يقسم جباية البلاد أثلاثاً ، فثلث للجند وثلث مدخر وثلث ينفقه على عمارة الزهراء ، وكانت جباية الأندلس يومئذ خمسة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ، ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستون ألف دينار ، وهي من أهول ما بناه الإنس وأجله خطراً وأعظمه شأناً ، ذكر ذلك كله ابن بَشْكُوال – المقدم ذكره في حرف الخاء[4] – في « تاريخ الأندلس » .

١ ديوانه : ٥٨ والمسالك ١٠ : ٣٩٧ .
٢ ديوانه : ٤٩ .
٣ كذا في جميع النسخ .
٤ ج ٢ : ٢٤٠ .

وكان أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني الشاعر المشهور مائلاً إلى بني عباد بطبعه ، إذ كان المعتمد الذي جذب بضَبْعه ، وله فيه المدائح الأنيقة ، فمن ذلك قصيدة يمدحه بها ويذكر أولاده الأربعة وهم : الرشيد عبيد الله ، والراضي يزيد والمأمون والمؤتمن[1] ، ومن جملتها قوله ، ولقد أجاد فيه كل الإجادة وأبدع فيه[2] :

يَغيثك في محل ، يُغنيك في ردًى يروعك في درع ، يروقك في بردِ
جمالٌ وإجمالٌ وسبق وصَولة كشمس الضحى كالمزن كالبرق كالرعد
بمهجته شاد العلا ثم زادها بناءً بأبناءٍ جحاجحة لدٌّ
بأربعةٍ مثلِ الطباع تركبوا لتعديل جسم المجد والشرف العِدّ

ومع هذه المكارم والإحسان العام لم يسلموا من لسان طاعن ، وفيهم يقول أبو الحسن جعفر بن إبراهيم بن الحاج اللورقي[3] :

تعزَّ عن الدنيا ومعروف أهلها إذا عدم المعروف في آل عبَّادِ
حللتُ بهم ضيفاً ثلاثة أشهر بغير قرى ثم ارتحلت بلا زاد

وكان الأذفونش فرذلند ملك الإفرنج بالأندلس قد قوي أمره في ذلك الوقت ، وكانت ملوك الطوائف من المسلمين هنالك يصالحونه ، ويؤدون إليه ضريبة ، ثم إنه أخذ طليطلة في يوم الثلاثاء مستهلّ صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة بعد حصار شديد ، وكانت للقادر بالله بن ذي النون ، وفي أخذها يقول أبو محمد عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي ، يعرف بابن العسال الطليطلي ، وهو مذكور في « الصلة » لابن بشكوال[4] :

١ ن : والمأمول والمؤمل ؛ ق ر : والمأمون والمؤمل .
٢ كل الاجادة وابدع فيه : سقط من ت س بر من .
٣ النفح ٤ : ٢٢٦ ؛ وفي ن : جعفر بن محمد بن إبراهيم .
٤ الصلة : ٢٧٦ (وتوفي سنة ٤٨٧) ؛ س بر : عزلون ؛ ق:غزنون؛ المختار : غرنون، ن: عرنون ، دون اعجام ؛ وفي س : الغسال . وقد وردت هذه الأبيات في عدة مصادر أندلسية ، انظر النفح ٤ : ٣٥٢ .

حثوا رَواحلكم يا أهل أندلس فما المقـام بها إلا من الغلطِ
السلك ينثر من أطرافه وأرى سلك الجزيرة منثوراً من الوسط
من جاور الشر لم يأمنْ عواقبهُ كيف الحياة مع الحيات في سَفَط

وكان المعتمد بن عباد أكبر ملوك الطوائف وأكثرهم بلاداً . وكان يؤدي الضريبة للأذفونش، فلما ملك طليطلة لم يقبل ضريبة المعتمد طمعاً في أخذ بلاده، وأرسل إليه يتهدده ويقول له : تنزل عن الحصون التي بيدك ويكون لك السهل[1]، فضرب المعتمد الرسول وقتل من كان معه ، فبلغ الخبر للأذفونش وهو متوجه لحصار قرطبة فرجع إلى طليطلة لأخذ آلات الحصار .

فلما سمع مشايخ الإسلام وفقهاؤها بذلك اجتمعوا وقالوا : هذه مدن الإسلام قد تغلب عليها الفرنج ، وملوكنا مشتغلون بمقاتلة بعضهم بعضاً ، وإن استمرت الحال ملك الفرنج جميع البلاد ، وجاءوا إلى القاضي عبيد الله بن محمد بن أدهم[2] وفاوضوه فيما نزل بالمسلمين وتشاوروا فيما يفعلونه ، فقال كل واحد منهم شيئاً ، وآخر ما اجتمع[3] رأيهم عليه أن يكتبوا إلى أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ملك الملثمين[4] صاحب مراكش يستنجدونه — وسيأتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى . فاجتمع القاضي بالمعتمد وأخبره بما جرى ، فوافقهم على أنه مصلحة وقال له تمضي إليه بنفسك ، فامتنع فألزمه بذلك ، فقال : أستخير الله سبحانه، وخرج من عنده، وكتب للوقت كتاباً إلى يوسف بن تاشفين يخبره بصورة الحال، وسيره مع بعض عبيده إليه ، فلما وصله خرج مسرعاً إلى مدينة سَبْتة ، وخرج القاضي ومعه جماعة إلى سبتة للقائه وإعلامه بحال المسلمين فأمر بعبور عسكره

١ مج : وتكون ملك السهل .
٢ فيما عدا ن ق : عبد الله ، وانظر الصلة : ٢٩٣ ؛ وكنيته أبو بكر ، كان قاضي الجماعة بقرطبة استقضاه المعتمد سنة ٤٦٨ وكان قد نظر قبل ذلك في أحكام المظالم وشوور في الأحكام وتوفي سنة ٤٨٦ ؛ قلت : وفي مج فوق لفظة أدهم : (خ : ابراهيم) .
٣ بر ن من : أجمع ؛ ت : أجمعوا .
٤ ر : المسلمين .

إلى الجزيرة الخضراء ، وهي مدينة في بر الأندلس ، وأقام بسبتة ، وهي في بر مراكش مقابلة الجزيرة الخضراء ، وسيّر إلى مراكش يستدعي من تخلف بها من جيشه ، فلما تكاملوا عنده أمرهم بالعبور ، وعبر آخِرَهم وهو في عشرة آلاف مقاتل ، واجتمع بالمعتمد وقد جمع أيضاً عساكره ، وتسامع المسلمون بذلك ، فخرجوا من كل البلاد طلباً للجهاد ، وبلغ الأذفونش الخبر وهو بطليطلة ، فخرج في أربعين ألف فارس غير ما انضم إليه ، وكتب الأذفونش إلى الأمير يوسف كتاباً يتهدده ، وأطال الكتاب ، فكتب يوسف الجواب في ظهره : « الذي يكون ستراه » ورده إليه . فلما وقف عليه ارتاع لذلك وقال : هـذا رجل عـازم .

ثم سار الجيشان والتَقيا في مكان يقال له الزّلاّقة من بلد بَطَلْيَوسَ وتصافا[1]، وانتصر المسلمون وهرب الأذفونش بعد استئصال عساكره ولم يسلم معه سوى نفر يسير ، وذلك يوم الجمعة في العشر الأول من شهر رمضان المعظم سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، كذا قـال بعضهم ، والصحيح أن هـذه الوقعة[2] كانت في منتصف رجب من السنة المذكورة ، وهذا العام يؤرخ به في بلاد الأندلس كلها فيقال عام الزلاقة ، وهـذه الواقعة من أشهر الوقائع . وثبت المعتمد في ذلك اليوم ثباتاً عظيماً ، وأصابه عدة جراحات في وجهه وبدنه ، وشُهد له بالشجاعة ، وغنم المسلمون دوابهم وسلاحهم ، ورجع الأمير يوسف إلى بلاده والمعتمد إلى بـلاده .

ثم إن الأمير يوسف عاد إلى الأندلس في العام الثاني وخرج إليه المعتمد ، وحاصرا بعض حصون الفرنج[3] ، فلم يقدرا عليه ، فرحلا عنه وعبر يوسف على[4] غَرْناطة ، فخرج إليه صاحبها عبد الله بن بُلُكّين ثم دخل البلد ليخرج إليه التقادم ، فغدر به يوسف ودخل البلد وأخرج عبد الله ودخل قصره فوجد فيه

---

١ ق : فتصافا فانتصر .

٢ ق : الواقعة .

٣ هو حصن لييط .

٤ ق : ودخل إلى .

من الأموال والذخائر ما لا يحد ولا يحصى . ثم رجع إلى مراكش وقد أعجبه حسن بلاد الأندلس وبهجتها وما بها من المباني والبساتين والمطاعم وسائر أصناف الأموال التي لا توجد في مراكش ، فإنها بلاد بربر وأجلاف العربان[1] ، وجعل خواص الأمير يوسف يعظمون عنده بلاد الأندلس ويحسنون له أخذها ، ويغرون قلبه على المعتمد بأشياء نقلوها عنه فتغير عليه وقصده ، فلما انتهى إلى سَبْتة جهز إليه العساكر وقدم عليها سير[2] بن أبي بكر الأندلسي ، فوصل إلى إشبيلية وبها المعتمد فحاصره أشد محاصرة ، وظهر من مصابرة المعتمد وشدة بأسه وترامية على الموت بنفسه ما لم يسمع بمثله ، والناس بالبلد قد استولى عليهم الفزع وخامرهم الجزع يقطعون سبلها سباحة ويخوضون نهرها سباحة ويترامون من شرفات الأسوار . فلما كان يوم الأحد العشرين من رجب سنة أربع وثمانين وأربعمائة هجم عسكر الأمير يوسف البلد وشنوا فيه الغارات ، ولم يتركوا لأحد شيئاً ، وخرج الناس من منازلهم يسترون عوراتهم بأيديهم ، وقبض على المعتمد وأهله ، وكان قد قتل له ولدان قبل ذلك ، أحدهما : المأمون ، وكان ينوب عن والده في قرطبة فحصروه بها إلى أن أخذوه وقتلوه ، والثاني الراضي ، كان أيضاً نائباً عن أبيه في رُندة[3] ، وهي من الحصون المنيعة فنازلوها وأخذوها وقتلوا الراضي ، ولأبيهما المعتمد فيهما مراث كثيرة[4] .

وبعد ذلك جرى بإشبيلية على المعتمد ما ذكرناه . ولما أخذ المعتمد قيدوه من ساعته ، وجعل مع أهله في سفينة ، قال ابن خاقان في « قلائد العقيان » في هذا الموضع[5] : ثم جمع هو وأهله وحملتهم الجواري المنشآت ، وضمتهم[6] كأنهم أموات ، بعدما ضاق عنهم القصر ، وراق منهم العصر ، والناس قد حشروا

---

١ المختار : وأحلاف الغربان .

٢ ن ر والمختار : شير .

٣ بر س ن ت ق من : روندة ؛ ر : رنوذة ، مج : رويله .

٤ س ت بر من : مرات عديدة ، وسقطت « عديدة » من ر .

٥ قلائد العقيان : ٢٣ .

٦ القلائد : وضمنتهم جوانحها .

بضفتي الوادي ، يبكون بدموع الغوادي[1] ، فساروا والنوح يحدوهم ، والبوح باللوعة لا يعدوهم ، وفي ذلك يقول أبو بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة :

تبكي السماء بدمع رائح غادي   على البهاليل من أبناء عباد

ومن جملتها :

يا ضيف أقفر بيتُ المكرمات فخذ   في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد

وهي قصيدة طويلة لا حاجة إلى ذكرها . وفي هذه الحال وصفتها يقول أبو محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلي الشاعر المشهور – المقدم ذكره[2] :

ولما رحلتم بالندى في أكفكم   وقُلقل رَضْوى منكم وثَبيرُ
رفعت لساني بالقيامة قد دنت   فهذي الجبال الراسيات تسير

وهي أبيات كثيرة ، وهذا المعنى مأخوذ من قول عبد الله بن المعتز في أبي العباس أحمد بن محمد بن الفرات الوزير وقد مات[3] :

قد استوى الناس ومات الكمالْ   وصاح[4] صرف الدهر أين الرجالْ
هذا أبو العبـــاس في نعشه   قوموا انظروا كيف تسير الجبالْ

وقيل إنه أنشدها لما مات الوزير أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب ، والله أعلم بالصواب ، ثم وجدت القول الثاني هو الصحيح ، والله أعلم .

وتألم المعتمد يوماً من قيده وضيقه وثقله فأنشد[5] :

---

١ القلائد : كالغوادي .

٢ انظر ج ٣ : ٢١٢ وديوانه : ٢٦٨ .

٣ ورد هذا من قبل في ترجمة ابن حمديس ٣ : ٢١٤ وذكر هنالك أن ابن المعتز رثى الوزير أبا القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب .

٤ ن ق : وقال .

٥ ديوان المعتمد : ٩٤ .

تبدلت من ظل عزّ البنودِ   بذل الحديد وثقـــل القيودِ
وكان حديدي سناناً ذليقاً   وعضباً رقيقاً صقيل الحديد
وقد صار ذاك وذا أدهمـــا   يعض بساقـَيّ عض الأسود

ثم إنهم حُملوا إلى الأمير يوسف بمراكش ، فأمر بإرسال المعتمد إلى مدينة أغمات ، واعتقله بها ولم يخرج منها إلى الممات ، قال ابن خاقان[1] : ولما أجلي[2] عن بلاده ، وأعري من طارفه وتلاده ، وحمل في السفين ، وأحل في العُدْوة محل الدفين ، تندبه منابره وأعواده ، ولا يدنو منه زُوّاره ولا عُوّاده ، بقي آسفاً تتصعد زفراته، وتطرد اطراد المذانب عبراته، ولا يخلو بمؤانس، ولا يَرى إلا عريناً[3] بدلاً من تلك المكانس، ولما لم يجد سلوّاً ولم يؤمل دنوّاً ، ولم ير وجه مسَرّة مجلوّاً ، تذكر منازله فشاقته، وتصور بهجتها فراقته ، وتخيل استيحاش أوطانه ، وإجهاش قصره إلى قـُطـّانه ، وإظلام جوه[4] من أقماره ، وخلوه من حراسه وسماره . وفي اعتقاله يقول أبو بكر الداني المذكور قصيدته المشهورة التي أولها :

لكلّ شيءٍ من الأشياء ميقاتُ   وللمنى من منـــاياهنّ غاياتُ
والدهر في صبغة الحرباء منغمسٌ   ألوانُ حالاته فيهـا استحالات
ونحن من لـُعَب الشطرنج في يده   وربمـــا قـُمرت بالبيدقِ الشاة

قلت : هذا غلط ، فإن الشاه بالهاء الملك بالعجمي ، وإذا كان كذلك فلا تسلم له القافية ، لأنها على حرف التاء ، ثم قال :

انفـُضْ يديك من الدنيا وساكنها   فالأرض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لِعالمها الأرضي : قد كتمت   سريرة العـــالم العلوي أغماتُ

---

١ القلائد : ٢٣ .
٢ القلائد : نقل ؛ ر : أخلي .
٣ في النسخ : غريباً ، والتصويب عن القلائد .
٤ ت : الوجوه .

وهي طويلة تقارب خمسين بيتاً .

وله أيضاً في حبسه قصيدة عملها بأغمات ، سنة ست وثمانين وأربعمائة :

تنَشَّقْ رَياحِينَ السلامِ فإنّما أفضُّ بها مِسْكاً عَليكَ مُخَتَّما

وقُلْ لِي مَجازاً إن عَدِمتَ حَقيقةً لعلكَ في نُعْمى وقد كنتَ مُنعما

أفكرُ في عَصْرٍ مضى لك مُشرِقا فيرجع ضوء الصبح عنديَ مُظلما

وأعجبُ من أفْقِ المجرّةِ إذ رأى كسوفك شمساً كيف أطلع أنجما

لئن عَظمت فيكَ الرَّزية اننا وجَدناكَ منها في المَزية[1] أعظَما

قناةٌ سعت للطعنِ حتى تقصدتْ وسَيْفٌ أطالَ الضرْبَ حتى تثلما

ومنها :

بكى آل عباد ولا كمحمد وأبنائهِ صَوْبُ الغمامةِ إذ هَمى

حبيبٌ إلى قلبي ، حبيبٌ لقولهِ عسى طَلل يَدنو بهمْ ولعلما

صباحهمُ كنا بهم نحمد السرَى فلما عدمناهم سرينا على عَمى

وكنا رعينا العز حولَ حماهُم فقد أجْدَبَ المرعى وقد أقفَر الحمى

وقد ألبست أيدي الليالي محلَّهم مناسج سَدَّى الغيثُ فيها وألحما

قصورٌ خلت من ساكنيها فما بها سوى الأدم تمشي حول واقفة الدمى

يجيب بها الهام الصدى ولطالما أجاب القيان الطائر المترنما

كأن لم يكن فيها أنيس ولا التقى بها الوفد جمعاً والخميس عرمرما

ومنها[2] :

حكيتَ وقد فارقت مُلكك مالكا ومن ولَهي أحكي عليك متمما

مصابٌ هوى بالنيراتِ من العلا ولم يُبْقِ في أرضِ المكارم معلما

تضيقُ عليَّ الأرضُ حتى كأنما خلقت وإياها سواراً ومعصما

---

١ ر ن ق : الرزية .

٢ ومنها : زيادة من ن ر ق بر .

ندبتك حتى لم يخلّ لي الأسى دموعاً بها أبكي عليك ولا دَما
وإني على رسمي مقيمٌ فإن أمت سأجعلُ للباكين رسميَ موسما
بكاك الحيا والريح شَقّتْ جيوبَها عليك ، وناح الرعد باسمك معْلِنا
ومزّقَ ثوبُ البرقِ واكتست الضحى حداداً ، وقامَتْ أنجم الجوّ مأتما
وحار ابنُكَ الإصباحُ وَجداً فما اهتدى وغاضَ أخوكَ البَحرُ غيضاً فما طَما
وما حلّ بَدْر التّم بعدَك دارةً ولا أظهَرتْ شمْسُ الظّهِيرةِ مبسما
قضى الله أن حطّوكَ عن ظَهْر أشقرٍ أشمّ وأن أمْطَوْكَ أشأم أدْهما

وكان قد انفكت عنه القيود فأشار إلى ذلك بقوله منها :

قُيُودك ذابتْ فانطَلقتَ لقد غدَتْ قُيُودُكَ منهُمْ بالمكارم أرحما
عجبتُ لأن لان الحديدُ وقد قَسوْا لقد كان منهم بالسّريرة أعْلما
سيُنجيكَ مَنْ نجّى من الجبّ يوسفا ويُؤويكَ من آوى المسيح بن مَريما

وله في البكاء على أيامهم وانتثار نظامهم عدة مقاطيع[1] وقصائد مطولات يشتمل عليها جزء لطيف صدر عنه في صورة[2] تأليف وهيئة تصنيف سماه « نظم السلوك في وعظ الملوك » . ووفد على المعتمد وهو بأغمات وفادة وفاء ، لا وفادة استجداء ، وحكي أنه لما عزم على الانفصال عنه بعث إليه المعتمدُ عشرين ديناراً وشُقّة بغدادية ، وكتب معها :

إليك النزْر من كف الأسيرِ فإن تَقبْل يكُنْ عينَ الشكور
تقبّل ما يذوب له حياء وإن عَذرتهُ أحوال[3] الفقير

وهي عدّة أبيات ، قال أبو بكر المذكور : فرددتها إليه ، لعلمي بحاله وأنه لم يترك عنده شيئاً ، وكتبت إليه جوابها ، وهو :

---

١ ق بر ر ن : مقطوعات .
٢ صورة : سقطت من ق بر من .
٣ بر من ق مج : حالات .

سَقطْتَ من الوفاء على خَبير فذَرْني والذي لكَ في ضميري
تركتُ هواكَ وهو شقيقُ نفسي[1] لئن شقت برُودي عن غدور
ولا كنتُ الطّليقَ من الرزايا لئن أصبحْتُ أجْحِفُ بالأسير
جَذِيمةُ أنت والزباء خانت[2] وما أنا من يُقصِّر عن قصير
أسيرُ ولا أسيرُ إلى اغتنامِ معاذ الله من سوء المصير
أنا أدرى بفضلك منك ، إني لبست الظلّ منه في الحرُور

ومنها أيضاً قوله :

تصرّفُ في الندى خيْلَ[3] المعالي فتسمحُ من قليل بالكثير[4]
وأعجبُ منك أنك في ظلام وترفع للعفاة منار نور
رُويْدَك سوف توسعني سروراً إذا عاد ارتقاؤكَ للسرير
وسوْف تُحلّيني رتبَ المعالي غَداةَ تحُلُّ في تلك القصور
تزيدُ على ابن مروانٍ عطاءً بها وأزيدُ ثمّ على جَرير
تأهّبْ أن تعودَ إلى طُلوعٍ فليسَ الخسفُ ملتزمَ البدور

ودخل عليه يوماً بناته السجن، وكان يوم عيد ، وكن يغزلن للناس بالأجرة في أغمات ، حتى إن إحداهن غزلت لبيت صاحب الشرطة الذي كان في خدمة أبيها وهو في سلطانه، فرآهن في أطمار رَثّة وحالة سيئة، فصدَعْنَ قلبه وأنشد[5] :

فيما مضى كنتَ بالأعيادِ مسرورا فساءَك العيدُ في أغماتَ مأسورا
ترى بناتِكَ في الأطمار جائعةً يَغزِلنَ للناس لا يملكن قِطميرا

---

١ ن ر : قلبي .
٢ ق : يوماً .
٣ ن : حيل ، مج : جيد .
٤ ق : بالقليل وبالكثير .
٥ ديوانه : ١٠٠ والقلائد : ٢٥ .

بَرَزْنَ نحوك للتّسليم خاشعةً أبصارهُنَّ حسيراتٍ مكاسيرا
يطأنَ في الطين والأقدامُ حافيةٌ كأنها لمْ تطأ مسكاً وكافورا

ومنها أيضاً :

لا خدّ إلا ويشكو[1] الجدب ظاهره وليس إلا مع الأنفاسِ ممطورا
قد كان دهركَ إن تأمُرهُ ممتثلاً فردّكَ الدّهرُ مَنْهيّاً ومأمورا
مَنْ بات بعْدَكَ في مُلكٍ يُسرُّ به فإنمـــا باتَ بالأحلام مغرورا

ودخل عليه وهو في تلك الحال ولده أبو هاشم والقيود قد عضّتْ بساقيه عض الأسود ، والتوت عليه التواء الأساود السود ، وهو لا يطيق إعمال قدم ، ولا يُريق دمعاً إلا ممتزجاً بدم، بعد ما عهد نفسه فوق منبر وسرير، وفي وسط جنة وحرير، تَخفِق عليه الألوية، وتشرق منه الأندية ، فلما رآه بكى وعمل[2]:

قَيْدي أما تعلمني مسلمـــا أبَيتَ أن تشفق أو ترحما
دمي شرابٌ لك، واللحمُ قد أكلتَهُ ، لا تهشم الأعظما
يبصرني فيـــك أبو هاشمٍ فينثني والقلبُ قـــد هشّما
ارحمْ طـُفَيلاً طائشاً لـُبُّه لم يخشَ أن يأتيك مسترحما
وارحم أُخَيّـــاتٍ له مثله جرعتهُنَّ السمَّ والعلقـــما
منهنَّ من يفهمُ شيئاً فقد خِفْنا عليه للبكاء العمى
والغير لا يفهم شيئاً فـــما يفتح إلا لرضاعٍ فـــما

وكان قد اجتمع عنده جماعة من الشعراء[3] وألحوا عليه في السؤال ، وهو على تلك الحال ، فأنشد :

سألوا اليسير من الأسير وإنه بسؤالهم لأحقُّ منهم فاعجَبِ

١ بر ر ق من : تشكى .
٢ ديوانه : ١١٢ .
٣ بر من : السؤال .

لولا الحيـــاء وعزةٌ لخميّةٌ   طيَّ الحشا لحكاهمُ في المطلب

وأشعار المعتمد وأشعار الناس فيــه كثيرة ، وقــد جاوزنا الحد في تطويل ترجمته ، وسببه أن قضيته[1] غريبة لم يعهـد مثلها ، ودخل فيها حديث أبيــه وجده فطالت .

وكانت ولادته في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة بمدينـة باجَة من بــلاد الأندلس ، وملك بعد وفاة أبيـه في التاريخ المذكور هناك ، وخلع في التاريخ المقدم ذكره. وتوفي في السجن بأغمات لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال ، وقيل في ذي الحجة ، سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ؛ ومن النادر الغريب أنه نودي في جنازته بالصلاة على الغريب ، بعد عظم سلطانه وجلالة شانه ، فتبارك من له البقاء والعزة والكبرياء . واجتمع عند قبره جماعة من الشعراء الذين كانوا يقصدونه بالمدائح ، ويجزل لهم المنائــح ، فرثوه بقصائد مطولات ، وأنشدوها عند قبره وبكوا عليه ، فمنهم أبو بحر عبد الصمد شاعره المختص به ، رثاه بقصيدة طويلة أجاد فيها ، وأولها[2] :

ملكَ الملوك ، أسامع فأنادي   أم قد عدتك عن السماع عَوادي
لما نقلت عن القصور ولم تكن   فيها كما قــد كنت في الأعياد
أقبلت في هذا الثرى لك خاضعاً   وجعلت قـبرك موضع الإنشاد

ولما فرغ من إنشادها قبل الثرى ، ومرغ جسمه وعفر خده ، فأبكى كل من حضر .

ويحكى[3] أن رجلاً رأى في منامه إثر الكائنة عليه كأن رجلاً صعد منبر جامع قرطبة واستقبل الناس وأنشد :

ربَّ ركبٍ قد أناخوا عِيسَهُمْ   في ذرى مجدهمُ حين بسَقْ

١ ق بر من : قصته .
٢ انظر القلائد : ٣١ .
٣ ق : ويروى .

سكت الدهرُ زمـــاناً عنهمُ ثم أبكاهم دمـــاً حين نطق

ورأى أبو بكر الداني حفيد المعتمد وهو غلام وسيم قد اتخذ الصياغة صناعة وكان يلقب في أيام دولتهم « فخر الدولة » وهو من الألقاب السلطانية عندهم، فنظر إليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ، فقال من جملة قصيدة :

شكاتنا فيك يا فخر العلا عظمتْ والرزءُ يعظم فيمن قدره عظما
طوقت من نائبات الدهر مخنقة ضاقت عليك وكم طوّقْتَنا نعما
وعاد طوقُكَ في دكانِ قارعةٍ من بعدما كنت في قصر حكى إرَما
صرّفتَ في آلةِ الصوّاغ أنملةً لم تدْرِ إلا الندى والسيف والقلما
يدٌ عهدتُكَ للتقبيل تبسطهـــا فتستقلُّ الثريا أن تكون فمـــا
يا صائغاً كانت العليا تُصاغُ له حَلْياً وكان عليه الحلي منتظما
للنفخ في الصور هولٌ ما حكاه سوى أني رأيتك فيـــه تنفخ الفحَما
وددت إذ نَظَرت عيني عليك به لو أن عينيَ تشكو قبل ذاكِ عمى
ما حطّكَ الدهر لما حطّ من شرفٍ ولا تحيّفَ من أخلاقك الكرما
لُحْ في العلا كوكباً إن لم تَلُحْ قمرا وقمْ بها ربوةً إن لم تقم علما
والله لو أنصفتك الشهبُ لانكسفت ولو وفى لك دمع العين لانسجما
أبكى حديثُكَ حتى الدهرَ حين غدا يحكيك رهطاً وألفاظاً ومبتسما

ولا حاجة إلى الزيادة على ما أودعناه[1] هذه الترجمة .

واللُّوْرقي : بضم اللام وسكون الواو والراء وبعدها قاف، هـذه النسبة إلى لورقة، وهي مدينة بالأندلس، وهذا الشاعر ذكره في « الخريدة » وقال : عاش بعد الخمسمائة[2] طويلا، وأورد كثيراً من شعره .

وأغمات : بفتح الهمزة وسكون الغين المعجمة وفتح الميم وبعد الألف تاء مثناة

---

١ بر : أوردناه في .

٢ ق : المائة .

من فوقها ، وهي بُليدة وراء مراكش ، بينهما مسافة يوم ، وخرج منهما جماعة مشاهير[1] .

(206) وأما أبو بكر ابن اللبّانة المذكور فما رأيت تاريخ وفاته في شيء من الكتب ولا رأيت من يعلم ذلك ، لكن رأيت في كتاب الحماسة التي صنفها أبو الحجاج يوسف البياسي المذكور بعد هذا أن ابن اللبانة قدم مَيُورْقَة في آخر شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة، ومدح ملكها مبشر بن سليمان بأبيات أولها :

ملكٌ يروعك في حُلى ريعانه راقت برونقه صفات زمانه

وكنت أظن أنه مات قبل المعتمد ، لأني ما رأيت له فيه مرثية ، إلى أن رأيت ما قاله البياسي ، والله تعالى أعلم .

٦٨٧

المعتصم ابن صمادح الأندلسي

أبو يحيى محمد بن معن بن محمد بن أحمد بن صُمادح ، المنعوت بالمعتصم ، التجيبي ، صاحب المريَّةِ وبَجايَةَ والصُّمادحية من بلاد الأندلس .

(207) كان جده محمد بن أحمد بن صمادح صاحب مدينة وَشْقَةَ وأعمالها ، وذلك في أيام المؤيد هشام بن الحكم الأموي – المذكور في ترجمة المعتمد بن عباد –

---

١ هنا تنتهي الترجمة في بر من وينتهي الجزء الثاني من النسخة س، والثالث مفقود، ولهذا تتوقف الإشارة إلى س حتى بداية الجزء الرابع ، وكنا اعتمدنا في عناوين التراجم على هذه النسخة بعد توقف المسودة ، ولما كان الجزء الثالث مفقوداً وكذلك القسم الموازي له من المسودة ، فان صيغة العناوين ستصبح تقديرية بالاستئناس إلى مختلف النسخ .

٦٨٧ – ترجمته في الذخيرة ١/٢ : ٢٣٦ والقلائد : ٤٧ والمغرب ٢ : ١٩٥ والبيان المغرب ٣ : ١٦٧ ، ١٧٣ والمطرب : ٣٤ – ٣٨ والوافي ٥ : ٤٥ والمعجب : ١٩٦ والحلة السيراء ٢ : ٧٨ – ٨٨ وأعمال الأعلام : ١٩٠ وعبر الذهبي ٣ : ٣٠٦ .

فحاربه ابن عمه منذر بن يحيى التُّجيبي ، فاستظهر عليه وعجز عن دفعه لكثرة رجاله ، وترك له مدينة وَشْقة ، وفر بنفسه ولم يبق له بالبلد علقة ، وكان صاحب رأي ودهاء ولسان وعارضة لم يكن في أصحاب السيوف من يعدله في هذه الخلال في ذلك العصر .

(208) وكان ولده معن والد المعتصم مصاهراً لعبد العزيز بن أبي عامر صاحب بَلَنْسِية ، فلما قتل زهير مولى أبيه – وكان صاحب المريَّة – وثب عبد العزيز على المريَّة فملكها لكونها كانت لمولاهم ، فحسده على ذلك مجاهد بن عبد الله العامري المكني أبا الجيش صاحب دانيَةَ ، فخرج قاصداً بلاد عبد العزيز وهو بالمرية مشتغل في تركة زهير ، فلما سمع بخروج مجاهد خرج من المرية مبادراً لاستصلاحه واستخلف بها صهره ووزيره معن بن صمادح والد المعتصم فخانه في الأمانة وغدر به ، وطرده عن الإمارة ، فلم يبق في ملوك الطوائف بالأندلس أحد إلا ذمه على هذه الفعلة ، إلا أنه تم له الأمر واستتب .

فلما مات انتقل الملك إلى ولده المعتصم وتسمى بأسماء الخلفاء ، وكان رحب الفناء ، جزل[1] العطاء ، حليماً عن الدماء ، طافت به الآمال ، واتسع في مدحه المقال ، وأعملت إلى حضرته الرحال ، ولزمه جماعة من فحول الشعراء كأبي عبد الله ابن الحداد وغيره ، وله أشعار حسنة ، فمن ذلك ما كتبه إلى أبي بكر ابن عمار الأندلسي – المقدم ذكره – يعاتبه :

وزهدني في الناس معرفتي بهم وطول اختباري صاحباً بعد صاحب
فلم تُرِني الأيام خلاً تسرني بَواديه إلا ساءني في العواقب
ولا صرت أرجوه لدفع ملمة من الدهر إلا كان إحدى النوائب

فكتب إليه ابن عمار جوابها ، وهي أبيات كثيرة فلا حاجة إلى ذكرها .
ومن شعره أيضاً :

يا من بجسمي لبعده سقم ما منه غير الدنوّ يبريني

---

١ ن : جزلا في .

بين جفوني والنوم معترك تصغر عنه حروب صِفّين
إن كان صرف الزمان أبعدني عنك فطيف الخيال يدنيني

ومن هنا أنشد بهاء الدين زهير بن محمد – الكاتب المقدم ذكره[1] – قوله من جملة قصيدة :

بين جفوني والكرى مذ غبت عني معترك

وله غير ذلك مقاطيع كثيرة .

ولأبي عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم المعروف بالحداد القيسي[2] من أهل المريّة في مديحه قصائد بديعة ، فمن ذلك قصيدته التي أولها :

لعلك بالوادي المقدس شاطىء فكالعنبر الهندي ما أنا واطىء
وإنيَ من ريّاك واجد ريحهم فَـرَوحُ الهوى بين الجوانح ناشىء
ولي في السُّرى من نارهم ومَنارهم حُداة هُداة والنجوم طوافىء
لذلك ما حَنَّت ركابي وحمحمت عِرابي وأوحى سيرها المتباطىء
فهل هاجها ما هاجني ولعلها إلى الوجد من نيران قلبي لواجىء[3]
رويداً فذا وادي لُبَينى وإنه لَـوِرْدُ لُباناتي وإني لظامىء
ويا حبذا من آل لُبْنى مواطنٌ ويا حبذا في أرض لبنى مواطىء
ميادينُ تهيامي ومسرحُ خاطري فللشوق غاياتٌ بها ومبادىء
ولا تحسبوا غيداً حوتها مقاصرٌ فتلك قلوبٌ ضُمِّنتها جآجىء

---

١ انظر ج ٢ : ٣٣٢ ، وديوان البها زهير : ١٣٠ .
٢ ترجمة ابن الحداد في الذخيرة ١/٢ : ٢٠١ والمطمح : ٨٠ والاحاطة ٢ : ٢٥٠ والفوات ٢ : ٣٤١ والمحمدون : ٩٩ والمغرب ٢ : ١٤٣ والمسالك ١١ : ٤٠٠ والوافي ٢ : ٨٦ وصفحات متفرقة في نفح الطيب ، وقصيدته الهمزية في الذخيرة .
٣ ق ن ر : نواجىء .

وفي الكِلَّة الزرقاء مكلوءُ عزة[1] تَحُفُّ به زرق العوالي الكوالىء
مَحا ملة السلوان مبعثُ حسنه فكل إلى دين الصبابة صابىء

ومنها أيضاً :

تمنّى مدى قُرْطيه عُفْرٌ تَوالع وتَهْوى ضيا عَيْنيه عِينٌ جوازىء
وفي ملعب الصدغين أبيض ناصع تخلّله للحسن أحمر قانىء
أفاتكة الألحاظ ناسكة الهوى ورعت ولكن لحظ عينك[2] خاطىء
وآل الهوى جرحى ولكن دماؤهم دموع هَوَامٍ والجروح مآقىء
وكيف أعاني كَلْم طرفك في الحشا وليس لتمزيق المهند راقىء
ومن أين أرجو برء نفسي من الجوى وما كل ذي سقم من السقم بارىء

ويخرج من هذا إلى المدح ، وهذه القصيدة طنانة طويلة .

وقَصده أيضاً من شعراء الأندلس أبو القاسم الأسعد بن بِلّيطة[3] ، وهو من فحول شعرائهم ، ومدحه بقصيدته الطائية التي أولها :

برامَةَ ريم زارني بعدما شَطّا تقنّصتُه في الحلم بالشط فاشتطا
رَعى من أُناس في الحشا ثمر الهَوى جنيّاً ولم يرعَ العرارَ ولا الخَمْطا

ومنها :

وقد ذاب كحل الليل في دمع فجره إلى أن تبدى الصبح كاللمة الشمطا
كأن الدجى جيش من الزنج نافر وقد أرسل الإصباح في إثره القبطا

ومنها في صفة الديك :

---

١ ق ر مج : غرة .
٢ مج : عينيك .
٣ ترجمة الأسعد بن بليطة في الذخيرة ١/٢ : ٢٩٠ والمطمح ٨٣ وبغية الملتمس : ٢٢٨ والمطرب : ١٢٦ والمغرب ٢ : ١٧ .

كأن أنو شروانَ أعلاهُ تاجَهُ   وناطَتْ عليه كفُّ مارية القرْطا
سبى حلَّةَ الطاوس[1] حسنُ لباسه   ولم يكفه حتى سبى المشية البطا

ومنها أيضاً :

توهمُ عطفَ الصدغ نوناً بخدها   فباتتْ بمسك الخالِ تنقطه نقطا
غلامية جاءت وقد جعل الدجى   لخاتم فيها فصَّ غالية خطا
غدت تنقع المسواك في برد ثغرها   وقد ضمخت مسكا غدائرها المشطا
فقلت أحاجيها بما في جفونها   وما في الشفاه اللُّعْس من حسنها المعطى
محيّرَة[2] الألحاظ من غير سكرةٍ   متى شربت ألحاظُ عينيك إسفنطا
أرى صفرة المسواك في حمرة[3] اللَّمَى   وشاربك المخضر بالمسك قد خطا
عسى قُزح قبلته فاخاله   على الشَّفَة اللمياء قد جاء مختطا

ومنها في المدح قوله[4] :

كأن أبا يحيى بن معن أجادها   فعلَّمها من كفه الوَكْفَ والبسطا
تألف من در وشذرٍ نجاره   فجاءت به العليا على جيدها سمطا
إذا سار سار المجد تحت لوائه   فليس يحط المجد إلا إذا حطا
رفيع عماد النار في الليلِ للسرى   فما يخبط العَشواء طارقُه خبطا

ومنها أيضاً :

أقول لركب يمموا مسقط الندى   وقد جاوز الركبانُ من دونك السقطا
أفي المجد تبغي لابنِ معنٍ مناقضاً   ومن يوقدُ المصباحَ في الشمس قد أخْطا

وهي قصيدة طويلة مقدار تسعين بيتاً ، أحسن فيها ناظمها مع وعورة

---

١ ر بر من : يساجله الطاوس .
٢ ق ر مج : مخترة ؛ ن : مخترة .
٣ الذخيرة : حوة ؛ وهو أدق .
٤ ق : ومنها أيضاً في المدح .

مسلك حرف رويها .

وكان المعتصم المذكور قد اختص بمؤانسة الأمير يوسف بن تاشفين عند عبوره إلى جزيرة الأندلس حسبما شرحناه في ترجمة المعتمد بن عباد المذكور قبله وأقبل عليه أكثر من بقية ملوك الطوائف ، فلما تغيرت نية الأمير يوسف على المعتمد وجاهره المعتمد بالعصيان شاركه في ذلك المعتصم ، ووافقه على الخروج عن طاعته وعدم الانقياد لأمره ، فلما قصد الأمير يوسف بلاد الأندلس عزم على خلعها وقبضها .

قال ابن بسام في « الذخيرة »[1] : وكان بين المعتصم وبين الله سريرة ، أسلفت له عند الحمام يداً مشكورة ، فمات وليس بينه وبين حلول الفاقرة به إلا أيام يسيرة ، في سلطانه وبلده ، وبين أهله وولده . حدثني من لا أرد خبره عن أروى بعض مسانّ حظايا أبيه قالت : إني لعنده وهو يوصي بشانه ، وقد غُلب على أكثر يده ولسانه ، ومعسكر أمير المسلمين[2] – تعني يوسف بن تاشفين – يومئذ بحيث نعد خيامهم ونسمع اختلاط أصواتهم إذ سمع وَجْبة من وجباتهم ، فقال : لا إله إلا الله ، نُغّص علينا كل شيء حتى الموت ! قالت أروى : فدمعت عيني ، فلا أنسى طرفاً إلي يرفعه ، وإنشاده لي بصوت لا أكاد أسمعه :

ترفّقْ بدمعك لا تُفْنِهِ فبين يديك بكاءٌ طويل

انتهى كلام ابن بسام .

وقال محمد بن أيوب الأنصاري في كتابه الذي صنفه للسلطان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى في سنة ثمان وستين وخمسمائة في ترجمة المعتصم بن صمادح المذكور ، بعد أن ذكر طرفاً من أخباره ، وشيئاً من اشعاره ، وحكى صورة حصاره ، وقوله في مرضه نغص علينا كل شيء حتى الموت : ومات – يعني المعتصم – في أثر ذلك عند طلوع الشمس يوم الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة بالمريّة ، رحمه الله تعالى ، ودفن في تربة له عند باب الخوخة .

---

[1] الذخيرة ١/٢ : ٢٤٠ .

[2] ق ر بر : المؤمنين ؛ وهو غير دقيق ، لأن يوسف لم يتخذ لقب خليفة .

وصُمادح : بضم الصاد المهملة وفتح الميم وبعد الألف دال مكسورة ثم حاء مهملة ، وهو الشديد .

وبِلَّيطة : والد أبي القاسم الأسعد الشاعر المذكور ، بكسر الباء الموحدة واللام المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الطاء المهملة وبعدها هاء ساكنة ، ولا أعرف معناه ، وهو بلغة أعاجم الأندلس .

والتجيبي : قد تقدم الكلام عليه .

وبَجَاية : بفتح الباء الموحدة والجيم[1] وبعد الألف ياء[2] ثم هاء ساكنة ، وهي مدينة بالأندلس .

والمرية قد تقدم الكلام عليها ؛ والصُّمادحية منسوبة إلى صُمادح المذكور .

ووَشْقة : بفتح الواو وسكون الشين المعجمة وفتح القاف وبعدها هاء ساكنة ، بلدة بالأندلس أيضاً ، والله أعلم .

٦٨٨

المهدي ابن تومرت

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت ، المنعوت بالمهدي الهرغي ، صاحب دعوة عبد المؤمن بن علي بالمغرب – وقد تقدم في ترجمة عبد المؤمن طرف من خبره[3] – وكان ينتسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ؛ ووجدت على

---

١ ق ر ن بر من : وتشديد الجيم .

٢ ق ر بر من : نون .

٦٨٨ – ترجمته في المعجب : ٢٤٥ وطبقات السبكي ٤ : ٧١ وابن خلدون ٦ : ٢٢٥ والحلل الموشية : ٨٤ وجذوة الاقتباس : ١٢٨ والوافي ٣ : ٣٢٣ وعبر الذهبي ٤ : ٥٧ والشذرات ٤ : ٧٠ والاستقصا ٢ : ٧٨ وراجع تاريخ البيذق وابن القطان وروض القرطاس وكل المصادر التاريخية المتعلقة بنشأة دولة الموحدين .

٣ انظر ج ٣ : ٢٣٧ .

ظهر كتاب النسب للشريف العابد[1] بخط بعض أهل الأدب من عصرنا نسب ابن تومرت المذكور فنقلته كما وجدته وهو : محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود ابن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهما ، والله أعلم .

وهو من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب ، ونشأ هناك ثم رحل إلى المشرق في شبيبته طالباً للعلم ، فانتهى إلى العراق ، واجتمع بأبي حامد الغزالي والكيا الهراسي والطُرْطوشي وغيرهم ، وحج وأقام بمكة مُدَيدَةً وحصل طرفاً صالحاً من علم الشريعة والحديث النبوي وأصول الفقه والدين .

وكان ورعاً ناسكاً متقشفاً مخشوشناً مخلولقاً كثير الإطراق ، بساماً في وجوه الناس ، مقبلاً على العبادة ، لا يصحبه من متاع الدنيا إلا عصا وركوة . وكان شجاعاً فصيحاً في لسان العربي والمغربي ، شديد الإنكار على الناس فيما يخالف الشرع ، لا يقنع في أمر الله بغير إظهاره . وكان مطبوعاً على الالتذاذ بذلك متحملاً للأذى من الناس بسببه ، وناله بمكة ، شرفها الله تعالى ، شيء من المكروه من أجل ذلك ، فخرج منها إلى مصر وبالغ في الإنكار ، فزادوا في أذاه ، وطردته الدولة ، وكان إذا خاف من البطش وإيقاع الفعل به خلط في كلامه فينسب إلى الجنون ؛ فخرج من مصر إلى الإسكندرية ، وركب البحر متوجهاً إلى بلاده . وكان قد رأى في منامه وهو في بلاد المشرق كأنه شرب ماء البحر جميعه كرتين ، فلما ركب في السفينة شرع في تغيير المنكر على أهل السفينة ، وألزمهم باقامة الصلوات وقراءة أحزاب من القرآن العظيم ، ولم يزل على ذلك حتى انتهى إلى المهدية إحدى مدن[2] إفريقية ، وكان ملكها يومئذ الأمير يحيى بن تميم بن المعز ابن باديس الصنهاجي ، وذلك في سنة خمس وخمسمائة .

هكذا وجدته في «تاريخ القيروان» ، وقد تقدم في ترجمة الأمير تميم والد يحيى المذكور أن محمد بن تومرت المذكور اجتاز في أيام ولايته بإفريقية عند عوده من

---

١ في بعض النسخ : في كتاب النسب الشريف العابد وأثبتنا ما في ن ؛ وقد سقط هذا النسب من بر من .

٢ ر ق ن : قرى .

المشرق ، وكنت وجدته كذا أيضاً والله أعلم بالصواب ، ولم يرحل إلى المشرق مرتين حتى يحمل[1] ذلك على دفعتين ، فان كان عوده في سنة خمس كما ذكرناه فهو في ولاية الأمير يحيى ، لأن أباه الأمير تميماً توفي سنة إحدى وخمسمائة كما تقدم في ترجمته ، وإنما نبهت عليه لئلا يتوهم الواقف عليه أنه فاتني ذلك ، وهو متناقض.

ورأيت في تاريخ القاضي الأكرم ابن القفطي وزير حلب وهو مرتب على السنين ما صورته : في هذه السنة — وكان آخر[2] سنة إحدى عشرة وخمسمائة — خرج محمد بن تومرت من مصر في زي الفقهاء بعد الطلب[3] بها وبغيرها ووصل[4] إلى بَجَاية ، والله أعلم بالصواب ؛ ولما وصل إلى المهدية نزل في مسجد معلق ، وهو على الطريق، وجلس في طاق شارعٍ إلى المحجة ينظر إلى المارة فلا يرى منكراً من آلة الملاهي او أواني الخمر إلا نزل إليها وكسرها، فتسامع به الناس في البلد[5]، فجاءوا إليه ، وقرأوا عليه كتباً من أصول الدين[6] ، وبلغ خبره الأمير يحيى ، فاستدعاه مع جماعة من الفقهاء ، فلما رأى سَمْته وسمع كلامه أكرمه وأجله وسأله الدعاء ، فقال له : أصلحك الله لرعيتك ، ولم يقم بعد ذلك بالمهدية إلا أياماً يسيرة ، ثم انتقل الى بَجاية ، وأقام بها مدة وهو على حاله في الإنكار، فأخرج منها إلى بعض قراها واسمها ملالة ، فوجد بها[7] عبد المؤمن بن علي القيسي المقدم ذكره .

ورأيت في كتاب «المغرب[8] عن سيرة ملوك المغرب» أن محمد بن تومرت كان

---

١ مج : نحمل ؛ ر : تحمل .

٢ ق ن ر : في .

٣ ر ق ن : الطلبة .

٤ ووصل : سقطت من ق ر ن .

٥ مج : فتسامع به أهل البلد .

٦ مج : فقصدوه يقرءون عليه أنواع العلوم وكان إذا مر به المنكر غيره وأزاله فلما كثر ذلك منه أحضره الأمير يحيى مع جماعة ..الخ .

٧ مج :ورحل عن المهدية وأقام بالمنستير مع جماعة من الصالحين مدة ، وسار إلى بجاية ففعل بها مثل ذلك فأخرج منها إلى قرية بالقرب منها اسمها ملاية ، فلقيه بها عبد المؤمن... الخ .

٨ يتردد اسم هذا الكتاب في النسخ بين المعرب والمغرب .

قد اطلع من علوم أهل البيت على كتاب يسمى الجفر وأنه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الأقصى بمكان يسمى السوس ، وهو من ذرية رسول الله صلى عليه وسلم ، يدعو إلى الله ، يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب يسمى باسم هجاء حروفه (ت ي ن م ل) ورأى فيه أيضاً أن استقامة ذلك الأمر واستيلاءه وتمكنه يكون على يد رجل من أصحابه هجاء اسمه (ع ب د م و م ن) ويجاوز وقته المائة الخامسة للهجرة ، فأوقع الله سبحانه وتعالى في نفسه أنه القائم بأول الأمر ، وأن أوانه قد أزف ، فما كان محمد يمر بموضع إلا سأل عنه ، ولا يرى أحداً إلا أخذ اسمه وتفقد حليته ، وكانت حلية عبد المؤمن معه ، فبينما هو في الطريق رأى شاباً قد بلغ أشده[1] على الصفة التي معه. فقال له محمد وقد تجاوزه: ما اسمك يا شاب ؟ فقال : عبد المؤمن ، فرجع إليه وقال له : الله أكبر ، أنت بغيتي ، فنظر في حليته فوافقت ما عنده ، فقال له : ممن أنت ، فقال : من كومية ، قال : أين مقصدك ؟ فقال : الشرق ، فقال : ما تبغي ؟ قال : أطلب علماً وشرفاً ، قال : وجدت علماً وشرفاً وذكراً ، اصحبني تنله فوافقه على ذلك ، فألقى محمد إليه أمره وأودعه سره .

وكان محمد قد صحب رجلاً يسمى عبد الله الونشريسي ففاوضه فيما عزم عليه من القيام ، فوافقه على ذلك أتم موافقة[2] ، وكان الونشريسي ممن تهذب وقرأ فقهاً ، وكان جميلاً فصيحاً في لغة العرب وأهل المغرب ، فتحدثا يوماً في كيفية الوصول إلى الأمر المطلوب ، فقال محمد لعبد الله : أرى أن تستر ما أنت عليه من العلم والفصاحة عن الناس وتظهر من العجز واللُّكَن والحصَر والتعري عن الفضائل ما تشتهر به عند الناس ، لنتخذ الخروج عن ذلك واكتساب العلم والفصاحة دفعة واحدة ليقوم ذلك مقام المعجزة عند حاجتنا إليه ، فنصدق فيما نقوله ، ففعل عبد الله ذلك .

ثم إن محمداً استدنى أشخاصاً من أهل الغرب أجلاداً في القوى الجسمانية أغماراً ، وكان أميلَ إلى الأغمار من أولي الفطن والاستبصار ، فاجتمع له منهم

---

١ زاد في ق : وبلغ أربعين سنة .

٢ ق : فوافقه على ذلك وكانت موافقته أتم موافقة .

ستة سوى عبد الله الونشريسي ، ثم إنه رحل إلى أقصى المغرب ، واجتمع بعبد المؤمن بعد ذلك ، وتوجهوا جميعاً إلى مراكش وملكها يومئذ أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين – وقد سبق ذكر والده في ترجمة المعتمد بن عباد والمعتصم بن صمادح – وكان ملكاً عظيماً حليماً ورعاً عادلاً متواضعاً ، وكان بحضرته رجل يقال له مالك بن وهيب الأندلسي ، وكان عالماً صالحاً ، فشرع محمد في الإنكار على جاري عادته ، حتى أنكر على ابنة الملك ، وله في ذلك قصة يطول شرحها[1] .

وبلغ الملك خبره وأنه يتحدث[2] في تغيير الدولة ، فتحدث مالك بن وهيب في أمره ، وقال : نخاف من فتح باب يعسر علينا سده ، والرأي أن يحضر هذا الشخص وأصحابه لنسمع كلامهم بحضور جماعة من علماء البلد ، فأجاب الملك إلى ذلك ، وكان محمد وأصحابه مقيمين في مسجد خَراب خارج البلد ، فطلبوهم ، فلما ضمهم المجلس قال الملك لعلماء بلده : سلوا هذا الرجل ما يبغي منا ، فانتدب له قاضي المريَّة واسمه محمد بن أسود[3] فقال : ما هذا الذي يذكر عنك من الأقوال في حق الملك العادل الحليم المنقاد إلى الحق المؤثر طاعة الله تعالى على هواه ؟ فقال له محمد : أما ما نقل عني فقد قلته ولي من ورائه أقوال ، وأما قولك إنه يؤثر طاعة الله تعالى على هواه وينقاد إلى الحق فقد حضر اعتبار

---

١ لعلها القضية التي وردت في مج إذ جاء النص فيها كالآتي : « وتوجهوا جميعاً إلى مراكش دار مملكة أمير المسلمين عليّ بن يوسف بن تاشفين وقد سبق ذكر والده في ترجمة المعتمد بن عباد والمعتصم بن صمادح فرأى فيها من المنكرات أكثر مما عاينه في طريقه ، فزاد في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فكثر اتباعه وحسنت ظنون الناس فيه ، فبينما هو في بعض الأيام في طريقه إذ رأى أخت أمير المسلمين في موكبها ومعها من الجواري الحسان كثير وهن مسفرات ، وكانت هذه عادة الملثمين ، تسفر نساؤهم وجوههن وتتلثم الرجال ، فأنكر على النساء وأمرهن بستر وجوههن وصرف هو وأصحابه دوابهن ، فسقطت أخت أمير المسلمين عن دابتها فرفع أمره إلى أمير المسلمين فأحضره وأحضر الفقهاء ليناظروه فأخذ يعظه ويذكره ويخوفه فبكى أمير المسلمين ، وأمر أن يناظره الفقهاء فلم يكن فيهم من يقوم له لقوة إيمانه في الذي فعله ، وكان عند أمير المسلمين مالك ابن وهيب وكان كثير الاجتراء على الملك ... الخ .

٢ ن ر ق بر من : تحدث .

٣ المختار : محمد بن سواد .

صحة هذا القول عنه ، ليعلم بتعريه عن هذه الصفة أنه مغرور بما تقولون له وتضرونه[1] به ، مع علمكم أن الحجة عليه متوجهة ، فهل بلغك يا قاضي أن الخمرة تباع جهاراً ، وتمشي الخنازير بين المسلمين ، وتؤخذ أموال اليتامى ؟ وعدّد من ذلك شيئاً كثيراً .

فلما سمع الملك كلامه ذرفت عيناه وأطرق حياء ، ففهم الحاضرون من فحوى كلامه أنه طامع في المملكة لنفسه ، ولما رأوا سكوت الملك وانخداعه لكلامه لم يتكلم أحد منهم ، فقال مالك بن وهيب ، وكان كثير الاجتراء على الملك : أيها الملك ، إن عندي لنصيحة إن قبلتها حمدت عاقبتها ، وإن تركتها لم تأمن غائلتها ، فقال الملك : ما هي ؟ قال : إني خائف عليك من هذا الرجل ، وأرى أنك تعتقله وأصحابه ، وتنفق عليهم كل يوم ديناراً لتكتفي شره ، وإن لم تفعل ذلك لتنفقن عليه[2] خزائنك كلها ، ثم لا ينفعك ذلك . فوافقه الملك على ذلك ، فقال له وزيره : يقبح منك أن تبكي من موعظة هذا الرجل ثم تسيء إليه في مجلس واحد ، وأن يظهر منك الخوف منه مع عظم ملكك ، وهو رجل فقير لا يملك سد جوعه ، فلما سمع الملك كلامه أخذته عزة النفس واستهون أمره وصرفه ، وسأله الدعاء .

وحكى صاحب كتاب « المغرب في أخبار أهل المغرب » أنه لما خرج من عند الملك لم يزل وجهه تلقاء وجهه إلى أن فارقه ، فقيل له : نراك قد تأدبت مع الملك إذ لم توله ظهرك ، فقال : أردت أن لا يفارق وجهي الباطل حتى أغيره ما استطعت[3] ؛ انتهى كلامه .

فلما خرج محمد وأصحابه من عند الملك قال لهم : لا مقام لنا بمراكش مع وجود مالك بن وهيب ، فما نأمن من أن يعاود الملك في أمرنا فينالنا منه مكروه ، وإن لنا بمدينة أغمات أخاً في الله ، فنقصد المرور به فلن نعدم منه رأياً ودعاء صالحاً ، واسم هذا الشخص عبد الحق بن إبراهيم ، وهو من فقهاء

---

١ ق بر من : وتطرونه .

٢ مج بر من والمختار : لتنفقن عليك .

٣ ت مج بر من : ما استطعت حتى أغيره .

المصامدة ، فخرجوا إليه ونزلوا عليه ، وأخبره محمد خبرهم وأطلعه على مقصدهم وما جرى لهم عند الملك ، فقال عبد الحق : هذا الموضع لا يحميكم ، وإن أحصن المواضع المجاورة لهذا البلد تين مل ، وبيننا وبينها مسافة يوم في هذا الجبل ، فانقطعوا فيه برهة ريثما ينسى ذكركم ، فلما سمع محمد بهذا الاسم تجدد[1] له ذكر اسم الموضع الذي رآه في كتاب الجفر ، فقصده مع أصحابه ، فلما أتوه رآهم أهله على تلك الصورة فعلموا أنهم طلاب العلم ، فقاموا إليهم وأكرموهم وتلقوهم بالترحاب وأنزلوهم في أكرم منازلهم ، وسأل الملك عنهم بعد خروجهم من مجلسه فقيل له : إنهم سافروا ، فسره ذلك وقال : تخلصنا من الإثم بحبسهم.

ثم إن أهل الجبل تسامعوا بوصول محمد إليهم ، وكان قد سار فيهم ذكره ، فجاءوه من كل فج عميق وتبركوا بزيارته ، وكان كل من أتاه استدناه وعرض عليه ما في نفسه من الخروج على الملك ، فإن أجابه أضافه إلى خواصه ، وإن خالفه أعرض عنه . وكان يستميل الأحداث وذوي الغرة[2] ، وكان ذوو العقل والعلم والحلم من أهاليهم ينهَوْنهم ويحذرونهم من اتباعه ويخوفونهم[3] من سطوة الملك ، فكان لا يتم له مع ذلك حال . وطالت المدة وخاف محمد من مفاجأة الأجل قبل بلوغ الأمل ، وخشي أن يطرأ على أهل الجبل من جهة الملك ما يحوجهم إلى تسليمه إليه والتخلي عنه ، فشرع في إعمال الحيلة فيما يشاركونه فيه ليعصوا على الملك بسببه ، فرأى بعض أولاد القوم شُقراً زرقاً ، وألوان آبائهم السمرة والكحل ، فسألهم عن سبب ذلك فلم يجيبوه ، فألزمهم بالإجابة فقالوا: نحن من رعية الملك وله علينا خراج ، وفي كل سنة تصعد مماليكه إلينا ينزلون في بيوتنا ويخرجونا عنها ويخلون بمن فيها من النساء ، فتأتي الأولاد على هذه الصفة ، وما لنا قدرة على دفع ذلك عنا ، فقال محمد : والله إن الموت خير من هذه الحياة، وكيف رضيتم بهذا وأنتم أضرب خلق الله بالسيف وأطعنهم بالرمح والحربة ؟ فقالوا : بالرغم لا بالرضا ، فقال : أرأيتم لو أن ناصراً نصركم على

---

١ ق و المختار : تحدد .

٢ وكان يستميل ... الغرة : سقط من ر ق والمختار ؛ بر من : الغرارة .

٣ ت مج بر من : ويخيفونهم .

أعدائكم ما كنتم تصنعون ؟ قالوا : كنا نقدم أنفسنا بين يديه للموت ، قالوا : من هو ؟ قال : ضيفكم – يعني نفسه – فقالوا : السمع والطاعة ، وكانوا يغالون في تعظيمه ؛ فأخذ عليهم العهود والمواثيق واطمأن قلبه ، ثم قال لهم : استعدوا لحضور هؤلاء بالسلاح ، فإذا جاءوكم فأجروهم على عاداتهم وخلّوا بينهم وبين النساء وميلوا عليهم بالخمور ، فإذا سكروا فأذنوني بهم ، فلما حضر[1] المماليك وفعل بهم أهل الجبل ما أشار به محمد ، وكان ليلاً ، فأعلموه بذلك ، فأمر بقتلهم بأسرهم ، فلم يمض من الليل سوى ساعة حتى أتوا على آخرهم ، ولم يفلت منهم سوى مملوك واحد كان خارج المنازل لحاجة له ، فسمع التكبير عليهم والوقع بهم فهرب من غير الطريق حتى خلص من الجبل ولحق بمراكش وأخبر الملك بما جرى ، فندم على فوات محمد من يده ، وعلم أن الحزم كان مع مالك ابن وهيب فيما أشار به ؛ فجهز من وقته خيلاً بمقدار ما يسع وادي تين مل فإنه ضيق المسلك ، وعلم محمد أنه لا بد من عسكر يخرج إليهم ، فأمر أهل الجبل بالقعود على أنقاب الوادي ومراصده[2] ، واستنجد لهم بعض المجاورين ، فلما وصلت الخيل إليهم أقبلت عليهم الحجارة من جانبي الوادي مثل المطر ، وكان ذلك من أول النهار إلى آخره ، وحال بينهم الليل ، فرجع العسكر إلى الملك وأعلموه بما تم لهم ، فعلم أنه لا طاقة له بأهل الجبل لتحصنهم ، فأعرض عنهم .

وتحقق محمد ذلك منه ، وصفت له مودة أهل الجبل ، فعند ذلك استدعى الونشريسي المذكور وقال له : هذا أوان إظهار فضائلك دفعة واحدة ليقوم لك مقام المعجزة لنستميل بك قلوب من لا يدخل في الطاعة ، ثم اتفقا على أنه يصلي الصبح ويقول بلسان فصيح بعد استعمال العجمة واللكنة في تلك المدة : إني رأيت البارحة في منامي وقد نزل بي مَلَكان من السماء وشقّا فؤادي وغَسلاه وحَشياه علماً وحكمة وقرآناً ، فلما أصبح فعل ذلك ، وهو فصل يطول شرحه ، فانقاد له كل صَعْب القياد ، وعجبوا من حاله وحفظه القرآن

---

١ المختار ، ر ن : حضروا .

٢ ن : ومراصدة من يحضر .

محمد بن عبد الملك المذكور ، فأدخلوه إليه فقال له : ما الكلأ ؟ فقال الكلأ العشب على الإطلاق ، فإن كان رطباً فهو الخَلا ، فإذا يبس[1] فهو الحشيش ، وشرع في تقسيم أنواع النبات ، فعلم المعتصم فضله ، فاستوزره وحكمه وبسط يده .

وقد ذكرنا ما كان بينه وبين القاضي أحمد بن أبي دواد الإيادي في ترجمته .

وحكى أبو عبد الله البيمارستاني أن أبا حفص الكرماني كاتب عمرو بن مسعدة كتب إلى محمد بن عبد الملك الزيات المذكور : أما بعد ، فانك ممن إذا غرس سقى ، وإذا أسس بنى ليستتم بناء أسه ويجتني ثمرة غرسه ، وبناؤك في وُدّي قد وهى وشارف الدروس ، وغرسك عندي قد عطش وأشفى على اليبوس ، فتدارك بناء ما أسست وسَقْيَ ما غرست ، فقال البيمارستاني : فحدثت بذلك أبا عبد الرحمن العطوي ، فقال في هذا المعنى يمدح محمد بن عمران بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك ، ثم وجدت الأبيات[2] في ديوان أبي نواس ، صنعة الأصبهاني ، وهي :

إن البرامكة الكرام تعلموا فعل الجميل وعلموه الناسا
كانوا إذا غرسوا سَقَوْا وإذا بنوا لا يهدمون لما بنوه أساسا
وإذا هم صنعوا الصنائع في الورى جعلوا لها طولَ البقاء لباسا
فعلام تسقيني – وأنت سقيتني كأس المودة – من جفائك كاسا
آنستني متفضلاً ، أفلا ترى أن القطيعة توحش الإيناسا ؟

وقد تقدم في ترجمة عبد المحسن الصوري هذا المعنى أيضاً .

ولابن الزيات المذكور أشعار رائقة ، فمن ذلك قوله[3] :

سماعاً يا عباد الله مني وكفوا عن ملاحظة الملاح

---

[1] ن : وان كان يبساً .

[2] ن ر ق من بر : هذه الأبيات الثلاثة .

[3] هذه القطعة غير موجودة في ديوانه .

فإن الحب آخره المنايا وأوله يهيّج بالمزاح
وقالوا دع مراقبة الثريا ونم فالليل مسودُّ الجناح
فقلت وهل أفاق القلب حتى أفرق بين ليلي والصباح

وله على ما نقلته من خط بعض الأفاضل[1] :

ظالم ما علمته معتدٍ لا عدمته
مُطْمع في الوصال ممـ ـتنع حين رمته
قال إذ أفصح البكا ءُ بما قد كتمته
لو بكى طول عمره بدم ما رحمته
ربَّ هم طويت فيـ ـه وغيظ كظمته
وحياة سئمتها والهوى ما سئمته

وذكر الخطيب في « تاريخ بغداد »[2] أن ابن الزيات المذكور كان يعشق جارية من جواري القيان ، فبيعت من رجل من أهل خراسان ، فأخرجها ، قال : فذهل عقل ابن الزيات حتى غشي عليه ، ثم إنه أنشأ يقول[3] :

يا طول ساعات ليل العاشق الدنِفِ وطول رعيته للنجم في السدفِ
ماذا تواري ثيابي من أخي حُرَق كأنما الجسم منه دقة الألف
ما قال يا أسفا يعقوبُ من كمد إلا لطول الذي لاقى من الأسف
مَنْ سره أن يرى مَيْتَ الهوى دنفا فليستدلَّ على الزيات وليقف

ومن شعره ما ذكره في كتاب « البارع » يرثي جاريته ، وقد خلفت له ابن ثمان سنين ، وكان يبكي عليها فيتألم بسببه وهو[4] :

---

١ ديوانه : ٨٠ .
٢ تاريخ بغداد ٢ : ٣٤٣ .
٣ لم أجدها في ديوانه .
٤ ديوانه : ٦٧ .

ألا من رأى الطفل المفارق أمه   بُعَيْدَ الكرى عيناه تنسكبان
رأى كل أم وابنها غير أمه   يبيتان تحت الليل ينتجيان
وبات وحيداً في الفراش تجيبه   بلابلُ قلب دائم الخفقان
فهبني أطلت الصبر عنها لأنني   جليد ، فمن للصبر بابن ثمان ؟
ضعيف القوى لا يعرف الصبر جسمه   ولا يأتسي بالناس في الحَدَثان

وله ديوان رسائل جيد .

ومدحه البحتري بقصيدته الدالية وأحسن في وصف خطه وبلاغته ، وقال في آخرها[1] :

وأرى الخلق مجمعين على فضـ   ـلك من بين سيد ومَسُودِ
عرف العالمون فضلك بالعلـ   ـم وقال الجهال بالتقليدِ

ولأبي تمام فيه مدائح وجماعة من شعراء عصره ، ولإبراهيم بن العباس الصولي المقدم ذكره فيه مقاطيع يعبث به فيها ، فمن ذلك قوله[2] :

أخ كنت آوي منه عند ادكاره   إلى ظل آباء من العز شامخ
سعت نُوَبُ الأيام بيني وبينه   فأقلعن منه عن ظلوم وصارخ
وإني وإعدادي لدهري محمداً   كملتمسٍ إطفاءَه نار نافخ

ومن ذلك قوله أيضاً :

دعوتك عن بلوى ألمت ضرورة   فأوقدت عن طمن عليّ سعيرَها
وإني إذا أدعوك عند ملمة   كداعيةٍ عند القبور نصيرَها

وله أيضاً فيه :

أبا جعفر خَفْ نَبْوة بعد دولة   وقصّر قليلاً عن مَدى غُلَوائكا

---

١ ديوان البحتري : ٦٣٨ .

٢ الطرائف الأدبية : ١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٥٨ ، ١٦٥ .

فإن يك هذا اليوم يوماً حويته   فإن رجائي في غدٍ كرجائكا

وله فيه أيضاً :

قلت لها حين أكثرت عَذَلي :   ويحك ! أزرت بنا المروءاتُ
قالت : فأين السراة ؟ قلت لها :   لا تسألي عنهمُ فقد ماتوا
قالت : ولم ذاك ؟ قلت لها :   هـذا وزير الإمام زيات

وله أيضاً فيه :

لئن صدرت بي زورة عن محمد   بمنع لقد فارقته ومعي قَدْري
أليست يداً عندي لمثل محمد   صيانته عن مثل معروفه شكري

وله فيه أيضاً :

فإن تكن الدنيا أنالتك ثروة   فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
فقد كشف الإثراءُ منك خلائقاً   من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

وله فيه أيضاً :

من يشتري مني إخاء محمد   أم من يريد إخاءه مَجّانا
أم من يخلّص من إخاء محمد   وله مناه كائناً من كانا

وله أشياء غير ذلك ، وما زالت الأشراف تهجى وتمدح .

وفيه يقول بعضهم ، ولا أذكره الآن ، ثم ظفرت به بعد ذلك ، وهو القاضي أحمد بن أبي دواد الإيادي – المقدم ذكره[1] – وكان ابن الزيات المذكور قد هجاه بتسعين بيتاً ، فعمل القاضي أحمد فيه بيتين وهما :

أحسن من تسعين بيتاً سدى   جمعك معناهن في بيت
ما أحوجَ الملك إلى مَطْرةٍ   تغسل عنه وضَرَ الزيت

---

١ انظر ج ١ : ٨١ .

ونسب صاحب «العقد»[1] هذين البيتين إلى علي بن الجهم، والأول حكاه في «الأغاني» والله تعالى أعلم؛ [فأجابه ابن الزيات عن بيتيه بقوله، معرضاً بأن بعض أجداد القاضي كان يبيع القار :

يا أيها الطامع في هجونا نفسك قد عرضت للموت
الزيت لا يزري بأحسابنا أحسابنا معروفة البيت
قيرتم الملك فلم ننقه حتى غسلنا القار بالزيت][2]

ولما مات المعتصم وقام بالأمر ولده الواثق هارون أنشد ابن الزيات المذكور[3]:

قد قلت إذ غَيَّبُوكَ وانصرفوا في خير قبر لخير مدفون
لن يجبرَ الله أمّــةً فقدت مثلــك إلا بمثـــل هارون

وأقره الواثق على ما كان عليه في أيام المعتصم، بعد أن كان متسخطاً عليه في أيام أبيه وحلف يميناً مغلظة أنه ينكبه إذا صار الأمر إليه، فلما ولي أمر الكتاب أن يكتبوا ما يتعلق بأمر البيعة، فكتبوا فلم يرض ما كتبوه، فكتب ابن الزيات نسخة رضيها، وأمر بتحرير المكاتبات عليها، فكفر عن يمينه وقال: عن المال والفدية عن اليمين عوض، وليس عن الملك وابن الزيات عوض. فلما مات وتولى المتوكل كان في نفسه منه شيء كثير، فسخط عليه بعد ولايته بأربعين يوماً، فقبض عليه واستصفى أمواله، وكان سبب قبضه عليه أنه لما مات الواثق بالله أخو المتوكل أشار محمد المذكور بتولية ولد الواثق، وأشار القاضي أحمد ابن أبي دواد المذكور بتولية المتوكل، وقام في ذلك وقعد حتى عممه بيده وألبسه البردة وقبله بين عينيه، وكان المتوكل في أيام الواثق يدخل على الوزير المذكور فيتجهمه ويغلظ عليه في الكلام، وكان يتقرب بذلك إلى قلب الواثق فحقد المتوكل ذلك عليه، فلما ولي الخلافة خشي إن نكبه عاجلاً أن يستر أمواله فيفوته، فاستوزره ليطمئن، وجعل القاضي أحمد يغريه ويجد لذلك عنده موقعاً،

---

١ العقد ٣ : ١٩٤ .

٢ زيادة من ر ، وانظر ديوانه : ١٢ .

٣ ديوانه : ٧٦ .

فلما قبض عليه ومات في التنور – كما سيأتي ذكره – لم يجد من جميع أملاكه وضياعه وذخائره إلا ما كانت قيمته مائة ألف دينار ، فندم على ذلك ولم يجد عنه عوضاً ، وقال للقاضي أحمد : أطمعتني في باطل وحملتني على شخص لم أجد عنه عوضاً .

وكان ابن الزيات المذكور قد اتخذ تنوراً من حديد وأطراف مساميره المحدّدة إلى داخل ، وهي قائمة مثل رؤوس المسالّ ، في أيام وزارته ، وكان يعذب فيه المصادَرِين وأرباب الدواوين المطلوبين بالأموال ، فكيفما انقلب واحد منهم أو تحرك من حرارة العقوبة[1] تدخل المسامير في جسمه ، فيجدون لذلك أشد الألم ولم يسبقه أحد إلى هذه المعاقبة ، وكان إذا قال له أحد منهم أيها الوزير ارحمني ، فيقول له : الرحمة خَوَر في الطبيعة ، فلما اعتقله المتوكل أمر بإدخاله في التنور ، وقيده بخمسة عشر رطلاً من الحديد فقال : يا أمير المؤمنين ارحمني ، فقال له : الرحمة خور في الطبيعة ، كما كان يقول[2] للناس ، فطلب دواة وبطاقة فأحضرتا إليه فكتب[3] :

هي السبيل فمن يوم إلى يوم كأنه ما تُريك العينُ في النومِ
لا تجزعنّ ، رويداً إنها دول دنيا تَنَقّلُ من قوم إلى قومِ

وسيرها إلى المتوكل ، فاشتغل عنها ولم يقف عليها إلا في الغد ، فلما قرأها المتوكل أمر بإخراجه ، فجاؤوا إليه فوجدوه ميتاً ، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ، وكانت مدة إقامته في التنور أربعين يوماً ، وكان القبض عليه لثمان مضين من صفر من السنة المذكورة .

ولما مات وجد في التنور مكتوب بخطه قد خطّه بالفحم على جانب التنور يقول :

من له عهدٌ بنوم يرشد الصب إليهِ

---

١ ق : حرارة النار والعقوبة .

٢ ر : كنت تقول .

٣ ديوانه : ٦٦ .

رحم الله رحيما دل عينيّ عليه
سهرَتْ عيني ونامت عين من هنْتُ لديه

وقال أحمد الأحول : لما قبض على ابن الزيات تلطفتُ إلى أن وصلت إليه فرأيته في حديد ثقيل ، فقلت له : يعز علي ما أرى ، فقال :

سل ديار الحي من غيّرَها وعفاها ومحا منظرها
وهي الدنيا إذا ما أقبلت صيرت معروفها مُنْكَرَها
إنما الدنيا كظل مائلٍ نَحْمد الله كذا قدرها

ولما جعل في التنور قال له خادمه : يا سيدي ، قد صرت إلى ما صرت إليه وليس لك حامد ، فقال : وما نفع البرامكة صنعهم ؟ فقال : ذكرك لهم هذه الساعة ، فقال : صدقت ، رحمه الله تعالى .

٦٩٦ ب

الوزير ابن الزيات

... كان شاعراً مجيداً وفاضلاً نبيلاً ، وزر لثلاثة خلفاء من بني العباس وهم : المعتصم والواثق والمتوكل ، وكان سبب وزارته ما حكى الصولي عن سعيد بن سلم قال : ورد كتاب من الجبل على المعتصم بوصف خصب السنة وكثرة الكلإ فقال لأحمد بن عمار : ما الكلأ ؟ فلم يعرفه ، فدعا ابن عبد الملك وسأله عنه فقال : ما رطب من النبات فهو كلأ ، وإذا جف فهو حشيش ، ويسمى أول ما ينبت الرطب والبقل ، فقال لأحمد : انت انظر في الأمور والدواوين والأعمال ، وهذا يعرض عليّ ، فعرض عليه أياماً ثم استوزره ؛ وكان محمد

---

٦٩٦ ب – انفردت بها النسخة مج على هذا النحو .

المذكور قبل ذلك يلي أمور المطبخ والفرش .

وكان الواثق لما ولي أمر أن يقوم جميع الناس لابن الزيات ، ولم يجعل في ذلك رخصة لأحد ، فكان ابن أبي دواد يستعجل صلاة الضحى إذا أحس بقدومه أنفة من القيام له في دار السلطان ، وامتثالاً للأمر ، فصنع ابن الزيات :

صلّى الضحى لما استفاد عداوتي وأراه ينسك بعدها ويصومُ
لا تأمننّ عـداوة مسمومة تركتك تقعـد تارةً وتقومُ

وقد سبق شيء من خبره معه في ترجمته .

ومن شعر محمد المذكور في جاريته أم ابنه عمر ، وقد ماتت :

يقول لي الخلان لو زرت قبرها فقلت وهل غير الفؤاد لها قبرُ
على حين لم أحدث فأجهل فقدها ولم أبلغ السنّ التي معها الصبرُ

وشعره كله نخب ، ونقتصر منه على هذا القدر ففيه كفاية .

وكان أبوه زياتاً إلا أنه كان كثير المال ؛ وكان محمد المذكور شديد القسوة صعب العريكة لا يرق لأحد ولا يرحمه ، وكان يقول : الرحمة خور في الطبيعة. ووقع يوماً على رقعة رجل توسل إليه بقرب الجوار منه : الجوار للحيطان ، والتعطف للنسوان .

فلما أراد المتوكل قتله أحضره وأحضر تنور خشب فيه مسامير من حديد أطرافها إلى داخل التنور تمنع من يكون فيه من الحركة ، كان محمد اتخذه ليعذب فيه من يطالبه – وهو أول من عمل ذلك وعذب فيه ابن أسباط المصري – وقال : أجرينا فيك حكمك في الناس ، فأجلس فيه ، فمات بعد ثلاث وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ؛ وقيل انه كتب في التنور بفحمة :

من له عهد بنوم يرشد الصبّ إليه
رحم الله رحيماً دلّ عينيّ عليـه

ودفن ولم يعمق قبره فنبشته الكلاب وأكلته ، رحمه الله تعالى .

وكان الجاحظ منقطعاً إليه فخاف أن يؤخذ مع أسبابه ، فغاب وكان يقول : كدت أكون [......] . وحكى ابن أبي العيناء قال : كنت عند ابن أبي دواد بعد قتل ابن الزيات فجيء بالجاحظ مقيداً وكان في أسبابه وناحيته ، وعند ابن أبي دواد محمد بن منصور ، وهو إذ ذاك يلي قضاء فارس وخوزستان ، فقال ابن أبي دواد للجاحظ : ما تأويل هذه الآية ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذه أليم شديد ﴾ (هود : ١٠٢) فقال : تلاوتها تأويلها أعزّ الله القاضي ، فقال : جيئوا بحداد ، فقال : أعز الله القاضي ، ليفك عني أو ليزيدني ؟ فقال : بل ليفك عنك ، فجيء بالحداد وغمزه بعض أهل المجلس أن يعنف بساق الجاحظ ويطيل أمره قليلاً ، ففعل ، فلطمه الجاحظ وقال : اعمل عملَ شهر في يوم وعمل يوم في ساعة وعمل ساعة في لحظة ، فان الضرر على ساقي وليس بجذعٍ ولا ساجة ، فضحك ابن أبي دواد وأهل المجلس منه ، وقال ابن أبي دواد لمحمد بن منصور : أنا أثق بظرفه ولا أثق بدينه .

٦٩٧

أبو الفضل ابن العميد

أبو الفضل محمد بن العميد أبي عبد الله الحسين بن محمد الكاتب ، المعروف بابن العميد ، والعميد لقب[1] والده ، لقبوه بذلك على عادة أهل خراسان في إجرائه مجرى التعظيم ، وكان فيه فضل وأدب وله ترسل .

وأما ولده أبو الفضل فإنه كان وزير ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه

---

٦٩٧ – ترجمته في اليتيمة ٣ : ١٥٨ ومعاهد التنصيص ٢ : ١١٥ وتراجع أخباره في تجارب الأمم لمسكويه وأخلاق الوزيرين والامتاع ١ : ٦٦ والشذرات ٣ : ٣١ وترجمته في مج مختلفة عما ورد هنا ، وتكاد لا تلتقي في كثير من الأمور مع ما ورد في النسخ الأخرى وسنثبت أهم ما ورد فيها في الحواشي .

١ ن ر ق بر من : نعت .

الديلمي والد عضد الدولة – وقد تقدم ذكرهما[1] – وتولى وزارته عقيب موت وزيره أبي علي ابن القمي ، وذلك في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة[2] ، وكان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم ، وأما الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد في زمانه ، وكان يسمى الجاحظ الثاني ، وكان كامل الرياسة جليل المقدار ، من بعض أتباعه الصاحبُ ابن عَبّاد – المقدم ذكره – ولأجل صحبته قيل له الصاحب ، وكان له في الرسائل اليد البيضاء .

قال الثعالبي في كتاب « اليتيمة » : كان يقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد ، وقد تقدم ذكر عبد الحميد .

وكان الصاحب ابن عَبّاد قد سافر إلى بغداد، فلما رجع إليه قال له : كيف وجدتها ؟ فقال : بغداد في البلاد ، كالأستاذ في العباد ، وكان يقال له «الأستاذ» وكان سائساً مدبراً للملك قائماً بحقوقه .

وقصده جماعة من مشاهير الشعراء من البلاد الشاسعة ، ومدحوه بأحسن المدائح ، فمنهم أبو الطيب المتنبي ، ورد عليه وهو بأرّجان ، ومدحه بقصائد إحداها التي أولها[3] :

باد هواك صبرت أو لم تصبرا ... وبُكاك إن لم يجر دمعك أو جرى

ومنها عند مخلصها :

أرجانَ أيتها الجيادُ فإنه ... عزمي الذي يذر الوشيج مكسرا
لو كنت أفعل ما اشتهيت فعاله ... ما شق كوكبك العجاج الأكدرا
أمّي أبا الفضل المبرّ ، أليتي ... لأيمَنّ أجلّ بحر جوهرا

---

[1] انظر ج ٢ : ١١٨ .

[2] جاء في مج أن ركن الدولة كان واهي السياسة « قطع على بغال له خرجت إلى العلف ، فأخذ منها ستة بغال ، فقال : كم كان الحرامية ؟ فقيل : سبعة فقال : الآن يختلفون لأن البغال لا تنقسم على عددهم : فقامت سياسة ابن العميد لضبط الأمر وسد خلل ضعف صاحبه ، وله في ذلك أخبار مشهورة » .

[3] ديوان المتنبي : ٥٣٧ .

أفق برؤيته الأنام وحاش لي   من أكون مُقَصرا أو مُقْصرا

ومنها :

من مبلغ الأعراب أني بعدها   شاهدت رسطاليس والإسكندرا
وملت نحر عِشارها فأضافني   من ينحر البِدَرَ النضار لمن قَرَى
وسمعت بطلميوس دارس كتبه   متملكاً متبدياً متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما   رد الإله نفوسهم والأعصُرا
نُسِقوا لنا نسق الحساب مقدما   وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرا

وهي من القصائد المختارة . وقال ابن الهمداني في كتاب « عيون السير » : أعطاه ثلاثة آلاف دينار .

وقد استعمل أرجان بتخفيف الراء ، وهي مشددة على ما ذكره الجوهري في كتاب « الصحاح » والحازمي في كتاب « ما اتفق لفظه وافترق مسماه » وابن الجواليقي في كتاب « المعرب » . وقد سبق ذكره هذه القصيدة في ترجمة أبي الفضل جعفر بن الفرات ، وأن المتنبي نظمها فيه وهو بمصر ، فلما لم يرضه لم ينشده إياها ، فلما توجه إلى بلاد فارس صرفها لابن العميد .

وكان أبو نصر عبد العزيز بن نُباتة السعدى – المقدم ذكره[1] – قد ورد عليه وهو بالري وامتدحه بقصيدته التي أولها :

بَرْحٌ اشتياق وادكار   ولهيب أنفاس حرَار ِ
ومدامع عبراتها   ترفضّ عن نوم مُطار
لله قلبي ما يجنُّ   من الهموم وما يواري
لقد انقضى سكر الشبا   ب وما انقضى وصب الخُمار
وكبرت عن وصل الصغا   ر وما سلوت عن الصغار
سقياً لتفليسي إلى   باب الرُّصافة وابتكاري

---

١ انظر ج ٣ : ١٩٠ .

أيام أخطر في الصبا نشوان مسحوب الإزار
حَجّي إلى حُجَر الصَّرَا ة وفي حدائقها اعتماري
ومواطن اللـــذات أو طاني ودار اللهو داري

ومنهـــا :

لم يبـــق لي عيش يلذ سوى معاقرة العقـــار
حسبي بألحـــان قمر ت بهن ألحان القَماري
وإذا استهـل ابن العميـ ـد تضاءلت دِيَمُ القطار
خرق صفت أخلاقـــه صفو السبيك من النضار
فكأنمـــا رُفدت مـوا هبه بأمواج البحـــار
وكأن نَشْرَ حديثـــه نشر الخُزامى والعَرار
وكأننـــا ممـــا تفـ ـرق راحتـاه في نثار
كلف بحفظ السر تحـ ـسب صدره ليل السِّرار

ومنهـــا :

إن الكبـــار من الأمو ر تـُنال بالهمم الكبار
وإلى أبي الفضـــل انبهـ ـت هواجس النفس السواري

فتأخرت صلته عنه ، فشفع هذه القصيدة بأخرى وأتبعها برقعة ، فلم يزده ابن العميد على الإهمال مع رقة حاله التي ورد عليها إلى بابـه ، فتوسّل إلى أن دخل عليه يوم المجلس وهو حفل بأعيان الدولة ومقدمي أرباب الديوان ، فوقف بين يديه وأشار إليه بيده ، وقال : أيها الرئيس ، إني لزمتك لزوم الظل ، وذللت لك ذل النعل ، وأكلت النوى المحرق انتظاراً لصلتك ، والله ما بي من الحرمان ، ولكن شماتة الأعداء ، قوم نصحوني فاغتششتهم ، وصدقوني فاتهمتهم ، فبأي وجه ألقاهم وبأي حجة أقاومهم؟ ولم أحصل من مديح بعد مديح ومن نثر بعد نظم إلا على ندم مؤلم ويأس مسقم ؟ فإن كان للنجاح علامة فأين هي وما

هي ؟ إن الذين تحسدهم على ما مدحوا به كانوا من طينتك ، وإن الذين هجوا كانوا مثلك ، فزاحم بمنكبك أعظمهم سناماً وأنورهم شعاعاً ، وأشرفهم بقاعاً ، فحار ابن العميد وشُدِهَ ولم يدر ما يقول ، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال : هذا وقت يضيق عن الإطالة منك في الاستزادة ، وعن الإطالة مني في المعذرة ، وإذا تواهبنا ما دفعنا إليه استأنفنا ما نتحامد عليه ، فقال ابن نُباتة : أيها الرئيس ، هذه نفثة صدرٍ دَوِيّ[1] منذ زمان ، وفضلة لسان قد خرس منذ دهر ، والغني إذا مطل لئيم ، فاستشاط ابن العميد ، وقال : والله ما استوجبت هذا العتب من أحد من خلق الله تعالى ، ولقد نافرت العميد من دون ذا حتى دفعنا إلى قريّ عاتم ولجاج قاتم ، ولست ولي نعمتي فأحتملك ، ولا صنيعتي فأغضي عليك ، وإن بعض ما أقررته في مسامعي ينقض مرة الحلم ويبدد شمل الصبر ، هذا وما استقدمتك بكتاب ولا استدعيتك برسول ، ولا سألتك مدحي ولا كلفتك تقريضي ؛ فقال ابن نباتة : صدقت أيها الرئيس ما استقدمتني بكتاب ، ولا استدعيتني برسول ، ولا سألتني مدحك ، ولا كلفتني تقريضك ، ولكن جلست في صدر ديوانك بأبهتك وقلت : لا يخاطبني أحـــد إلا بالرياسة ، ولا ينازعني خلق في أحكام السياسة ، فاني كاتب ركن الدولة وزعيم الأولياء والحضرة ، والقيم بمصالح المملكة ، فكأنك دعوتني بلسان الحال ولم تدعني بلسان المقال ، فثار ابن العميد مغضباً وأسرع في صحن داره إلى أن دخل حجرته ، وتقوض المجلس وماج الناس ، وسمع ابن نُباتة وهو في صحن الدار ماراً يقول : والله إن سف التراب والمشي على الجمر أهون من هذا ، فلعن الله الأدب إذا كان بائعه مهيناً له ، ومشتريه مماكساً فيه . فلما سكن غيظ ابن العميد وثاب إليه حلمه التمسه من الغد ليعتذر إليه ويزيل آثار ما كان منه ، فكأنما غاص في سمع الأرض وبصرها ، فكانت حسرةً في قلب ابن العميد إلى أن مات .

ثم إني وجدت هذه القصيدة وصورة هذا المجلس منسوبين إلى غير ابن نُباتة ، وكشفت ديوان ابن نباتة فلم أر هذه القصيدة فيه ، والله أعلم بالصواب ، ثم

---

١ ق ر والمختار : ذوى .

وجدت في كتاب « الوزيرين »[1] تأليف أبي حيان التوحيدي هذه القصيدة لأبي محمد عبد الرزاق بن الحسين المعروف بابن أبي الثياب البغدادي اللغوي المنطيقي الشاعر ، وهذه المخاطبة لشاعر آخر من أهل الكرخ يعرف بمويه والله أعلم .

وكان أبو الفرج أحمد بن محمد الكاتب مكيناً عند مخدومه ركن الدولة ابن بُويَه ، وله الرتبة العلية لديه ، وكان ابن العميد لا يوفيه حقه من الإكرام ، فعاتبه مراراً فلم يفد ، فكتب إليه :

مالُكَ موفور فما باله ... أكسبك التيه على المعدمِ
ولِمْ إذا جئت نهضنا وإن ... جئنا تطاولت ولم تُتْمِمِ ؟
وإن خرجنا لم تقل مثل ما ... نقول قَدّمْ طِرْفَهُ قدم
إن كنت ذا علم فمن ذا الذي ... مثل الذي تعلم لم يعلم
ولست في الغارب من دولة ... ونحن من دونك في المنسم
وقد ولينا وعزلنا كما ... أنت فلم نصغر ولم تعظم
تكافأت أحوالنا كلها ... فَصل على الإنصاف أو فاصرم

وللصاحب ابن عباد فيه مدائح كثيرة ، وكان ابن العميد قد قدم مرة إلى أصبهان والصاحب فيها فكتب إليه :

قالوا ربيعك قد قدم ... قلت البشارة إن سلم
أهو الربيع أخو الشتا ... ء أم الربيع أخو الكرم
قالوا الذي بنواله ... أمن المقلُّ من العدم
قلت الرئيس ابن العميـ ... ـد إذاً ، فقالوا لي نعم

وكان ابن العميد كثير الإعجاب بقول بعضهم :

---

[1] انظر أخلاق الوزيرين : ٤٢٧ ، ٥٣٣ وفي الرواية اختلاف عما أورده ابن خلكان .

وجاءت إلى ستر على الباب بيننا مُجافٍ[1] وقد قامت عليه الولائدُ
لتسمع شعري وهو يقرع قلبها بوحيٍ تؤديه إليـه القصائد
إذا سمعت مني لطيفاً تنفست له نفساً تنقد منـه القلائد

ولابن العميد شعر ، وما أعجبني الذي وقفت عليه منه حتى أثبته[2] ، سوى ما ذكره ابن الصابي في كتاب « الوزراء » ، وهو قوله :

رأيت في الوجه طاقة بقيت سوداء عيني تحبُّ رؤيتها
فقلت للبيض إذ تروعها بالله إلا رحمت وحدتها
فقلَّ لبث السوداء في وطنٍ تكون فيه البيضاء ضرتها

وذكر له الأمير أبو الفضل الميكالي في كتاب « المنتخل » :

آخ الرجال من الأبا عد والأقاربَ لا تُقارب
إن الأقارب كالعقا رب بل أضر من العقارب

وتوفي ابن العميد المذكور في صفر ، وقيل في المحرم بالري ، وقيل ببغداد ، سنة ستين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى[3] .

وذكر أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي في كتاب « الوزراء » أنه توفي في سنة تسع وخمسين وثلثمائة ، [وكذا قال جده إبراهيم الصابي في كتاب « التاجي » ، والله أعلم][4] .

[وكان أبو الفضل ابن العميد يعتاده القولنج تارة والنقرس أخرى ، تسلمه

---

١ ر المختار ؛ بر من : يخاف .

٢ كذا قال هنا ، وفي مج : وله شعر حسن فمنه قوله في غلام قام على رأسه يظله من الشمس :

كانت تظللني من الشمس نفس أعز علي من نفسي
فأقول يا عجباً ومن عجب شمس تظللني من الشمس

٣ زاد في مج : وكان عمره قد زاد على ستين سنة يسيراً ، وكانت وزارته أربعاً وعشرين سنة ؛ وقال في مج : إنه توفي بهمذان .

٤ زيادة من ر .

هذه إلى هذه ، وقال لسائل سأله : أيها أصعب عليك وأشق ؟ قال : إذا عارضني النقرس فكأني بين فكي سبع يمضغني ، وإذا اعتراني القولنج وددت لو استبدلت النقرس عنه ، ويقال : إنه رأى أكاراً في بستان يأكل خبزاً ببصل ولبن وقد أمعن منه ، فقال : وددت لو كنت كهذا الأكار آكل ما أشتهي ؛ قلت : وهذه شيمة الدنيا ، قل أن تصفو من الشوائب][1] .

ورأيت في بعض المجاميع أن الصاحب بن عباد عبر على باب داره بعد وفاته فلم ير هناك أحداً بعد أن كان الدهليز يَغَصُّ من زحام الناس[2] ، فأنشد :

أيها الربع لمْ علاك اكتئاب أين ذاك الحجاب والحجّابُ
أين من كان يفزع الدهر منه فهو اليوم في التراب تراب
قلْ بلا رقبة وغير احتشام مات مولاي فاعتراني اكتئاب

ثم رأيت في كتاب « اليميني » للعتبي هذه الأبيات ، وقد نسبها إلى أبي العباس الضبي ، ثم قال : ويقال إنها لأبي بكر الخوارزمي ، وقد اجتاز بباب الصاحب ابن عباد ، ولا يمكن أن تكون على هذا التقدير للخوارزمي لأنه مات قبل الصاحب كما تقدم ذكره .

ومثل هذه الحكاية ما حكاه علي بن سليمان قال : رأيت بالري دار قوم لم يبق منها إلا رسم بابها ، وعليه مكتوب :

اعجب لصرف الزمان[3] معتبرا فهذه الدار من عجائبها
عهدي بها بالملوك زاهية قد سطع النور في جوانبها
تبدلَتْ وحشة بساكنها ما أوحش الدار بعد صاحبها

(223) ولما مات رتب مخدومه ركن الدولة ولده ذا الكفايتين أبا الفتح

---

١ سقط من النسخ وهو ثابت في المطبوعة المصرية .
٢ ق : الزحام بالناس .
٣ ق : الأزمان .

علياً[1] مكانه في دست الوزارة ، وكان جليلاً نبيلاً سرياً ذا فضائل وفواضل ، وهو الذي كتب إليه المتنبي الأبيات الخمسة الدالية الموجودة في ديوانه في أثناء مدائح والده ، ولا حاجة إلى ذكرها .

وذكره الثعالبي في « اليتيمة » في ترجمة والده ، وقال : كتب إلى صديق له يستهديه خمراً مستوراً عن والده «قد اغتنمت الليلة – أطال الله بقاءك يا سيدي – رقدة من عين الدهر ، وانتهزت فرصة من فرص العمر ، وانتظمت مع أصحابي في سمط الثريا ، فإن لم تحفظ علينا هذا النظام ، باهداء المدام ، عدنا كبنات نعش والسلام » وذكر له مقاطيع من الشعر . ولم يزل أبو الفتح المذكور في وزارة ركن الدولة إلى أن توفي في التاريخ المذكور في ترجمته في حرف الحاء ، وقام بالأمر ولده مؤيد الدولة فاستوزره أيضاً ، وأقام على ذلك مدة مديدة ، وكانت بينه وبين الصاحب ابن عباد منافسة ، ويقال : إنه أغرى قلب مؤيد الدولة عليه ، فظهر له منه التنكر والإعراض ، وقبض عليه في بعض شهور سنة ست وستين وثلثمائة ، وله في اعتقاله أبيات شرح فيها حاله . وقال الثعالبي : اجتاح ماله وقطع في العقوبة أنفه وجز لحيته – وقال غيره : وقطع يديه – فلما أيس من نفسه وعلم أنه لا مخلص له مما هو فيه ولو بذل جميع ما تحتوي عليه يده ، فتق جيب جبة كانت عليه واستخرج منها رقعة فيها تذكرة بجميع ما كان له ولوالده من الذخائر والدفائن[2] ، وألقاها في النار ، فلما علم أنها احترقت قال للموكل به : افعل ما أمرت به . فوالله لا يصل إلى صاحبك من أموالنا درهم واحد ، فما زال يعرضه على أنواع[3] العذاب حتى تلف ، وكان القبض عليه يوم الأحد ثامن عشر ربيع الآخر سنة ست وستين وثلثمائة ، وكانت ولادته سنة سبع وثلثمائة .

[ولما انصرف أهل خراسان في سنة خمس وخمسين وثلثمائة أيام الغزاة من الري بعد الحادثة التي جرت هناك – وهي واقعة مشهورة ودفع الله شرها –

---

١ ترجمة أبي الفتح في اليتيمة ٣ : ١٨٥ ومعجم الأدباء ١٤ : ١٩١ ونكت الهميان : ٢١٥ وتاريخ ابن خلدون ٤ : ٤٥٢ وراجع أخلاق الوزيرين للتوحيدي .

٢ ر ق بر من : والدفاتر .

٣ أنواع : سقطت من ر ق والمختار .

شرع الرئيس أبو الفضل ابن العميد في بناء حائط عظيم حول دار مخدومه ركن الدولة، فقال له عارض الجيش: هذا كما يقال: الشد بعد الضراط، فقال ابن العميد: هذا أيضاً جيد، لئلا تنفلت أخرى، فاستحسن منه هذا الجواب][1].

وفيه يقول بعض أصحابه:

آلَ العميد وآل بَرْمَكَ مالكم قلَّ المعينُ لكم وذل الناصرُ
كان الزمانُ يحبكم فبدا له إن الزمان هو الخؤون الغادر

وتولى موضعه الصاحب ابن عباد – وقد تقدم ذكره في ترجمته فينظر هناك في حرف الهمزة[2].

وكان أبو الفتح المذكور قبل أن يقتل بمدة قد لهج بانشاد هذين البيتين:

دخل الدنيا أناس قبلنا رحلوا عنها وخلوها لنا
ونزلناها كما قد نزلوا ونخليها لقوم بعدنا

[ومن المنسوب إلى أبي الفتح ابن العميد:

يقول ليَ الواشون: كيف تحبها؟ فقلت لهم: بين المقصر والغالي
ولولا حذاري منهم لصدقتهم فقلت: هوى لم يهوه قط أمثالي
وكم من شفيق قال: مالك واجما؟ فقلت: ترى ما بي وتسأل عن حالي][3]

(224) وكان أبو حيان علي بن محمد التوحيدي البغدادي[4] قد وضع كتاباً سماه «مثالب الوزيرين» ضمنه معايب أبي الفضل ابن العميد المذكور والصاحب

---

١ لم يرد هذا في النسخ الخطية، وهو قلق في موضعه.

٢ انظر ج ١: ٢٢٨.

٣ لم يرد في النسخ الخطية.

٤ البغدادي: سقطت من ق ر بر من والمختار، وفي ترجمة التوحيدي يراجع معجم الأدباء ١٥: ٥ وميزان الاعتدال ٢: ٣٥٥ وشد الازار: ٥٣ وطبقات السبكي ٤: ٢ ولسان الميزان ٦: ٣٦٩ وبغية الوعاة: ٣٤٨ وروضات الجنات: ٧١٤ وعنه كتبت دراسات متعددة في السنوات الأخيرة.

ابن عباد ، وتحامل عليهما وعدد نقائصهما ، وسلبهما ما اشتهر عنهما من الفضائل والإفضال ، وبالغ في التعصب عليهما وما انصفهما ، وهذا الكتاب من الكتب المحدودة ، ما ملكه أحد إلا وتعكست أحواله ، ولقد جربت ذلك وجربه غيري على ما أخبرني مَنْ أثق به . وكان أبو حيان المذكور فاضلاً مصنفاً له من الكتب المشهورة « الإمتاع والمؤانسة » في مجلدين ، وكتاب « البصائر والذخائر » ، وكتاب « الصديق والصداقة » في مجلد واحد ، وكتاب « المقابسات »[1] في مجلد أيضاً ، وكتاب « مثالب الوزيرين » في مجلد واحد أيضاً ، وغير ذلك ، وكان موجوداً في السنة الأربعمائة ، ذكر ذلك في كتاب « الصديق والصداقة » .

والتوحيدي : بفتح التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وكسر الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة ، ولم أر أحـداً ممن وضع كتب الأنساب تعرض إلى هذه النسبة ، لا السمعاني ولا غيره ، لكن يقال إن أباه كان يبيع التوحيد ببغداد ، وهو نوع من التمر بالعراق ، وعليه حمل بعض من شرح ديوان المتنبي قوله :

يترشفْنَ من فمي رشفات هُنَّ فيه أحلى من التوحيدِ

والله أعلم بالصواب .

٦٩٨

ابن مقلة

أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مُقْلَة الكاتب المشهور؛ كان في أول أمره يتولى بعض أعمال فارس ويجبي خراجها ، وتنقلت أحواله إلى أن استـــوزره

---

١ ن ق بر من : المقايسات .

٦٩٨ – أخباره في ثمار القلوب ٢١٠ – ٢١٢ ورسالة في الكتابة للتوحيدي والوافي ١ : ١٦٨ والمنتظم ٦ : ٣٠٩ و جـ ٨ من ابن الأثير والشذرات ٢ : ٣١٠ وعبر الذهبي ٢ : ٢١١ والفخري : ٢٤٣ وتحفة أولي الألباب : ٤٣ وما بعدها ؛ ولم ترد هذه الترجمة في مج .

الإمام المقتدر بالله ، وخلع عليه لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ست عشرة وثلثمائة ، وقبض عليه يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثماني عشرة وثلثمائة ، ثم نفاه إلى بلاد فارس بعد أن صادره ، ثم استوزره الإمام القاهر بالله ، فأرسل إليه إلى فارس رسولاً يجيء به ، ورتب له نائباً عنه ، فوصل ابن مقلة من فارس بكرة يوم الخميس عيد[1] الأضحى من سنة عشرين وثلثمائة ، وخلع عليه ، ولم يزل وزيره حتى اتهمه بمعاضدة علي بن بليق على الفتك به ، وبلغ ابن مقلة الخبر ، فاستتر في أول شعبان من سنة إحدى وعشرين وثلثمائة .

ولما ولي الراضي بالله ، لست خلون من جمادى الأولى من سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ، استوزره أيضاً لتسع خلون من جمادى الأولى من السنة المذكورة ، وكان المظفر بن ياقوت مستحوذاً على أمور الراضي ، وكان بينه وبين أبي علي الوزير وحشة ، فقرر ابن ياقوت المذكور مع الغلمان الحجرية أنه إذا جاء الوزير أبو علي قبضوا عليه ، وأن الخليفة لا يخالفهم في ذلك ، وربما سره هذا الأمر ، فلما حصل الوزير في دهليز دار الخلافة وثب الغلمان عليه ومعهم ابن ياقوت المذكور ، فقبضوا عليه وأرسلوا إلى الراضي يعرفونه صورة الحال ، وعددوا له ذنوباً وأسباباً تقضي ذلك ، فرد جوابهم وهو يستصوب رأيهم فيما فعلوه ، وذلك في يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وثلثمائة ، واتفق رأيهم على تفويض الوزارة إلى عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح ، فقلده الراضي الوزارة ، وسلم إليه أبا علي بن مُقْلة ، فضربه بالمقارع وجرى عليه من المكاره بالتعليق وغيره من العقوبة شيء كثير ، وأخذ خطه بألف ألف دينار ، ثم خلص وجلس بطالاً في داره .

ثم إن أبا بكر محمد بن رائق استولى على الخلافة ، وخرج عن طاعتها فأنفذ إليه الراضي واستماله ، وفوض إليه تدبير المملكة وجعله أمير الأمراء وورد[2] إليه تدبير أعمال الخراج والضياع في جميع النواحي ، وأمر أن يخطب له على جميع

---

١ الخميس عيد : سقطت من ن ر ق ؛ وهذا النص كله موجز في بر من .

٢ المختار : وفوض .

المنابر ، فقوي أمره وعظم شأنه وتصرف على حسب اختياره ؛ واحتاط على أملاك ابن مقلة المذكور وضياعه وأملاك ولده أبي الحسين ، فحضر إليه ابن مُقلة وإلى كاتبه وتذلل لهما في معنى الإفراج عن أملاكه ، فلم يحصل منهما إلا على المواعيد ، فلما رأى ابن مُقلة ذلك أخذ في السعي بابن رائق المذكور من كل جهة ، وكتب إلى الراضي يشير عليه بإمساكه والقبض عليه، وضمن له أنه متى فعل ذلك وقلده الوزارة استخرج له ثلثمائة ألف ألف دينار ، وكانت مكاتبته على يد علي بن هارون المنجم النديم – المقدم ذكره[1] – فأطمعه الراضي بالإجابة إلى ما سأل ، وترددت الرسائل بينهما في ذلك ، فلما استوثق ابن مقلة من الراضي اتفقا على أن ينحدر إليه سراً ويقيم عنده إلى أن يتم التدبير ، فركب من داره وقد بقي من شهر رمضان ليلة واحدة ، واختار هذا الطالع لأن القمر يكون تحت الشعاع ، وهو يصلح للأمور المستورة ، فلما وصل إلى دار الخليفة لم يمكّنه من الوصول إليه ، واعتقله في حجرة ، ووجه الراضي من غدٍ إلى ابن رائق ، وأخبره بما جرى ، وأنه احتال على ابن مُقْلة حتى حصله في أسره وترددت بينهما المكاتبات في ذلك .

فلما كان رابع عشر شوال سنة ست وعشرين وثلثمائة ، أظهر الراضي أمر ابن مقلة وأخرجه من الاعتقال ، وحضر حاجب ابن رائق وجماعة من القواد وتقابلا ، وكان ابن رائق قد التمس قطع يده اليمنى التي كتب بها تلك المطالعة، فلما انتهى كلامهما في المقابلة قطعت يده اليمنى ورد إلى محبسه ، ثم ندم الراضي على ذلك وأمر الأطباء بملازمته للمداواة ، فلازموه حتى برىء ، وكان ذلك نتيجة دعاء أبي الحسن محمد بن شنبوذ المقرىء عليه بقطع اليد – وقد تقدم ذكر سبب ذلك في ترجمته – وذلك من عجيب الاتفاق .

وقال أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الطبيب ، وكان يدخل عليه لمعالجته : كنت إذا دخلت عليه في تلك الحال يسألني عن أحوال ولده أبي الحسين ، فأعرفه استتاره وسلامته ، فتطيب نفسه ، ثم ينوح على يده ويبكي ويقول : خدمت بها الخلفاء وكتبت بها القرآن الكريم دفعتين ، تقطع كما تقطع

---

١ انظر ج ٣ : ٣٧٥ .

أيدي اللصوص ؟ فأسليه وأقول له : هـــذا انتهاء المكروه وخاتمة القطوع ، فينشدني ويقول :

إذا ما مات بعضك فابك بعضا فإن البعضَ[1] من بعض قريبُ

ثم عاد وراسل الراضي من الحبس بعد قطع يده وأطمعه في المال وطلب الوزارة وقال : إن قطع اليد ليس مما يمنع الوزارة ، وكان يشد القلم على ساعده ويكتب به .

ولما قدم[2] بَجْكم التركي من بغداد ، وكان من المنتمين إلى ابن رائق أمر بقطع لسانه أيضاً فقطع ، وأقام في الحبس مدة طويلة ثم لحقه ذرَبٌ ، ولم يكن له من يخدمه ، فكان يستقي الماء لنفسه من البئر ، فيجذب بيده اليسرى جذبة وبفمه الأخرى . وله أشعار في شرح حاله ومـــا انتهى أمره إليـــه ورثاء يده والشكوى من المناصحة وعدم تلقيها بالقبول ، فمن ذلك قوله :

ما سئمت الحيـاة لكن توثقـ ـت بأيمـانهم فبانت يمـيـني
بعتُ ديني لهم بدنياي حتى حرموني دنياهمُ بعـد ديـني
ولقد حُطْتُ ما استطعت بجهدي حفظ أرواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمـين لذةُ عيش يا حيـاتي بانت يميني فبيني

ومن المنسوب إلى ابن مقلة أيضاً :

لست ذا ذلة إذا عضني الدهـ ـر ولا شامخـاً إذا واتاني
أنا نار في مرتقى نَفَس الحا سدِ ماءٌ جارٍ مع الإخوانِ

وفي الوزير المذكور يقول بعضهم :

وقالوا العزلُ للوزراء[3] حيض لحـاه الله من أمر بغيضِ

---

[1] بر من : فبعض الشيء .
[2] بر : قرب .
[3] بر : للاخوان ؛ ق ر : للأحرار .

ولكن الوزير أبا علي من اللائي يئسن من المحيضِ

ومن شعره أيضاً ما قاله الثعالبي في « يتيمة الدهر » :

وإذا رأيت فتى بأعلى رتبة في شامخ من عزه المترفعِ
قالت ليَ النفس العروف بقدرها ما كان أولاني بهذا الموضعِ

ولم يزل على هذه الحال إلى أن توفي في موضعه يوم الأحد عاشر شوال ، سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ، ودفن في مكانه ، ثم نبش بعد زمان وسلم إلى أهله . وكانت ولادته يوم الخميس بعد العصر ، لتسع بقين من شوال سنة اثنتين وسبعين ومائتين ، ببغداد ، رحمه الله تعالى .

وقد تقدم طرف من خبره في ترجمة ابن البواب الكاتب ، وأنه أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين إلى هذه الصورة هو أو أخوه ، على الخلاف المذكور في ترجمة ابن البواب ، وأن ابن البواب تبع طريقته ونقح أسلوبه .

ولابن مقلة ألفاظ منقولة مستعملة ، فمن ذلك قوله : إذا أحببتُ تهالكت ، وإذا أبغضت أهلكت ، وإذا رضيتُ آثرت ، وإذا غضبت أثرت . ومن كلامه أيضاً : يعجبني من يقول الشعر تأدباً لا تكسبا ، ويتعاطى الغناء تطرباً لا تطلبا . وله كل معنى مليح في النظم والنثر . وكان ابن الرومي الشاعر –المتقدم ذكره – يمدحه فمن معانيه المقولة فيه قوله :

إن يخدم القلمَ السيف الذي خضعت له الرقابُ وَدانتْ خوفه الأممُ
فالموتُ ، والموت لا شيء يعادله ما زال يتبع ما يجري به القلم
كذا قضى الله للأقلام مذ بريت أن السيوف لها مذ أرهفت خَدَم
وكل صاحب سيف دائماً أبداً ما يزال يتبع ما يجري به القلم

(225) وكان أخوه أبو عبد الله الحسن بن علي بن مقلة كاتباً أديباً بارعاً ، والصحيح أنه صاحب الخط المليح ، ومولده يوم الأربعاء طلوع الفجر ، سلخ شهر رمضان سنة ثمان وسبعين ومائتين . وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ثمان

وثلاثين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

(226) وأما ابن رائق ، فإن الحافظ ابن عساكر ذكر في « تاريخ دمشق » أنه قدمها في ذي الحجة سنة سبع وعشرين وثلثمائة وذكر أن الإمام المقتفي بالله ولاه أمر دمشق ، وأخرج منها بدر بن عبد الله الإخشيدي ، ثم توجه إلى مصر ، وتواقع هو وصاحبها محمد بن طُغْج الإخشيد – المقدم ذكره – فهزمه[1] الإخشيد فرجع إلى دمشق، ثم توجه إلى بغداد وقتل بالموصل سنة ثلاثين وثلثمائة، وقيل إن بني حمدان قتلوه بالموصل[2] ، قتله ناصر الدولة الحسن – المقدم ذكره .

٦٩٩

ابن بقية

الوزير أبو الطاهر محمد بن محمد بن بقية بن علي، الملقب نصير الدولة، وزير عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه – المقدم ذكره[3] – كان من جلة الرؤساء ، وأكابر الوزراء ، وأعيان الكرماء . وقد تقدم في ترجمة عز الدولة طرف من خبره في قضية الشمع ، وأن الشماع لما سئل عن راتب عز الدولة في الشمع كم كان ، فقال: كان راتب وزيره محمد بن بقية ألف منّ في كل شهر، فإذا كان هذا راتب الشمع خاصة مع قلة الحاجة إليه ، فكم يكون غيره مما تشتد الحاجة إليه ؟

وكان من أهل أوانا من أعمال بغداد ، وكان في أول أمره قد توصل إلى أن صار صاحب مطبخ معز الدولة والد عز الدولة ، ثم تنقل إلى غيرها من الخدم .

---

١ ق : فقهره .

٢ ق : صلبوه وقتلوه .

٦٩٩ – أخباره في تاريخ ابن الأثير (ج : ٨) وتجارب الأمم (ج : ٢) وراجع الامتاع والمؤانسة (ج : ١) والشذرات ٣ : ٦٣ ؛ وبعد سطرين من بداية هذه الترجمة وقع في النسخة مج خرم ضاعت به أوراق حتى أول ترجمة منصور بن إسماعيل الفقيه .

٣ انظر ج ١ : ٢٧٦ .

ولما مات معز الدولة وأفضى الأمر إلى عز الدولة حسنت حـاله عنده ، ورعى خدمته لأبيه ، وكان فيه توصل وسعة صدر ، وتقدم إلى أن استوزره عز الدولة يوم الاثنين لسبع ليال خلون من ذي الحجة سنة اثنتين وستين وثلثمائة .

ثم إنه قبض عليه لسبب اقتضى ذلك يطول شرحه ؛ وحاصله أنه حمله على محاربة ابن عمه عضد الدولة ، فالتقيا على الأهواز وكُسر عز الـدولة ، فنسب ذلك إلى رأيه ومشورته ، وفي ذلك يقول أبو غسان الطبيب بالبصرة :

أقام على الأهواز خمسين ليلة يدبر أمر الملك حتى تَدَمَّرا
فدبر أمراً كان أوله عَمَّى وأوسطه بلوى وآخره خرا

وكان قبضه يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ست وستين وثلثمائة بمدينة واسط، وسمل عينيه ولزم بيته. وكان في مدة وزارته يبلغ عضد الدولة ابن بويه عنه أمور يسوءه سماعها، منها أنه كان يسميه أبا بكر الغددي[1] تشبيهاً له برجل أشقر أزرق أغمش يسمى أبا بكر كان يبيع الغدد برسم السنانير ببغداد ، وكان عضد الدولة بهذه الحلية وكان الوزير يفعل ذلك تقرباً إلى قلب مخدومه عز الدولة لما كان بينه وبين ابن عمه عضد الدولة من العداوة، فلما قتل عز الدولة – كما وصفناه في ترجمته – وملك عضد الدولة بغداد ودخلها طلب ابن بقية المذكور وألقاه تحت أرجل الفيلة ، فلما قتل صلبه بحضرة البيمارستان العضدي ببغداد ، وذلك في يوم الجمعة لست خلون من شوال سنة سبع وستين وثلثمائـة ، رحمه الله تعالى .

وقال ابن الهمداني في كتاب « عيون السير » : لما استوزر عزُّ الدولة بختيار ابن بويه ابنَ بقية المذكور ، بعد أن كان يتولى أمر المطبخ ، قال الناس : من الغضارة إلى الوزارة ، وستر كرمُه عيوبه ، وخلع في عشرين يوماً عشرين ألف خلعة ، قال أبو إسحاق الصابي : رأيته وهو يشرب في بعض الليالي ، وكلما لبس خلعة خلعها على أحد الحاضرين ، فزادت على مائتي خلعة ، فقالت له مغنيته[2] :

---

١ بر : العذري ؛ وقد حولت « سنانير » إلى « بساتين » لتوافق هذه اللفظة ، في بعض الأصول .

٢ ر ق : مغنية .

يا سيدي الوزير في هذه الثياب زنابير ما تدعها تثبت على جسمك ، فضحك وأمر لها بحقة حليّ . وهو أول وزير لقب بلقبين ، فإن الإمام المطيع لقبه بالناصح ، ولقبه ولده الطائع بنصير الدولة .

ولما جرت الحرب بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة قبض عز الدولة عليه وسمله وحمله إلى عضد الدولة مسمولاً ، فشهره عضد الدولة وعلى رأسه برنس ، ثم أمر بطرحه للفيلة فقتلته ، ثم صلبه عند داره بباب الطاق ، وعمره نيف وخمسون سنة . ولما صلب رثاه أبو الحسن محمد بن عمر بن يعقوب الأنباري أحد العدول ببغداد بقوله :

علو في الحياة وفي الممات ... لحقٌ أنت إحدى المعجزاتِ
كأن الناس حولك حين قاموا ... وفود نَدَاك أيام الصِّلات
كأنك قائم فيهم خطيباً ... وكلهمُ قيامٌ للصَّلاة
مددت يديك نحوهم احتفاءً ... كمدهما[1] إليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن ... يضم علاك من بعد الممات
أصاروا الجو قبرك واستنابوا ... عن الأكفان ثوب السافيات
لعظمك في النفوس تبيت تُرعى ... بحفاظ وحراس ثقات
وتُشْعَلُ عندك النيران ليلا ... كذلك كنت أيام الحياة
ركبت مطية من قبلُ زيدٌ ... علاها في السنين الماضيات
وتلك فضيلة فيها تأسٍّ ... تباعد عنك تعييرَ العداة
ولم أر قبل جذعك قط جذعاً ... تمكن من عناق المكرمات
أسأت إلى النوائب فاستثارت ... فأنت قتيلُ ثأر النائبات
وكنت تجير من صَرف الليالي ... فعاد مطالباً لك بالتِّرات
وصيَّر دهرك الإحسان فيه ... إلينا من عظيم السيئات
وكنت لمعشر سعداً ، فلما ... مضيت تفرقوا بالمنحسات

١ ر ق والمختار : كمدكها .

غليل باطنٌ لك في فؤادي يخفف بالدموع الجاريات
ولو أني قدرت على قيام لفرضك والحقوق الواجبات
ملأت الأرض من نظم القوافي ونحت بها خلاف النائحات
ولكني أصبّر عنك نفسي مخافة أن أعد من الجناة
وما لك تربة فأقول تسقى لأنك نُصْبُ هَطْل الهاطلات
عليك تحية الرحمن تترى برحمات غوادٍ رائحات

ولم يزل[1] ابن بقية مصلوباً إلى أن توفي عضد الدولة – في التاريخ المذكور في ترجمته في حرف الفاء[2] – فأنزل عن الخشبة ، ودفن في موضعه ، فقال فيه أبو الحسن ابن الأنباري صاحب المرثية المذكورة :

لم يُلْحِقوا بك عاراً إذ صلبت بلى باءوا بإثمك ثم استرجعوا ندما
وأيقنوا أنهم في فعلهم غلطوا وأنهم نصبوا من سؤدد علما
فاسترجعوك وواروا منك طَوْدَ علا بدفنه دفنوا الافضال والكرما
لئن بليتَ فلا يبلى نداك ولا يُنسى ، وكم هالك يُنسى إذا عدما
تقاسم الناس حسن الذكر فيك كما ما زال مالُكَ بين الناس منقسما

قال الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » : لما صنع أبو الحسن المرثية التائية كتبها ورماها في شوارع بغداد ، فتداولتها الأدباء[3] ، إلى أن وصل الخبر إلى عضد الدولة ، فلما أنشدت بين يديه تمنى أن يكون هو المصلوب دونه ، فقال : عليَّ بهذا الرجل ، فطلب سنة كاملة ، واتصل الخبر بالصاحب ابن عباد وهو بالري فكتب له الأمان ، فلما سمع أبو الحسن ابن الأنباري بذكر الأمان قصد حضرته فقال له : أنت القائل هذه الأبيات ؟ قال : نعم ، قال : أنشدنيها من فيك ، فلما أنشد :

---

١ ق : قال الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ولم يزل ...الخ .
٢ انظر ج ٤ : ٥٤ .
٣ ق : فتداولها الناس والأدباء .

ولم أر قبل جذعك قط جذعا تمكن من عناق المكرمات

قام إليه الصاحب وعانقه وقبل فاه ، وأنفذه إلى عضد الدولة ، فلما مثل بين يديه قال له : ما الذي حملك على مرثية عدوي ؟ فقال : حقوق سلفت وأياد مضت ، فجاش الحزن في قلبي فرثيت ، فقال : هل يحضرك شيء في الشموع ، والشموع تزهر بين يديه ، فأنشأ يقول :

كأن الشموع وقد أظهرت من النار في كل رأس سنانا
أصابعُ أعدائك الخائفين تضرّعُ تطلب منك الأمانا

فلما سمعها خلع عليه وأعطاه فرساً وبدرة ؛ انتهى كلام الحافظ ابن عساكر رحمه الله .

(227) قلت : قوله في الأبيات :

ركبت مطية من قبل زيد علاها في السنين الماضيات

زيد هذا هو أبو الحسين زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وكان قد ظهر في أيام هشام بن عبد الملك في سنة اثنتين وعشرين ومائة ، ودعا إلى نفسه ، فبعث إليه يوسف بن عمر الثقفي والي العراقين يومئذ جيشاً مقدمه العباس المري ، فرماه رجل منهم بسهم فأصابه فمات ، وصلب بكناسة الكوفة[1] ، ونقل رأسه إلى البلاد . وقال ابن قانع : كان ذلك في صفر سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقيل سنة اثنتين وعشرين ومائة في صفر أيضاً ، بالكوفة ، ولزيد من العمر اثنان وأربعون سنة يومئذ . وقال ابن الكلبي في كتاب « جمهرة النسب » : إن زيد بن علي رضي الله عنهما أصابه سهم في جبهته فاحتمله أصحابه ، وكان ذلك عند المساء ، ثم دعوا الحجام فانتزع النشابة[2] وسالت نفسه ، رضي الله عنه . وذكر أبو عمرو الكندي في كتاب « أمراء مصر » أن أبا الحكم ابن أبي الأبيض العبسي[3] قدم إلى مصر برأس زيد

١ ق ر : وصلب بالكوفة . ٢ ق والمختار : السهم .
٣ كذا في ق ر والكندي : ٨١ وورد في ن والخطط : القيسي .

ابن علي خطيباً يوم الأحد لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين ومائة ، واجتمع إليه الناس في المسجد ، وهو صاحب المشهد الذي بين مصر وبركة قارون ، بالقرب من جامع ابن طولون يقال : إن رأسه مدفون به ، والله أعلم بالصواب .

(228) وقتل ولده يحيى بن زيد سنة خمس وعشرين ومائة ، وقصته مشهورة بالجوزجان ، قتله سالم بن أحوز المازني ، وقيل جهم بن صفوان صاحب الجهمية[1] .

وهذه القصيدة اتفق العلماء على أنه لم يعمل في بابها مثلها . وقد ذكر أبو تمام أيضاً حال المصلوبين في قصيدته التي مدح بها المعتصم لما صلب الأفشين خيذر ابن كاوس مقدم قواده وبابك ومازيار في سنة ست وعشرين ومائتين ، وقصتهم مشهورة ، فمنها قوله[2] :

ولقد شفى الأحشاء من بُرَحائها | إذ صار بابك جار مازيّارِ
ثانيه في كبد السماء ولم يكن | كاثنين ثان إذ هما في الغار
وكأنما انتبَذا لكيما يطويا | عن ناطس خبراً من الأخبار
سود اللباس كأنما نَسَجتْ لهم | أيدي السموم مدارعاً من قار
بكروا وأسروا في متون ضوامر | قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومَنْ رآهم خالهم | أبداً على سفر من الأسفار

وقبل هذا في وصف الأفشين خاصة :

رمقوا أعاليَ جذعه فكأنما | رمقوا الهلالَ عشية الإفطار

وهي من القصائد الطنانة . والأفشين مشهور فلا حاجة إلى ضبطه ؛ وهو بكسر الهمزة وفتحها ، واسمه خيذر – بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة وبعدها راء – وإنما قيدته لأنه يتصحف على كثير من الناس بحيدر ، بالحاء المهملة .

---

١ ق : وقتل أيضاً جهم بن صفوان صاحب (بياض) .

٢ ديوان أبي تمام ٢ : ٢٠٧ .

(229) ومن شعر أبي الحسن الأنباري المذكور في الباقلى الأخضر قوله[1] :

فصوص زمرّد في غلف در بأقماع حكت تقليم ظفرِ
وقد خلع الربيع لها ثيابا لها لونان من بيض وخُضْر

وقد ذكره الخطيب في « تاريخ بغداد »[2] ، وقال : إنه من المقلين في الشعر ، رحمه الله تعالى .

٧٠٠
الوزير فخر الملك

أبو غالب محمد بن علي بن خلف ، الملقب فخر الملك ، وزير بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة بن بويه ، وبعد وفاته وزر لولده سلطان الدولة أبي شجاع فَنَّاخُسْرو . وكان فخر الملك المذكور من أعظم وزراء آل بويه على الإطلاق بعد أبي الفضل محمد بن العميد والصاحب بن عباد – المقدم ذكرهما – وكان أصله من واسط ، وأبوه صيرفياً ، وكان واسع النعمة فسيح مجال الهمة جم الفضائل والإفضال جزيل العطايا والنوال ، قصده جماعة من أعيان الشعراء ومدحوه ، وقَرَّضُوه بنخب المدائح ، منهم أبو نصر عبد العزيز بن نباتة الشاعر – المقدم ذكره – له فيه قصائد مختارة ، منها قصيدته النونية التي من جملتها يقول :

لكل فتى قرين حين يسمو وفخر الملك ليس له قرينُ
أنخْ بجنابه واحكم عليه بما أملته فأنا الضمين

---

١ ورد البيتان في حلبة الكميت : ٢٣٥ منسوبين للصنوبري وانظر ديوانه ٤٨٠ .
٢ تاريخ بغداد ٣ : ٣٥ .
٧٠٠ – أخباره في المنتظم ٧ : ٢٨٦ والوافي ٤ : ١١٨ ومواضع متفرقة من ابن الاثير (ج : ٩) وعبر الذهبي ٣ : ٩٧ والشذرات ٣ : ١٨٥ .

أخبرني بعض علماء الأدب أن بعض الشعراء امتدح فخر الملك بعد هـذه القصيدة ، فأجازه إجازة لم يرضها ، فجاء الشاعر إلى ابن نُباتة ، وقال له : أنت غررتني[1] ، وأنا ما مدحته إلا ثقة بضمانك ، فتعطيني ما يليق بمثل قصيدي ، فأعطاه من عنده شيئاً رضي به ، فبلغ ذلك فخر الملك ، فسير لابن نباته جملة مستكثرة لهذا السبب .

ويقرب من معنى هذين البيتين في شدة الوثوق بالعطاء قول المتنبي :

وثقنا بأن تُعْطي فلو لم تجد لنا　　لخلناك قد أعطيت من قوة الوهم

ويحكى في هذا المعنى أيضاً أن بعض الشعراء مدح بعض الأكابر بقصيدة ، فلما أصبح كتب إليه :

لم أعالجك بالرقاع إلى أن　　عاجَلَتْني رقاعُ أهل الديونِ
علموا أنني بمدحك أمسيـ　　ـت مليّاً فأصبحوا يرفعوني[2]

ومن جملة مداحه المهيار بن مرزويه الكاتب الشاعر المشهور – وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى – وفيه يقول قصيدته الرائية التي منها[3] :

أرى كبدي وقد بردت قليلاً　　أمات الهم أم عاش السرورُ
أم الأيامُ خافتني لأني　　بفخر الملك منها أستجير

ومدائحه كثيرة ، ولأجله صنف أبو بكر محمد بن الحسن الحاسب الكرجي[4] كتاب « الفخري » في الجبر والمقابلة ، وكتاب « الكافي » في الحساب .

ورأيت في بعض المجاميع أن رجلاً شيخاً رفع إلى فخر الملك المذكور قصة

---

١ ر والمختار : غريتني .

٢ ن : يقتضوني .

٣ ديوان مهيار ١ : ٣٥٨ .

٤ الكرجي : كذا في ر والمختار ، والمشهور أنه الكرخي ، (كما في بعض النسخ) ، وانظر فصلا عن جهوده في الرياضيات في كتاب تراث العرب العلمي لقدري طوقان ص : ٢٤٩ .

سعى فيها بهلاك شخص ، فلما وقف فخر الملك عليها قلبها وكتب في ظهرها : « السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة ، فان كنت أجريتها مجرى النصح ، فخسرانك فيها أكثر من الربح ، ومعاذ الله أن نقبل من مهتوك في مستور ، ولولا أنك في خفارة من شيبك لقابلناك بما يشبه مقالك ، ونردع به أمثالك ، فاكتم هذا العيب ، واتق من يعلم الغيب ، والسلام » .

وذكر أبو منصور الثعالبي في كتاب « تتمة يتيمة الدهر » للأشرف بن فخر الملك قوله[1] :

مرَّ بيَ الموكبُ لكنني   لم أر فيه قمر الموكبِ
قل لأمير الجيش يا سيدي   ما لأمير الحسن لم يركب

ومحاسن فخر الملك كثيرة ، ولم يزل في عزه وجاهه وحرمته إلى أن نقم عليه مخدومه سلطان الدولة المذكور بسبب اقتضى ذلك ، فحبسه ثم قتله بسفح جبل قريب من الأهواز ، يوم السبت ، وقيل يوم الثلاثاء ، لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعمائة ، ودفن هناك ، ولم يستقص في دفنه فنبشت الكلاب قبره وأكلته ، ثم أعيد دفن رمته ، فشفع فيه بعض أصحابه فنقلت عظامه إلى مشهد هناك فدفنت فيه في سنة ثمان وأربعمائة .

[وقال أبو عبد الله أحمد بن القادسي في « أخبار الوزراء » : وكان الوزير فخر الملك قد أهمل بعض الواجبات فعوقب سريعاً ، وذلك أن بعض خواصه قتل رجلاً ظلماً ، فتصدت له زوجة المقتول تستغيث ، فلم يلتفت إليها ، فلقيته ليلة في مشهد باب التبن وقد حضر للزيارة ، فقالت له : يا فخر الملك ، القصص التي أرفعها إليك ولا تلتفت إليها صرت أرفعها إلى الله ، وأنا منتظرة خروج التوقيع من جهته ، فلما قبض عليه قال : لا شك أن توقيعها خرج ، واستدعي إلى مضرب سلطان الدولة ، ثم قبض عليه وعدل به إلى خركاه ، وقد أحيط على أمواله وخزائنه وكراعه وولده وأصحابه ، وقتل في التاريخ المذكور أعلاه ، وأخذ من ماله ستمائة ألف دينار ونيف وثلاثون ألف دينار ، وقيل إنه وجد

١ انظر تتمة اليتيمة ١ : ٥٦ — ٥٧ .

له ألف ألف ومائتا ألف دينار منطبعة .

ورثاه الشريف الرضي بأبيات مـا اخترت منها شيئاً حتى أثبته هاهنا][1] فسبحان اللطيف الخبير ، الفعال لما يريد . ومولده بواسط يوم الخميس الثـاني والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وثلثمائة ، وقد استوفى هلال ابن الصابي أخباره في تاريخه ، والله تعالى أعلم بالصواب .

٧٠١

أبو نصر ابن جهير

أبو نصر محمد بن محمد بن جهير ، الملقب فخر الدولة مؤيد الدين الموصلي الثعلبي؛ كان ذا رأي وعقل وحزم وتدبير ، خرج من الموصل لأمر يطول شرحه ، وصار ناظر الديوان بحلب ، ثم صرف عنه وانتقل إلى آمد ، وأقام بها مدة بطالا ، ثم توصل إلى أن وزر للأمـير[2] نصر الدولة أحمـد بن مروان الكردي صاحب مَيّافارقين وديار بكر – وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمة نصر الدولة – وكان نافذ الكلمة مطاع الأمر ، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي نصر الدولة في التاريخ المذكور في ترجمته ، وقام بالأمر ولده نظام الدين ، فأقبل عليه وزاد في إكرامه فرتب أمور دولته وأجراها على الأوضاع التي كانت في أيام أبيه .

ثم خطر له التوجه إلى بغداد ، فعمل على ذلك ، وكان يكاتب الإمام القائم بأمر الله ، ولم يزل يتوصل ويبذل الأموال حتى خرج إليه نقيب النقباء ابن طراد الزينبي ، فقرر معه ما أراد تقريره ثم خرج لوداعه ، ويمم إلى بغداد ، وأرسل

---

١ انفردت ق بما بين معقفين .

٧٠١ – أخباره في تاريخ ابن الأثير (ج : ١٠) وابن خلدون ٤ : ٣٢٠ وتاريخ الدولة السلجوقية : ٦٢ والمنتظم ٩ : ٥٤ والفخري : ٢٦٠ والوافي ١ : ١٢٢ وعبر الذهبي ٣ : ٣٠٤ والشذرات ٣ : ٣٦٩ .

٢ ر : استوزره الأمير .

ابن مروان خلفه من يرده فلم يقدر عليه ، فلما بلغها تولى وزارة القائم بدلاً من أبي الغنائم ابن دارست[1] في سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، ودام فيها إلى أن توفي القائم ، وتولى ولد ولده المقتدي بأمر الله فأقره على الوزارة مدة سنين ، ثم عزله عنها يوم عرفة الأمير أبو الغنائم ابن دارست ، باشارة الوزير نظام الملك ، وكان ولده عميد الدولة شرف الدين أبو منصور محمد ينوب عنه فيها ، فلما عزل والده خرج هو إلى نظام الملك أبي الحسن وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي — المقدم ذكره — واسترضاه وأصلح حاله معه وعاد إلى بغداد ،وتولى الوزارة مكان أبيه .

وخرج أبوه فخر الدولة في سنة ست وسبعين إلى جهة السلطان ملكشاه المذكور باستدعائه إياه ، فعقد له على ديار بكر ، وسار معه الأمير أرتق بن أكسب صاحب حلوان —المقدم ذكره— في جماعة من التركمان والأكراد والأمراء، فلما وصلوا إلى ديار بكر فتح ولده أبو القاسم زعيم الرؤساء مدينة آمد بعد حصار شديد ، ثم فتح أبوه فخر الدولة مَيّافارقين بعد ثلاثة أشهر من فتح آمد وكان أخذها من ناصر الدولة أبي المظفر منصور بن نظام الدين ، واستولى على أموال بني مروان وذلك في سنة تسع وسبعين وأربعمائة. ومن عجيب الاتفاق أن منجماً حضر إلى ابن مروان نصر الدولة ، وحكم له بأشياء ، ثم قال له : ويخرج على دولتك رجل قد أحسنت إليه ، فيأخذ الملك من أولادك ، فأفكر ساعة ثم رفع رأسه إلى فخر الدولة وقال : إن كان هذا القول صحيحاً فهو الشيخ هذا ، ثم أقبل عليه وأوصاه على أولاده ، فكان الأمر كما قال ، فإنه وصل إلى البلاد وكان فتحها على يديه كما ذكرنا ، والشرح في ذلك يطول .

وكان رئيساً جليلاً ، خرج من بيتهم جماعة من الوزراء والرؤساء ، ومدحهم أعيان الشعراء ، فمنهم أبو منصور علي بن الحسن[2] المعروف بصَرّدُرّ ، أنفذ إلى فخر الدولة المذكور من واسط عند تقلده الوزارة قصيدة ، وهي من مشاهير القصائد ، وأولها[3] :

---

١ بدلا ... دارست : سقطت من ن ر .   ٢ ر ق : الحسين .

٣ الديوان : ٥٦ وانفذها اليه سنة ٤٥٥ وفيها يعرض بابن دارست .

لجاجةُ قلبٍ ما يُفيق غرورها	وحاجةُ نفسٍ ليس يُقضى يسيرها
وقفنا صفوفاً في الديار كأنها	صحائفُ ملقاةٌ ونحن سطورها
يقول خليلي والظباءُ سوانح :	أهذا الذي تهوى ؟ فقلت : نظيرها
لئن شابهت أجيادها وعيونها	لقد خالفت أعجازها وصدورها
فيا عجبا منها يصدُّ أنيسها	ويدنو على ذعر إلينا نَفُورها
وما ذاك إلا أن غزلانَ عامرٍ	تيقّنُ أن الزائرين صقورها
ألم يكفها ما قد جنته شموسها	على القلب حتى ساعدتها بُدورُها
نكصنا على الأعقاب خوف إناثها	فما بالها تدعو نَزالِ ذكورها
ووالله ما أدري غداة نظرننا	أتلك سهام أم كؤوس تديرها
فإن كن من نبلٍ فأين حفيفها ؟	وإن كن من خمر فأين سرورها ؟
أيا صاحبيَّ استأذنا ليَ خُمْرها	فقد أذنت لي في الوصول خدورها
هباها تجافت عن خليل يروعها	فهل أنا إلا كالخيال يزورها
وقد قلتما لي ليس في الأرض جنة	أما هذه فوق الركائب حُورُها
فلا تحسبا قلبي طليقاً فإنما	لها الصدر سجن وهو فيه أسيرها
يعز على الهيم الخوامس وردها	إذا كان ما بين الشفاه غديرها
أراكَ الحمى قل لي بأي وسيلة	توسّلتَ حتى قبلتْكَ ثغورها

ومن مديحها :

أعدت إلى جسم الوزارة روحه	وما كان يُرجى بعثها ونشورها
أقامت زماناً عند غيرك طامثاً	وهذا الزمان قرؤها وطهورها
من الحق أن يُحْبَى بها مستحقها	ويُنْزَعَها مردودة مستعيرها
إذا ملك الحسناء من ليس كفؤها	أشار عليها بالطلاق مشيرها

وأنشده أيضاً لما عاد إلى الوزارة في صفر سنة إحدى وستين وأربعمائة بعد العزل ، وكان المقتدي بالله قد أعاده إلى الوزارة بعد العزل وقبل الخروج إلى

السلطان ملكشاه ، فعمل فيه صردر هذه القصيدة[1] :

قد رجع الحق إلى نصابهِ وأنت من كل الورى أولى بهِ
ما كنت إلا السيف سلته يد ثم أعادتــه إلى قرابه
هزّته حتى أبصرته صارماً رونقه يغنيـه عن ضرابه
أكرم بها وزارة ما سلمت ما استودعت إلا إلى أربابه
مشوقة إليك مـنذ فارقتها شوق أخي الشيب إلى شبابه
مثلك محسود ولكن معجزٌ أن يدرك البارق في سحابه
حاولها قوم ومن هذا الذي يخرج ليثاً خادراً من غابه
يُدْمي أبو الأشبال من زاحمه في خِيسه بظفره ونابه
وهل سمعتَ أو رأيتَ لابساً ما خلع الأرقم من إهابه

ومنها :

تيقنوا لمـا رأوها صَعْبة[2] أن ليس للجو سوى عقابه
إن الهلال يرتجى طلوعه بعد السّرار ليلة احتجابه
والشمس لا يُؤيسُ من طلوعها وإن طواها الليل في جنابه
ما أطيب الأوطان إلا أنهـا للمرء أحـلى أثر اغترابه
كم عودةٍ دلت على دوامها والخـلد للإنسان في مآبه
لو قرب الدرُّ على جالبـه ما لَجَّجَ الغائص في طلابه
ولو أقـام لازماً أصدافه لم تكن التيجان في حسابه
ما لؤلؤ البحر ولا مَرْجانه إلا وراء الهول من عبابه

وهي قصيدة طويلة اقتصرنا منها على هذا القدر .

وقد سبق في ترجمة سابور بن أردشير ثلاثة أبيات كتبها إليه أبو إسحاق

١ ديوانه : ٦٣ .

٢ ق ر والمختار : صنعة ؛ بر : ضيعة .

الصابي لما عاد إلى الوزارة بعد العزل ، ولم يعمل في هذا الباب مثلها .

ومن مدحه أيضاً القائد أبو الرضا الفضل بن منصور الشريف الفارقي ، وفيه عمل الأبيات الحائية المشهورة ، وهي :

يا قالةَ الشعر قد نصحت لكم ... ولست أدهى إلا من النصحِ
قد ذهب الدهرُ بالكرام وفي ... ذاك أمورٌ طويلةُ الشرح
وأنتمُ تمدحون بالحسن والـ ... ظرف[1] وجوهاً في غاية القبح
وتطلبون السماح من رجل ... قد طُبعت نفسه على الشح
من أجل ذا تحرمون كدكمُ ... لأنكم تكذبون في المدح
صونوا القوافي فما أرى أحداً ... يعثر فيه الرجاء بالنجح
فإن شككتم فيما أقول لكم ... فكذبوني بواحد سمح
سوى الوزير الذي رياسته ... تعرك أذْنَ الزمان بالملح

وكانت ولادة فخر الدولة المذكور في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة بالموصل ؛ وتوفي بها في شهر رجب ، وقيل في المحرم ، سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ودفن في تل توبة ، وهو تل في قبالة الموصل يفصل بينهما عرض الشط ، رحمه الله تعالى. وكان قد عاد إلى ديار ربيعة متولياً من جهة ملكشاه أيضاً في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ، فأول ما ملك نصيبين في شهر رمضان من هذه السنة ، ثم ملك الموصل وسنجار والرحبة والخابور وديار ربيعة أجمع ، وخطب له على منابرها[2] نيابة عن الموصل إلى أن توفي .

(230) وأما ولده عميد الدولة المذكور فقد ذكره محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه فقال : انتشر عنه الوقار والهيبة والعفة وجودة الرأي ، وخدم ثلاثة من الخلفاء ووزر لاثنين منهم ، وكان عليه رسوم كثيرة وصلات جمة ، وكان نظام الملك يصفه دائماً بأوصاف عظيمة ، ويشاهده بعين الكافي الشهم ، ويأخذ رأيه في أهم الأمور ويقدمه على الكفاة والصدور ، ولم يكن يعاب بأشد من الكبر

١ ق : بالظرف والحسن .
٢ ق : المناير .

الزائد ، فإن كلماته كانت محفوظة مع ضنه بها ، ومَنْ كلمه بكلمة قامت عنده مقام بلوغ الأمل، فمن جملة ذلك ما قاله لولد الشيخ الإمام أبي نصر ابن الصباغ: اشتغل وتأدب ، وإلا كنت صباغاً بغير أب ، انتهى كلام ابن الهمداني .

وكان نظام الملك الوزير قد زوجه زبيدة ابنته ، وكان قد عزل عن الوزارة ثم أعيد إليها بسبب المصاهرة ، وفي ذلك يقول الشريف أبو يعلى ابن الهَبّارية – المقدم ذكره – :

قل للوزير ولا تُفزعك هيبته   وإن تعاظم واستولى لمنصبهِ
لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثانية   فاشكر حراً صرت مولانا الوزير به

ووجدت بخط أسامة بن منقذ – المقدم ذكره – أن السابق بن أبي مهزول الشاعر المعري قال : دخلت العراق واجتمعت بابن الهَبّارية ، فقال لي في بعض الأيام : امض بنا لنخدم الوزير ابن جهير ، وكان قد عزل ثم استوزر ، قال السابق : فدخلت معه حتى وقفنا بين يدي الوزير ، فدفع إليه رقعة صغيرة ، فلما قرأها تغير وجهه ورأيت فيه الشر ، وخرجنا من مجلسه فقلت : ما كان في الرقعة ؟ فقال : خير ، الساعة تضرب رقبتي ورقبتك ، فأشفقت وقلقت ، وقلت : أنا رجل غريب صحبتك هذه الأيام ، وسعيت في هلاكي ، فقال : كان ما كان . فقصدنا باب الدار لنخرج فردّنا البواب ، فقال : أمرت بمنعكما ، فقال السابق : أنا رجل غريب من أهل الشام ما يعرفني الوزير ، وإنما القصد هذا ، فقال البواب : لا تطوّل فما إلى خروجك من سبيل ، فأيقنت بالهلاك ، فلما خفّ الناس من الدار خرج إليه غلام معه قرطاس فيه خمسون ديناراً وقال : قد شكرنا فاشكر ، فانصرفنا ، ودفع لي عشرة دنانير منها ، فقلت : ما كان في الرقعة ؟ فأنشدني البيتين المذكورين ، فآليت أن لا أصحبه بعدها .

ولعميد الدولة شعر ذكره في « الخريدة » لكنه غير مرضي ، وذكره ابن السمعاني في كتاب « الذيل »؛ ومدحه خلق كثير من شعراء عصره ، وفيه يقول صردر المذكور قصيدته العينية المشهورة التي أولها[1] :

---

[1] ديوانه : ٦٧ .

قد بان عذرك والخليط مودّع | وهوى النفوس مع الهوادج يرفعُ
لك حيثما سمتِ الركائب لفتة | أترى البدور بكل واد تطلع
في الظاعنين من الحمى ظبي له الـ | ـأحشاء مرعّى والمآقي مكرع
ممنوعُ أطراف الجمال رقيبه | حذراً عليه من العيون البرقع
عهد الحبائلَ صائداتٍ شبهه | فارتاع فهو لكل حبل يقطع
لم يدر حامي سربه أني إذا | حرم الكلام له لساني الأصبع
وإذا الطيوف إلى المضاجع أرسلت | بتحية منه فعيني تسمع

وهذه القصيدة طويلة ، وهي من غرر الشعر ، وقوله فيها :

عهد الحبائل صائدات شبهه | فارتاع فهو لكل حبل يقطع

نظير قول ابن الحمارة الأندلسي :

عن النوم سل عيناً به طال عهدها | وكان قليلاً في ليالٍ قلائلِ
إذا ظن وكراً مقلتي طائرُ الكرى | رأى هُدْبَها فارتاع خوف الحبائل

ولا أدري أيهما أخذ من الآخر ، لأني لم أقف على تاريخ وفاة ابن الحمارة حتى أعرف عصره[1] . ويجوز أن يكون ذلك بطريق التوارد على هذا المعنى من غير أن يأخذ أحدهما من الآخر .

وعزل عميد الدولة المذكور عن الوزارة وحُبس وقيّد في شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، وتوفي في شوال من السنة ، وإليه كتب أبو الكرم ابن العلاف الشاعر قوله :

ولولا مدائحنا لم تبن[2] | فعالُ المسيءِ من المحسنِ
فهبك احتجبت عن الناظرين | فهلا احتجبت عن الألسنِ

---

١ المشهور بهذا الاسم أبو عامر ابن الحمارة تلميذ ابن باجة الاندلسي في الغناء والموسيقى (انظر ترجمته في بغية الملتمس : ٥١٧ والمغرب ٢ : ١٢٠ وصفحات متفرقة من نفح الطيب) .
٢ ق ر والمختار : تكن .

(231) وتوفيت زوجته بنت نظام الملك المذكور في شعبان سنة سبعين وأربعمائة وكان تزوجها في سنة اثنتين وستين وأربعمائة . وتوفي سنة ثلاث وتسعين في حصن مقابل لتل بها[1] .

(232) ولصردر أيضاً في زعيم الرؤساء أبي القاسم ابن فخر الدولة قصيدته القافية التي أولها[2] :

صبّحها الدمع ومساها الأرَق هل بين هذين بقاء للحدق

وهي بديعة مختارة مشهورة فلا حاجة إلى التطويل في الإتيان بها ؛ وتولى زعيم الرؤساء أبو القاسم ابن فخر الدولة وزارة الإمام المستظهر بالله ، في شعبان من سنة ست وتسعين وأربعمائة ، ولقبه نظام ، وقيل قوام ، الدين .

وجهير : بفتح الجيم وكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ، وقال السمعاني : بضم الجيم ، وهو غلط ، يقال رجل جَهير بَيِّنُ الجهارة ، أي ذو منظر ، ويقال أيضاً جهير الصوت بمعنى جهوري الصوت ، والله تعالى أعلم بالصواب .

٧٠٢

ظهير الدين الروذراوري

أبو شجاع محمد بن الحسين بن محمد[3] بن عبد الله بن إبراهيم ، الملقب ظهير الدين ، الرُّوذْراوَري الأصل الأهوازي المولد ؛ قرأ الفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وقرأ الأدب ، وولي الوزارة للإمام المقتدي بأمر الله بعد عزل عميد

---

١ كذا وهو مغاير لما سبق.   ٢ ديوانه : ١١٠ .

٧٠٢ – أخباره في تاريخ ابن الأثير (ج : ١٠) والفخري : ٢١٤ والوافي ٣ : ٣ والمنتظم ٩ : ٩٠ والخريدة (قسم العراق) ١ : ٧٧ وطبقات السبكي ٣ : ٥٧ .

٣ بن محمد : سقطت من ر ق .

الدولة أبي منصور ابن جَهير المذكور قبله في ترجمة أبيه فخر الدولة ، وذلك في سنة ست وسبعين وأربعمائة ، وعزل عنها يوم الخميس تاسع عشر صفر سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، وأعيد عميد الدولة ابن جَهير . ولما قرأ أبو شجاع التوقيع بعزله أنشد :

تولاها وليس له عدو وفارقها وليس له صديقُ

وخرج بعد عزله ماشياً يوم الجمعة من داره إلى الجامع ، وانثالت عليه العامة تصافحه وتدعو له ، وكان ذلك سبباً[1] لإلزامه بالقعود في داره ، ثم خرج إلى رُوذْراوَر وهي موطنه قديماً ، فأقام هناك مدة ، ثم خرج إلى الحج في الموسم[2] سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، وخرجت العرب على الركب الذي هو فيه بقرب الربذة ، فلم يسلم من الرفقة سواه، وجاور بعد الحج بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلى أن توفي في النصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، ودفن بالبقيع عند القبة التي فيها قبر إبراهيم عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكانت ولادته سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

قال العماد الكاتب في « الخريدة » في حقه : وكان عصره أحسن العصور ، وزمانه أنضر[3] الأزمان، ولم يكن في الوزراء من يحفظ أمر الدين وقانون الشريعة مثله ، صعباً شديداً في أمور الشرع ، سهلاً في أمور الدنيا ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

ثم قال : ذكره ابن الهمداني في « الذيل »[4] فقال : كانت أيامه أوفى الأيام سعادة للدولتين، وأعظمها بركة على الرعية ، وأعمها أمناً وأشملها رخصاً وأكملها صحة ، لم يغادها[5] بؤس ولم تشبها مخافة ، وقامت للخلافة في نظره من الحشمة

---

١ ق : سبيلا .

٢ ق : موسم .

٣ ر : أفضل ؛ بر من : أحسن .

٤ ق ر : المذيل .

٥ ق ر ن بر من : يغادرها .

والاحترام ، ما أعادت سالف الأيام ، وكان أحسن الناس خطاً ولفظاً .

وذكره الحافظ ابن السمعاني في « الذيل » فقال : كان يرجع إلى فضل كامل وعقل وافر ورزانة ورأي صائب ، وكان له شعر رقيق مطبوع ، أدركته حرفة الأدب ، وصُرف عن الوزارة وكلف لزوم البيت ، فانتقل من بغداد إلى جوار النبي صلى الله عليه وسلم ، وأقام بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام إلى حين وفاته ، وزرت قبره غير مرة عند قبر إبراهيم ابن نبينا ، صلى الله عليه وسلم ، بالبقيع ؛ ثم قال السمعاني بعد ذلك : سمعت من أثق به يقول إن الوزير أبا شجاع وقت أن قرب أمره وحان ارتحاله من الدنيا حمل إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، فوقف عند الحظيرة وبكى وقال : يا رسول الله ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما﴾ (النساء : ٦٤) ولقد جئتك معترفاً بذنوبي وجرائمي أرجو شفاعتك ، وبكى ورجّع وتوفي من يومه .

وله شعر حسن مجموع في ديوان ، فمن ذلك[١] قوله :

لأعذّبن العينَ غيرَ مفكّرٍ ... فيها بكت بالدمع أو فاضت دما
ولأهجرنّ من الرقاد لذيذَهُ ... حتى يعودَ على الجفون محرّما
هي أوقعتني في حبائلِ فتنةٍ ... لو لم تكنْ نظرتْ لكنت مسلّما
سفكت دمي فلأسفكن دموعها ... وهي التي بدأت فكانت أظلما

وإلى هذا المعنى ينظر قول بعضهم :

يا عين ما ظلم الفؤادُ ... ولا تعدّى في الصنيعِ
جرعته مرّ الهوى ... فمحا سوادَكِ بالدموعِ[٢]

وله أيضاً :

وإني لأبدي في هواك تجلداً ... وفي القلب مني لوعة وغليلُ

١ بر من : فمن شعره .

٢ وإلى هذا ... بالدموع : ثبت في النسخ الخطية ولم يرد في المطبوعة المصرية .

فلا تحسبي أني سلوت فربما ... تُرى صحة بالمرء وهو عليلُ[1]

وله أيضاً[2] :

أيذهب جلُّ العمر بيني وبينكم ... بغير لقاء ؟ إن ذا لشديدُ

فإن يسمحِ الدهر الخؤون بوصلكم ... على فاقتي إني إذاً لسعيدُ

وعمل ذيلاً على كتاب « تجارب الأمم » ، تأليف أبي علي أحمد بن محمد المعروف بمسكويه ، وهو التاريخ المشهور بأيدي الناس .

وقال محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه : وظهر منه من التلبس في الدين وإظهاره وإعزاز أهله والرأفة بهم والأخذ على أيدي الظلمة ما أذكرَ به عدل العادلين ؛ وكان لا يخرج من بيته حتى يكتب شيئاً من القرآن العظيم ويقرأ في المصحف ما تيسر . وكان يؤدي زكاة أمواله الظاهرة في سائر أملاكه وضياعه واقطاعه ويتصدق سراً . وعرضت عليه رقعة فيها : إن الدار الفلانية بدرب القيّار ، فيها امرأة معها أربعة أيتام وهم عراة جياع ، فاستدعى صاحباً له وقال له : مُرّ واكسهم وأشبعهم ، وخلع أثوابه وحلف : لا لبستها ولا دفئت حتى تعود إلي وتخبرني أنك كسوتهم وأشبعتهم . ولم يزل يُرْعد إلى أن جاء صاحبه وأخبره بذلك ؛ وكانت له مبار كثيرة .

والرُّوذْرَاوريّ : بضم الراء وسكون الواو والذال المعجمة وفتح الراء والواو بينهما ألف في آخرها راء أخرى ، هذه النسبة إلى رُوذْرَاوَر ، وهي بليدة[3] بنواحي همذان ، والله تعالى أعلم .

---

١ لم يرد إلا في بر من .

٢ بر من : ومن شعره أيضاً .

٣ ق ن بر من : بلدة .

٧٠٣

عميد الملك الكندري

أبو نصر محمد بن منصور بن محمد ، الملقب عميد الملك الكندري ؛ كان من رجال الدهر جوداً وسخاء وكتابة وشهامة ، واستوزره السلطان طُغْرلبَك السلجوقي — المقدم ذكره — ونال عنده الرتبة العالية والمنزلة الجليلة ، ولم يكن لأحد من أصحابه معه كلام ، وهو أول وزير كان لهذه الدولة ، ولم تكن له منقبة إلا صحبة إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد الجويني الفقيه الشافعي صاحب « نهاية المطلب » على ما ذكره السمعاني في ترجمة أبي المعالي في كتاب « الذيل » فإنه قال — بعد الإطناب في وصف إمام الحرمين وذكر تنقله في البلاد — ثم قال : وخرج إلى بغداد وصحب العميد الكندري أبا نصر مدة يطوف معه ويلتقي في حضرته بالأكابر من العلماء ويناظرهم ، وتحنك بهم حتى تهذب في النظر ، وشاع ذكره[1] .

وذكره شيخنا ابن الأثير في تاريخه[2] في سنة ست وخمسين وأربعمائة وقال : إن الوزير المذكور كان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقيعة في الشافعي ، رضي الله عنه ، حتى بلغ من تعصبه أنه خاطب السلطان ألب أرسلان السلجوقي في لعن الرافضة على منابر خراسان ، فأذن في ذلك ، فلعنهم وأضاف إليهم الأشعرية ، فأنف من ذلك أئمة خراسان ، منهم أبو القاسم القشيري وإمام الحرمين الجويني وغيرهما ، ففارقوا خراسان ، وأقام إمام الحرمين بمكة شرفها الله تعالى أربع سنين يدرس ويفتي ، فلهذا قيل له إمام الحرمين فلما جاءت الدولة

---

٧٠٣ — أخباره في تاريخ ابن الأثير (ج : ٩ ، ١٠) وأخبار الدولة السلجوقية واللباب : (الكندري) وعبر الذهبي ٣ : ٢٤٠ والشذرات ٣ : ٣٠١ .

١ زاد في ن : قلت : وهذا خلاف ما ذكره شيخنا .. الخ فانه قال .

٢ انظر تاريخ ابن الأثير ١٠ : ٣٣ .

النظامية أحضر من انتزح منهم وأكرمهم وأحسن إليهم ؛ وقيل إنه تاب عن الوقيعة في الشافعي ، فإن صح فقد أفلح .

وكان عميد الملك ممدّحاً مقصداً للشعراء ، مدحه جماعة من أكابر شعراء عصره ، منهم أبو الحسن علي بن الحسن الباخرزي – المقدم ذكره – والرئيس أبو منصور علي بن الحسن بن علي بن الفضل ، الكاتب المعروف بصردر – المقدم ذكره أيضاً – وفيه يقول قصيدته النونية ، وهي[1] :

أكذا يُجازَى ود كل قرينِ ... أم هذه شِيَمُ الظباءِ العينِ
قُصُّوا عليَّ حديثَ من قتلَ الهوى ... إن التأسي رَوْحُ كلّ حزينِ
ولئن كتمتم مشفقين لقد درى ... بمصارع العذري والمجنون
فوق الركاب ولا أطيل مشبها ... بل ثم شهوة أنفس وعيون
هُزّتْ قدودهمُ وقالت للصبا ... هزُؤاً أعند البان مثل غصوني
ووراء ذياك المقبل مورد ... حصباؤه من لؤلؤ مكنون
إما بيوت النحل بين شفاههم ... منظومة[2] أو حانة الزرجون
ترمي بعينيك الفجاج مقلباً ... ذات الشمال بها وذات يمين
لو كنت زرقاءَ اليمامة ما رأت ... من بارق حياً على جيرون
شكواك من ليل التمام وإنما ... أرَقي بليل ذوائب وقرون
ومعنفٍ[3] في الوجد قلت له اتئد ... فالدمع دمعي والحنين حنيني
ما نافعي إذ كان ليس بنافعي ... جاه الصبا وشفاعة العشرين
لا تطرقنْ خجلاً للومة لائم ... ما أنت أول حازمٍ[4] مفتون
أأسومهم ، وهم الأجانبُ ، طاعةً ... وهوايَ بين جوانحي يعصيني

---

١ ديوانه : ٥٣ .

٢ ق بر من : منضودة .

٣ ق ر بر من والمختار : ومعنفي .

٤ بر : حاذر .

ديني على ظبياتهم ما يُقتضى فبأي حكم يقتضون رهوني
وخشيتُ من قلبي الفرارَ إليهمُ حتى لقــد طالبتـه بضمين
كلّ النكال أطيق إلا ذلـةً إن العزيز عذابـه بالهون
يا عين مثل قَـذاك رؤيةُ معشرٍ عــارٌ على دنيـاهمُ والدين
لم يشبهوا الإنسان إلا أنهم متكونون من الحمـا المسنون
نجس العيون فإن رأتهم مقلتي طهرتُها فنزحت ماء جفوني
أنا إن همُ حسبوا الذخائر دونهم وهمُ إذا عدوا الفضائل دوني
لا يشمتِ الحسادَ أن مطامعي عادت إليّ بصفقــة المغبون
ما يستدير البدر إلا بعدما أبصرته في الضمر كالعرجون
هذا الطريق اللحبُ زاجرُ ناقتي واليمُّ قاذفُ فلكيَ المشحون
فإذا عميدُ الملك حَلّى ربعـه ظفراً بفـأل الطـائر الميمون
ملك إذا ما العزمُ حث جياده مَرِحَتْ بأزهرَ شامخ العرنين
بأغرّ مـا أبصرت نور جبينه إلا اقتضاني بالسجودِ جبيني
تجلو النواظرُ في نواحي دستـه والسرج بدرَ دجًى وليثَ عرين
عمت فضائله البريـة فالتقى شكر الغنيّ ودعوة المسكين
قالوا وقـد شنوا عليه غارة أصِلات جود أم قضاء ديون
لو كان في الزمن القديم تظلمت منه الكنوز إلى يَدَي قارون
أما خزائن مالــه فمباحـة فاستوهبوا من علمـه المخزون[1]
ما الرزق محتاجاً بعرصته إلى طلب وليس الأجرُ بالممنون
أقسمتُ أن ألقى المكارمَ عالماً أني برؤيتـه أبر يميني
ساس الأمور فليس يخلي رغبـة من رهبـةٍ ، وبسالة من لـين
كالسيف رونق أثرِهِ في مَتنـه ومضاؤه في حـده المسنون
شهدت علاه أن عنصر ذاته مسك وعنصر غيره من طين

---

١ سقط البيت من ن ر ق .

وكان إنشاده إياه[1] هذه القصيدة عند وصول عميد الملك إلى العراق ، وهو في دَسْتِ وزارته وعلو منصبه ، وهذه القصيدة من الشعر الفائق المختار وقد أثبتُّها بكمالها ما خلا ثلاثة أبيات فإنها لم تعجبني فأهملتها ، وقد وازن هذه القصيدة جماعة من الشعراء منهم ابن التعاويذي – المقدم ذكره – وازنه بقصيدته التي أولها :

إن كان دينك في الصبابة ديني   فقِفِ المطي برملَتَيْ يَبْرِينِ

وهي من القصائد النادرة ، وأرسلها من العراق إلى الشام ممتدحاً بها السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، ولولا خوف الإطالة لأثبتها ، ثم ذكرتها في ترجمة صلاح الدين يوسف بن أيوب فتطلب هناك ؛ ووازنه أيضاً ابن المعلم – المقدم ذكره – بقصيدته التي أولها :

ما وقفة الحادي على يَبْرِينِ   وهو الخليُّ من الظباء العينِ

وهي أيضاً قصيدة جيدة ، وقد ذكرت بعضها في ترجمته ، وقد وازنها الأبله أيضاً ، وبالجملة فما قاربها إلا ابن التعاويذي ، وقد خرجنا عن المقصود ، ولكن انتشر الكلام فلم يكن بد من استيفائه .

ولم يزل عميد الملك في دولة طُغْرُلبَك عظيم الجاه والحرمة ، إلى أن توفي طغرلبك – في التاريخ المذكور في ترجمته – وقام في المملكة ابن أخيه ألب أرسلان – المقدم ذكره – فأقره على حاله وزاد في إكرامه ورتبته ، ثم إنه سيره إلى خوارزم شاه ليخطب له ابنته ، فأرجف أعداؤه أنه خطبها لنفسه ، وشاع ذلك بين الناس فبلغ عميد الملك الخبر ، فخاف تغير قلب مخدومه عليه ، فعمد إلى لحيته فحلقها وإلى مذاكيره فجبَّها ، فكان ذلك سبب سلامته من ألب أرسلان ، وقيل إن السلطان خصاه ، فلما فعل ذلك عمل أبو الحسن علي بن الحسن الباخَرْزي المذكور في ترجمته قوله :

قالوا محا السلطان عنه بَعْدكم   سمةَ الفحولِ وكانَ قَرْماً صائِلا

---

[1] إياه : سقطت من رق .

قلتُ اسكتوا فالآن زاد فُحولةً لما اغتدى من أنثييه عاطلا
فالفحلُ يأنف أن يُسمى بعضهُ أنثى ، لذلك جذّه مستاصلا

وهذا من المعاني الغريبة البديعة .

ثم إن ألب أرسلان عزله من الوزارة في المحرم من سنة ست وخمسين وأربعمائة لسبب يطول شرحه ، وفوض الوزارة إلى نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي المقدم ذكره. وحبس عميد الملك بنيسابور في دار عميد خراسان، ثم نقله إلى مرو الروذ وحبسه في داره ، فكان في حجرة تلك الدار عياله ، وكانت له بنت واحدة لا غير ، فلما أحس بالقتل دخل الحجرة وأخرج كفنه وودع عياله وأغلق باب الحجرة واغتسل وصلى ركعتين ، وأعطى الذي همّ بقتله مائة دينار نيسابورية وقال : حقي عليك أن تكفنني في هذا الثوب الذي غسلته بماء زمزم ، وقال لجلاده : قلْ للوزير نظام الملك : بئس ما فعلت ، علّمت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ، ومن حفر مَهْواة وقع فيها ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ؛ ورضي بقضاء الله المحتوم .

وقتل يوم الأحد سادس عشر ذي الحجة سنة ست وخمسين وأربعمائة وعمره يومئذ نيف وأربعون سنة ، فعمل في ذلك الباخَرْزي الشاعر المذكور مخاطباً للسلطان ألب أرسلان :

وعمك أدناه وأعلى محله وبوأه من ملكه كنفاً رحبا
قضى كل مولى منكما حق عبده فخوله الدنيا وخولته العقبى

ومن العجائب أنه دفنت مذاكيره بخوارزم ، وأريق دمه بمروالروذ ، ودفن جسده بقريته كندر ، وجمجمته ودماغه بنيسابور ، وحشيت سوأته بالتبن ونقلت إلى كِرْمان ، وكان نظام الملك هناك ، ودفنت ثمّ ، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر ، بعد أن كان رئيس عصره ، رحمه الله تعالى .

والكُنْدُري : بضم الكاف وسكون النون وضم الدال المهملة وبعدها راء ، هذه النسبة إلى كندر ، وهي قرية من قرى طُرَيْثيث – بضم الطاء المهملة وفتح

الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر الثاء المثلثة وسكون الياء المثناة من تحتها أيضاً وبعدها ثاء مثلثة – وهي كورة من نواحي نيسابور ، خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم ، والله تعالى أعلم بالصواب .

٧٠٤

الوزير الجواد جمال الدين

أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور ، الملقب جمال الدين المعروف بالجواد الأصفهاني ، وزير صاحب الموصل ؛ كان جده أبو منصور فهّاداً للسلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – فتأدب ولده وسَمَتْ همته ، فاشتهر أمره وخدم في مناصب علية وصاهر الأكابر ، فلما ولد له جمال الدين المذكور عني بتأديبه وتهذيبه ، ثم ترتب في ديوان العرض للسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – فظهرت كفايته وحمدت طريقته ، فلما تولى أتابك زنكي بن آق سنقر – المقدم ذكره – الموصل وما والاها استخدم جمال الدين المذكور وقربه واستصحبه معه إليها ، فولاه نصيبين ، فظهرت كفايته ، وأضاف إليه الرحبة ، فأبان عن كفاية وعفة ، وكان من خواصه وأكبر ندمائه ، فجعله مشرف مملكته كلها وحكمه تحكيماً لا مزيد عليه . وكان الوزير يومئذ ضياء الدين أبا سعيد بهرام بن الخضر الكَفَرْتوثي ، استوزره أتابك زنكي في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، وتوفي خامس شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، وهو على وزارته ، وتولى الوزارة بعده أبو الرضى ابن صدَقَة ، وجمال الدين المذكور على وظائفه .

وكان جمال الدين دمث الأخلاق ، حسن المحاضرة مقبول المفاكهة ، فخف على أتابك زنكي المذكور وأعجبه حديثه ومحاورته ، وجعله من ندمائه ،

---

٧٠٤ – تراجع أخباره في الباهر والمنتظم ١٠ : ٢٠٩ والشذرات ٤ : ١٨٥ .

[وعول عليه في آخر مدته في أشراف ديوانه][1] وزاد ماله ، ولم يظهر منه في أيام أتابك زنكي كرم ولا جود ولا تظاهر بوجود ، فلما قتل على قلعة جعبر – كما تقدم في ترجمته – أراد بعض العسكر قتل الوزير المذكور ونهب ماله ، فتعرضوا له ورموا خيمته بالنشاب ، فحماه جماعة من الأمراء ، وتوجه بالعسكر إلى الموصل ، فرتبه سيف الدين غازي بن أتابك زنكي – المقدم ذكره – في وزارته ، وفوض الأمور وتدبير أحوال الدولة إليه وإلى زين الدين علي بن بكتكين والد مظفر الدين صاحب إربل – وقد تقدم طرف من خبره في ترجمة ولده في حرف الكاف – فظهر حينئذ جود الوزير المذكور وانبسطت يده ، ولم يزل يعطي ويبذل الأموال ويبالغ في الإنفاق حتى عرف بالجواد ، وصار ذلك كالعلم عليه ، حتى لا يقال له إلا « جمال الدين الجواد » . ومدحه جماعة من الشعراء ، من جملتهم محمد بن نصر بن صغير القَيْسراني الشاعر – المقدم ذكره – فإنه قصده بقصيدته المشهورة التي أولها :

سقى الله بالزوراء من جانب الغربي مَهاً وردت عين الحياة من القلبِ

وهي من القصائد الطنانة .

وأثر آثاراً جميلة ، وأجرى الماء إلى عرفات أيام الموسم من مكان بعيد، وعمل الدرج من أسفل الجبل إلى أعلاه، وبنى سور مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما كان خرب من مسجده ، وكان يحمل في كل سنة إلى مكة شرفها الله تعالى والمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام من الأموال والكسوات للفقراء والمنقطعين ما يقوم بهم مدة سنة كاملة ، وكان له ديوان مرتب باسم أرباب الرسوم والقصاد لا غير ، ولقد تنوع في فعل الخير حتى جاء في زمنه بالموصل غلاء مفرط فواسى الناس حتى لم يبقَ له شيء ، وكان إقطاعه عُشر مُغَلّ البلاد على جاري عادة وزراء الدولة السلجوقية ، فأخبر بعض وكلائه أنه دخل عليه يوماً فناوله بقياره ، وقال له : بع هـذا واصرف ثمنه إلى المحاويج ، فقال له الوكيل : إنه لم يبق عندك سوى هذا البقيار والذي على رأسك ، وإذا بعت

---

[1] لم يرد في ر ن ق ، وورد في بر من .

هذا ربما تحتاج إلى تغيير[1] البقيار فلا تجد ما تلبسه ، فقال له : إن هذا الوقت صعب كما ترى ، وربما لا أجد وقتاً أصنع فيه الخير كهذا الوقت ، وأما البقيار فاني أجد عوضه كثيراً ، فخرج الوكيل وباع البقيار وتصدق بثمنه ؛ وله من هذه النوادر أشياء كثيرة .

وأقام على هذه الحال إلى أن توفي مخدومه غازي – في التاريخ المذكور في ترجمته – وقام بالأمر من بعده أخوه قطب الدين مودود – وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى – فاستولى عليه مدة ، ثم إنه استكثر إقطاعه وثقل عليه أمره ، فقبض عليه في شهر رجب الفرد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . وفي أخبار زين الدين صاحب إربل طرفٌ من خبر قبضه وحبسه في قلعة الموصل . ولم يزل مسجوناً[2] بها إلى أن توفي في العشر الأخير من شهر رمضان المعظم ، وقيل شعبان ، سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، وصلي عليه ، وكان يوماً مشهوداً من ضجيج الضعفاء[3] والأرامل والأيتام حول جنازته ، ودفن بالموصل إلى بعض سنة ستين ، ثم نقل إلى مكة – حرسها الله تعالى – وطيف به حول الكعبة ، وكان بعد أن صعدوا به ليلة الوقفة إلى جبل عرفات ، وكانوا يطوفون به كل يوم مراراً مدة مقامهم بمكة ، شرفها الله تعالى ، وكان يوم دخوله مكة يوماً مشهوداً من اجتماع الخلق والبكاء عليه ، ويقال إنه لم يعهد[4] عندهم مثل ذلك اليوم ، وكان معه شخص مرتب يذكر محاسنه ويعدد مآثره ، إذا وصلوا به إلى المزارات والمواضع المعظمة ، فلما انتهوا به إلى الكعبة وقف وأنشد :

يا كعبة الإسلام هذا الذي جاءك يسعى كعبةُ الجودِ
قصدتِ في العام وهذا الذي لم يخلُ يوماً غيرَ مقصودِ

ثم حمل إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ودفن بها بالبقيع بعد أن أدخل

١ ق : إلى أن تتغير .
٢ بر : محبوساً .
٣ بر : من ضجيج الناس من الضعفاء .
٤ بر : انهم لم يعهدوا .

المدينة ، وطيف به حول حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم مراراً ، وأنشد الشخص الذي كان مرتباً معه ، فقال :

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما سرى جوده فوق الركاب ونائله
يمرُّ على الوادي فتثني رمــاله عليه وبالنــادي فتبكي أرامله

قلت : وهذان البيتان من جملة القصيدة المذكورة في ترجمة المقلد بن نصر بن منقذ الشيزري – وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى – ؛ رحمه الله تعالى .

(233) وكان ولده أبو الحسن علي الملقب جلال الدين ، من الأدباء الفضلاء البلغاء الكرماء، رأيت له ديوان رسائل أجاد فيه، وجمعه مجد الدين أبو السعادات المبارك المعروف بابن الأثير الجزري صاحب « جامع الأصول » – وقد تقدم ذكره[1] – وسماه كتاب « الجواهر واللآلي من الإملاء المولويّ الوزيريّ الجلاليّ ». وكان مجد الدين المذكور في أول أمره كاتباً بين يديه ، يملي رسائله وإنشاءه عليه، وهو كاتب يده ، وقد أشار مجد الدين إلى ذلك في أول هذا الكتاب ، وبالغ في وصف جلال الدين المذكور وتقريضه ، وفضله على كل من تقدم من الفصحاء ، وذكر أنه كان بينه وبين حَيْصَ بَيْصَ – الشاعر المقدم ذكره[2] – مكاتبات ، ولولا خوف الإطالة لذكرت بعض رسائله .

وفي جملة ما ذكره أن حيص بيص كتب إليه على يد رجل عليه دين رسالة مختصرة ، فأتيت بها لقصرها ، وهي « الكرم غامر والذكر سائر ، والعَوْنُ على الخطوب أكرم ناصر ، وإغاثة الملهوف من أعظم الذخائر ، والسلام »[3] .

وكان جلال الدين المذكور وزير سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود ، – وقد تقدم ذكره أيضاً في حرف الغين[4] – .

وتوفي جلال الدين المذكور سنة أربع وسبعين وخمسمائة ، بمدينة دُنَيْسَر

---

١ انظر ج ٤ : ١٤١ .
٢ انظر ج ٢ : ٣٦٢ .
٣ لم ترد هذه الرسالة في ق .
٤ انظر ج ٤ : ٤ .

وحمل إلى الموصل ثم نقل إلى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، ودفن بها في تربة والده ، رحمه الله تعالى .

ودُنَيْسَر : بضم الدال المهملة وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وبعدها راء ، وهي مدينة بالجزيرة الفراتية بين نصيبين ورأس عين ، تطرقها التجار من جميع الجهات ، وهي مجمع الطرقات ، ولهذا قيل لها : دنيسر ، وهي لفظ مركب عجمي ، وأصله دنياسر ، ومعناه رأس الدنيا ، وعادة العجم في الأسماء المضافة أن يؤخروا المضاف عن المضاف إليه ، وسر بالعجمي رأس .

والكَفَرْتَوثي الوزير المذكور : بفتح الكاف وسكون الفاء وفتح الراء وضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وبعدها ثاء مثلثة ، هذه النسبة إلى كفرتوثا وهي قرية من أعمال الجزيرة الفراتية بين رأس عين ودارا ، والله أعلم بالصواب .

٧٠٥

العماد الاصفهاني الكاتب

أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبي الفرج محمد بن نفيس[١] الدين أبي الرجا حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله المعروف بابن أخي العزيز – وقد تقدم ذكر عمه العزيز في حرف الهمزة[٢] – . المعروف بألُهْ ، الملقب عماد الدين ، الكاتب الأصبهاني .

كان العماد المذكور فقيهاً شافعي المذهب ، تفقه بالمدرسة النظامية زماناً ،

---

٧٠٥ – أخباره في مرآة الزمان والكامل لابن الأثير (ج : ١٢) والروضتين ١ : ١٤٤ والوافي ١ : ١٣٣ ومعجم الأدباء ١٨ : ١١ وطبقات السبكي ٤ : ٩٧ وعبر الذهبي ٤ : ٢٩٩ والشذرات ٤ : ٣٣٢ وفي الخريدة والبرق الشامي أخبار كثيرة عن شئونه واشعاره .

١ ر : نصير .   ٢ انظر ج ١ : ١٨٨ .

وأتقن الخلاف وفنون الأدب ، وله من الشعر والرسائل ما يغني عن الإطالة في شرحه . وكان قد نشأ بأصبهان وقدم بغداد في حداثته ، وتفقه على الشيخ أبي منصور سعيد بن محمد بن الرزاز مدرس النظامية ، وسمع بها الحديث من أبي الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام وأبي منصور محمد بن عبد الملك بن جيرون وأبي المكارم المبارك بن علي السمرقندي وأبي بكر أحمد بن علي بن الأشقر ، وغيرهم ، وأقام بها مدة .

ولما تخرج ومهر تعلق بالوزير عون الدين يحيى بن هبيرة ببغداد ، فولاه النظر بالبصرة ثم بواسط، ولم يزل ماشي الحال مدة حياته، فلما توفي — في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى — تشتت شمل أتباعه والمنتسبين إليه ونال المكروه بعضهم ، وأقام العماد مدة في عيش منكد وجفن مسهد ، ثم انتقل إلى مدينة دمشق ، فوصلها في شعبان سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، وسلطانها يومئذ الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن أتابك زنكي — الآتي ذكره إن شاء الله تعالى — وحاكمها ومتولي أمورها وتدبير دولتها القاضي كمال الدين أبو الفضل محمد ابن الشهرزوري — المقدم ذكره[1] — فتعرف به وحضر مجالسه، وذكر لديه مسألة في الخلاف ، وعرفه الأمير الكبير نجم الدين أبو الشكر أيوب والد السلطان صلاح الدين رحمهما الله تعالى ، وكان يعرف عمه العزيز من قلعة تكريت فأحسن إليه وأكرمه وميزه عند الأعيان والأماثل ، وعرفه السلطان صلاح الدين من جهة والده ، ومدحه في ذلك الوقت بدمشق المحروسة ، وذكر العماد ذلك في كتابه « البرق الشامي » وأورد القصيدة التي مدحه بها يومئذ .

ثم إن القاضي كمال الدين نوّه بذكره عند السلطان نور الدين ، وعدد عليه فضائله وأهله لكتابة الإنشاء . قال العماد : فبقيت متحيراً في الدخول فيما ليس من شأني ولا وظيفتي ، ولا تقدمت لي به دربة . ولقد كانت مواد هذه الصناعة عتيدة عنده ، لكنه لم يكن قد مارسها فجبن عنها في الابتداء ، فلما باشرها هانت عليه وأجاد فيها وأتى فيها بالغرائب ؛ وكان ينشيء الرسائل باللغة العجمية أيضاً،وحصل بينه وبين صلاح الدين في تلك المدة مودة أكيدة وامتزاج تام[2]،

---

١ انظر ج ٤ : ٢٤١ . ٢ تام : سقطت من ق ن بر من .

وعلت منزلته عند نور الدين ، وصار صاحب سره ، وسيره إلى دار السلام بغداد رسولاً في أيام الإمام المستنجد ، ولما عاد فوض إليه تدريس المدرسة المعروفة به في دمشق ، أعني العماد ، وذلك في شهر رجب سنة سبع وستين وخمسمائة ، ثم رتبه في اشراف الديوان في سنة ثمان وستين ، ولم يزل مستقيم الحال رخي البال ، إلى أن توفي نور الدين –في التاريخ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى– وقام ولده الملك الصالح إسماعيل مقامه وكان صغيراً فاستولى عليه جماعة كانوا يكرهون العماد فضايقوه وأخافوه إلى أن ترك جميع ما هو فيه وسافر قاصداً بغداد فوصل إلى الموصل ومرض بها مرضاً شديداً .

ثم بلغه خروج السلطان صلاح الدين من الديار المصرية لأخذ دمشق ، فانثنى عزمه عن قصد العراق وعزم على العود إلى الشام وخرج من الموصل رابع جمادى الأولى سنة سبعين وخمسمائة ، وسلك طريق البرية ، فوصل إلى دمشق في ثامن جمادى الآخرة وصلاح الدين يومئذ نازل على حلب ، ثم قصد خدمته وقد تسلم قلعة حمص في شعبان من السنة ، فحضر بين يديه وأنشده قصيدة أطال نفسه فيها ، ثم لزم الباب ينزل لنزول السلطان ويرحل لرحيله[1] ، فاستمر على عطلته مديدة ، وهو يغشى مجالس السلطان وينشده في كل وقت مدائح ويعرض بصحبته القديمة ، ولم يزل على ذلك حتى نظمه في سلك جماعته واستكتبه واعتمد عليه وقرب[2] منه ، فصار من جملة الصدور المعدودين والأماثل المشهورين ، يضاهي الوزراء ويجري في مضمارهم . وكان القاضي الفاضل في أكثر أوقاته ينقطع عن خدمة السلطان ويتوفر على مصالح الديار المصرية ، والعماد ملازمٌ الباب بالشام وغيره وهو صاحب السر المكتوم .

وصنف التصانيف النافعة ، من ذلك : كتاب « خريدة القصر وجريدة العصر » جعله ذيلاً على « زينة الدهر » تأليف أبي المعالي سعد بن علي الوراق الحظيري ، والحظيري جعل كتابه ذيلاً على « دمية القصر وعصرة أهل العصر » للباخَرْزي ، والباخرزي جعل كتابه ذيلاً على « يتيمة الدهر » للثعالبي ، وقد

١ ق ر : يرحل لرحيل السلطان وينزل لنزوله .

٢ ق : وقربه .

تقدم ذكر هؤلاء الثلاثة المؤلفين، والثعالبي جعل كتابه ذيلاً على كتاب « البارع » لهارون بن علي المنجم – وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى – وقد ذكر العماد في خريدته[1] الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وجمع شعراء العراق والعجم والشام والجزيرة ومصر والمغرب ، ولم يترك أحداً[2] إلا النادر الخامل ، وأحسن في هذا الكتاب ، وهو في عشر مجلدات .

وصنف كتاب « البرق الشامي » في سبع مجلدات ، وهو مجموع تاريخ ، وبدأ فيه بذكر نفسه وصورة انتقاله من العراق إلى الشام ، وما جرى له في خدمة السلطان نور الدين محمود ، وكيفية تعلقه بخدمة السلطان صلاح الدين ، وذكر شيئاً من الفتوحات بالشام ، وهو من الكتب الممتعة ، وإنما سماه « البرق الشامي » لأنه شبه أوقاته في تلك الأيام بالبرق الخاطف لطيبها وسرعة انقضائها.

وصنف كتاب « الفتح القدسي[3] في الفتح القدسي » في مجلدين، يتضمن كيفية فتح البيت المقدس ، وصنف كتاب « السيل على الذيل » جعله ذيلاً على « الذيل » لابن السمعاني المقدم ذكره الذي ذيل به « تاريخ بغداد » تأليف الخطيب البغدادي الحافظ ، هكذا كنت قد سمعت ثم إني وقفت عليه فوجدته ذيلاً على كتابه « خريدة القصر » المذكور، وصنف كتاب « نصرة الفترة وعصرة الفطرة في أخبار الدولة السلجوقية » وله ديوان رسائل وديوان شعر في أربع مجلدات ، ونفسه في قصائده طويل ، وله ديوان صغير جميعه دوبيت .

وكان بينه وبين القاضي الفاضل مكاتبات ومحاورات لطاف ، فمن ذلك ما يحكى عنه أنه لقيه يوماً وهو راكب على فرس ، فقال له : سر فلا كبا بك الفرس، فقال له الفاضل : دام علا العماد ، وهذا مما يقرأ مقلوباً وصحيحاً سواء . واجتمعا يوماً في موكب السلطان ، وقد انتشر من الغبار لكثرة الفرسان ما سد الفضاء ، فتعجبا من ذلك ، فأنشد العماد في الحال :

أما الغبار فإنه ... مما أثارته السنابك
والجو منه مظلم ... لكن أنار به السنا بك

---

١ ق ر ن : الخريدة . ٢ أحداً : سقطت من ر ق .
٣ ر ن : القسي .

يا دهر لي عبد الرحيـ م فلست أخشى مَسّ نابك

وقد اتفق له الجناس في الأبيات الثلاثة ، وهو في غاية الحسن .

وكان القاضي الفاضل قد حج من مصر في سنة أربع وسبعين وخمسمائة وركب البحر في طريقه ، فكتب إليه العماد : طوبى للحِجْر والحَجُون من ذي الحجر والحجا ، منيل الجدا ومنير الدجى ، ولندي ّ الكعبة من كعبة الندى ، وللهدايا المشعرات من مشعر الهدى ، وللمقام الكريم من مقام الكريم ، ومن حاطم فقار الفقر للحطيم ، ومتى رؤي هرم في الحرم ، وحاتم ماتح زمزم ؟ ومتى ركب البحر البحر ، وسلك البر البر ؟ لقد عاد قُس إلى عكاظه ، وعاد قيس لحِفاظه ، ويا عجباً لكعبة يقصدها كعبة الفضل والإفضال ، ولقبلة يستقبلها قبلة القبول والإقبال ، والسلام .

لقد أبدع في هذه الرسالة وما أودعها من الصناعة ، لكن الظاهر أنه غلط في قوله قيس لحفاظه ، فإن المشهور أنس الحفاظ ، وهم أربعة أخوة لكل واحد منهم لقب ، ولولا خوف الإطالة والانتقال عما نحن بصدده لذكرت قصتهم[1] .

ولما توفي الوزير عون الدين بن هبيرة اعتقل الديوان العزيز جماعة من أصحابه وكان العماد في جملة من اعتقل ، لأنه كان ينوب عنه في واسط تلك المدة ، فكتب من الحبس إلى عماد الدين بن عضد الدين بن رئيس الرؤساء ، وكان حينئذ أستاذ الدار المستنجدية ، وذلك في شعبان سنة ستين وخمسمائة من قصيدة :

قل للامام : علام حبس وليكم أولوا جميلكم جميلَ ولائهِ
أوليس إذ حبس الغمامُ وليَّه خلى أبوك سبيله بدعائـهِ

فأمر باطلاقه ، وهذا معنى مليح غريب ، وفيه إشارة إلى قضية العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فإن الغيث قد انقطع في زمن خلافته وأمحلت الأرض ، فخرج للاستسقاء ومعه

---

١ هم المعروفون بالكملة من بني عبس أبناء فاطمة بنت الخرشب الأنمارية : الربيع الكامل وقيس الحفاظ وعمارة الوهاب وأنس الفوارس ؛ وأخطأ المؤلف في تعليقه .

العباس والناس ، فلما وقف للدعاء قال : اللهم إنا كنا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك اليوم بعم نبينا فاسقنا ، فسقوا . وأما الوليُّ فهو المطر الذي يأتي بعد الوسمي ، وسمي ولياً لأنه يلي الوسمي ، والوسمي : مطر الربيع الأول ، وسمي بذلك لأنه يَسِم الأرضَ بالنبات ، وهو منسوب إلى الوسم ، وقد جمعها المتنبي في بيت واحد وهو :

أمُنْعِمة بالعودة الظبيةُ التي بغير ولي كان نائلها الوسمي

يعني أنه لم تكن لزيارتها الأولى ثانية .

ولم يزل العماد الكاتب على مكانته ورفعة منزلته إلى أن توفي السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، فاختلت أحواله وتعطلت أوصاله ، ولم يجد في وجهه باباً مفتوحاً ، فلزم بيته وأقبل على الاشتغال بالتصانيف ، وقد ساق في أوائل « البرق الشامي » طرفاً من ذلك . وتقدم في ترجمة ابن التعاويذي ما دار بينهما في طلب الفروة والرسالة والقصيدة وجوابها .

وكانت ولادته يوم الاثنين ثاني جمادى الآخرة ، وقيل في شعبان ، سنة تسع عشرة وخمسمائة بأصبهان . وتوفي يوم الاثنين مستهل شهر رمضان المعظم سنة سبع وتسعين وخمسمائة بدمشق، ودفن في مقابر الصوفية خارج باب النصر ، رحمه الله تعالى .

أخبرني بعض الرؤساء ممن كان ملازمه في مدة مرضه أنه كان إذا دخل عليه أحدٌ يعوده أنشده :

أنا ضيف بربعكم أين أين المضيِّفُ ؟
أنكرتني معارفي مات من كنت أعرفُ

وألُهْ : بفتح الهمزة وضم اللام وسكون الهاء ، وهو اسم عجمي معناه بالعربي العقاب ، وهو الطائر المعروف ، وقد قيل إن العقاب لا يوجد فيه ذكر بل جميعه أنثى ، وإن الذي يسافده طائر آخر من غير جنسه ، وقيل إن الثعلب يسافده ، وهذا من العجائب .

ولابن عنين الشاعر المقدم ذكره في هجو شخص يقال له ابن سيده :

ما أنت إلا كالعقاب فأمه   معروفة وله ب مجهولُ

وهذه إشارة إلى ما نحن فيه ، والله تعالى أعلم بالصواب .

٧٠٦
الفارابي الفيلسوف

أبو نصر محمد بن محمد بن طَرْخان بن أوْزَلغ الفارابي التركي الحكيم المشهور، صاحب التصانيف في المنطق والموسيقى وغيرهما من العلوم ؛ وهو أكبر فلاسفة المسلمين ، ولم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه ، والرئيسُ أبو علي ابن سينا – المقدم ذكره – بكتبه تخرج وبكلامه انتفع في تصانيفه . وكان رجلاً تركياً ولد في بلده ونشأ بها – وسيأتي الكلام عليها في آخر الترجمة إن شاء الله تعالى– ثم خرج من بلده وتنقلت بـه الأسفار إلى أن وصل إلى بغداد ، وهو يعرف اللسان التركي وعدة لغات غير العربي ، فشرع في اللسان العربي فتعلمه وأتقنه غاية الإتقان ، ثم اشتغل بعلوم الحكمة .

(234) ولما دخل بغداد كان بها أبو بشر متى بن يونس الحكيم المشهور، وهو شيخ كبير، وكان يقرأ الناسُ عليه[1] فن المنطق، وله إذ ذاك صيت عظيم وشهرة وافية ، ويجتمع في حلقته كل يوم المئون من المشتغلين بالمنطق ، وهو يقرأ كتاب أرسطاطاليس في المنطق ويملي على تلامذته شرحه ،فكتب عنه في شرحه سبعون[2]

٧٠٦ – ترجمته في الفهرست : ٢٦٣ وتاريخ الحكماء : ٢٧٧ وطبقات صاعد : ٥٣ وعبر الذهبي ٢ : ٢٥١ وتاريخ ابن العبري : ١٧٠ والوافي ١ : ١٠٦ قال ورأيت ابن خلكان قد قال : محمد بن طرخان ؛ قلت : وهو ثابت في النسخ ق ر ن والمختار : محمد بن محمد، وانظر عيون الانباء ٢ : ١٣٦ .

١ ر ن بر من : وكان يعلم الناس .

٢ بر : سبعين .

سفراً ، ولم يكن في ذلك الوقت أحد مثله في فنه ، وكان حسن العبارة في تواليفه لطيف الإشارة ، وكان يستعمل في تصانيفه البسط والتذليل ، حتى قال بعض علماء هذا الفن : ما أرى أبا نصر الفارابي أخذ طريق تفهيم المعاني الجزلة بالألفاظ السهلة إلا من أبي بشر يعني المذكور ، وكان أبو نصر يحضر حلقته في غمار تلامذته .

فأقام أبو نصر كذلك برهة ثم ارتحل إلى مدينة حَرّان وفيها يوحنا بن حيلان[1] الحكيم النصراني ، فأخذ عنه طرفاً من المنطق أيضاً ، ثم إنه قفل راجعاً إلى بغداد وقرأ بها علوم الفلسفة ، وتناول جميع كتب أرسطاطاليس وتمهر في استخراج معانيها والوقوف على أغراضه فيها ، ويقال إنه وجد « كتاب النفس » لأرسطاطاليس وعليه مكتوب بخط أبي نصر الفارابي : إني قرأت هذا الكتاب مائتي مرة . ونقل عنه أنه كان يقول : قرأت « السماع الطبيعي » لأرسطاطاليس الحكيم أربعين مرة ، وأرى أني محتاج إلى معاودة قراءته. ويروى عنه أنه سئل : من أعلم الناس بهذا الشأن أنت أم أرسطاطاليس؟ فقال : لو أدركته لكنت أكبر تلامذته .

وذكره أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد القرطبي في كتاب « طبقات الحكماء » فقال : الفارابي فيلسوف المسلمين بالحقيقة ، أخذ صناعة المنطق عن يوحنا بن حيلان المتوفى بمدينة السلام في أيام المقتدر، فبذ جميع أهل الإسلام وأربى عليهم في التحقيق لها وشرح غامضها وكشف سرها وقرب تناولها ، وجميع ما يحتاج إليه منها، في كتب صحيحة العبارة لطيفة الإشارة، منبهاً على ما أعيا الكندي وغيره من صناعة التحليل وأنحاء التعاليم ، وأوضح القول فيها عن مواد المنطق الخمسة ، وأفاد وجوه الانتفاع بها وعرف طرق استعمالها ، وكيف تَصَرّفُ صورة القياس في كل مادة منها ، فجاءت كتبه في ذلك الغاية الكافية والنهاية الفاضلة ، ثم له بعد هذا كتاب شريف في إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها لم يُسْبَق إليه ولا ذهب أحد مذهبه فيه ولا يستغني طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به ، انتهى كلام ابن صاعد ؛ وذكر بعد ذلك

---

١ الوافي : حبلان ؛ بر : حلان ؛ ق ر : خيلان .

شيئاً من تواليفه ومقاصده فيها .

ولم يزل أبو نصر ببغداد مكباً على الاشتغال بهذا العلم والتحصيل له إلى أن برز فيه وفاق أهل زمانه ، وألف بها معظم كتبه ، ثم سافر منها إلى دمشق ، ولم يقم بها، ثم توجه إلى مصر، وقد ذكر أبو نصر في كتابه الموسوم بـ «السياسة المدنية » أنه ابتدأ بتأليفه في بغداد وأكمله بمصر ، ثم عاد إلى دمشق وأقام بها، وسلطانها يومئذ سيف الدولة بن حمدان، فأحسن إليه .

ورأيت في بعض المجاميع أن أبا نصر لما ورد على سيف الدولة وكان مجلسه مجمع الفضلاء في جميع المعارف فأدخل عليه وهو بزي الأتراك ، وكان ذلك زيه دائماً ، فوقف ، فقال له سيف الدولة : اقعد ، فقال : حيث أنا أم حيث أنت ؟ فقال : حيث أنت ، فتخطى رقاب الناس حتى انتهى إلى مسند سيف الدولة وزاحمه فيه حتى أخرجه عنه ، وكان على رأس سيف الدولة مماليك ، وله معهم لسان خاص يسارّهم به قَلَّ أن يعرفه أحد ، فقال لهم بذلك اللسان : إن هذا الشيخ قد أساء الأدب ، وإني مسائله عن أشياء إن لم يوف بها فاخرقوا به ، فقال له أبو نصر بذلك اللسان : أيها الأمير[1] ، اصبر فإن الأمور بعواقبها ، فعجب سيف الدولة منه وقال له : أتحسن هذا اللسان ؟ فقال : نعم أحسن أكثر من سبعين لساناً ، فعظم عنده . ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين في المجلس في كل فن ، فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل حتى صمت الكل وبقي يتكلم وحده ، ثم أخذوا يكتبون ما يقوله ، فصرفهم سيف الدولة وخلا به ، فقال له : هل لك في أن تأكل ؟ فقال : لا ، فقال : فهل تشرب ؟ فقال : لا، فقال : فهل تسمع ؟ فقال : نعم ، فأمر سيف الدولة بإحضار القيان ، فحضر كل ماهر في هذه الصناعة بأنواع الملاهي ، فلم يحرك أحد منهم آلته إلا وعابه أبو نصر وقال له : أخطأت ، فقال له سيف الدولة : وهل تحسن في هذه الصناعة شيئاً ؟ فقال : نعم ، ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها وأخرج منها عيداناً وركبها ، ثم لعب بها ، فضحك منها كل من كان في المجلس ، ثم فكها وركبها تركيباً آخر وضرب بها فبكى كل من في المجلس ، ثم فكها وغير

---

١ أيها الأمير : سقط من ن ر والمختار .

تركيبها وحركها فنام كل من في المجلس حتى البواب ، فتركهم نياماً وخرج .
ويحكى أن الآلة المسماة القانون من وضعه، وهو أول من ركبها هذا التركيب.
وكان منفرداً بنفسه لا يجالس الناس[1] ، وكان مدة مقامه بدمشق لا يكون غالباً إلا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض، ويؤلف هناك كتبه، وينتابه المشتغلون عليه . وكان أكثر تصنيفه في الرقاع ، ولم يصنف في الكراريس إلا القليل ، فلذلك جاءت أكثر تصانيفه فصولاً وتعاليق، ويوجد بعضها ناقصاً مبتوراً. وكان أزهد الناس في الدنيا لا يحتفل بأمر مكسب ولا مسكن ، وأجرى عليه سيف الدولة كل يوم من بيت المال أربعة دراهم ، وهو الذي اقتصر عليها لقناعته . ولم يزل على ذلك إلى أن توفي في سنة تسع وثلاثين وثلثمائة بدمشق، وصلى عليه سيف الدولة في أربعة من خواصه ، وقد ناهز ثمانين سنة ، ودفن بظاهر دمشق خارج باب الصغير ، رحمه الله تعالى .
وتوفي متى بن يونس ببغداد في خلافة الراضي ، هكذا حكاه ابن صاعد القرطبي في « طبقات الأطباء »[2] .
وظفرت في مجموع بأبيات منسوبة إلى الفارابي ، ولا أعلم صحتها ، وهي :

أخي خَلِّ حَيِّزَ ذي باطل ... وكن للحقائق في حَيِّزِ
فما الدار دار مقام لنا ... وما المرء في الأرض بالمعجز
ينافس هذا لهذا على ... أقَلَّ من الكلم الموجز
وهل نحن إلا خطوط وقعن ... على نقطة وقْعَ مستوفز
محيط السموات أولى بنا ... فما ذا التنافس في مركز

(235) ورأيت هذه الأبيات في « الخريدة » منسوبة إلى الشيخ محمد بن عبد الملك الفارقي البغدادي الدار. وقال العماد مؤلف « الخريدة » : إنه اجتمع به يوم الجمعة ثامن عشر شهر رجب ، سنة إحدى وستين وخمسمائة ، وتوفي بسنيات بعد ذلك .

---

١ ق : لا يجالس أحداً من الناس .
٢ ق : الحكماء ، وانظر ص : ١٥٤ .

وطرخان : بفتح الطاء المهملة وسكون الراء وفتح الخاء المعجمة وبعد الألف نون.

وأوْزَلَغ : بفتح الهمزة وسكون الواو وفتح الزاي واللام وبعدها غين معجمة ، وهما من أسماء الترك .

والفارابي : بفتح الفاء والراء وبينهما ألف وبعد الألف الثانية باء موحدة ، هذه النسبة إلى فاراب ، وتسمى في هذا الزمان أُطرار – بضم الهمزه وسكون الطاء المهملة وبين الراءين ألف ساكنة – وقد غلب عليها هذا الاسم، وهي مدينة فوق الشاش ، قريبة من مدينة بلاساغون ، وجميع أهلها على مذهب الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، وهي قاعدة من قواعد مدن الترك ، ويقال لها فاراب الداخلة ، ولهم فاراب الخارجة ، وهي في أطراف بلاد فارس .

وبلاساغون : بفتح الباء الموحدة واللام ألف والسين المهملة وبعد الألف غين معجمة ثم واو ساكنة وبعدها نون ، وهي بلدة في ثغور الترك وراء نهر سيحون – المقدم ذكره – بالقرب من كاشْغَر .

وكاشْغَر : بفتح الكاف وبعد الألف شين معجمة ساكنة ثم غين معجمة مفتوحة وفي آخرها راء ، وهي من المدن العظام في تخوم الصين ؛ والله تعالى أعلم بالصواب .

٧٠٧

ابن زكريا الرازي

أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب المشهور؛ ذكر ابن جلجل في «تاريخ الأطباء» أنه دبّر مارستان الري ثم مارستان بغداد في أيام المكتفي . ومن

---

٧٠٧ – ترجمته في طبقات ابن جلجل : ٧٧ وطبقات صاعد : ٣٣ والفهرست : ٢٩٩ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٣٤٣ (ط. بيروت) ونكت الهميان : ٢٤٩ وتاريخ الحكماء : ٢٧١ والوافي ٣ : ٧٦ وتاريخ ابن العبري : ١٥٨ وعبر الذهبي ٢ : ١٥٠ والشذرات ٢ : ٢٦٣ وابتداء من هذه الترجمة تشترك نسخة لاله لي (رقم ٢١١٣) ورمزها (لي) مع سائر النسخ .

أخباره أنه كان في شبيبته يضرب بالعود ويغني ، فلما التحى وجهه قال : كل غناء يخرج من بين شارب ولحية لا يستظرف[1] ، فنزع عن ذلك وأقبل على دراسة كتب الطب والفلسفة ، فقرأها قراءة رجل متعقب على مؤلفيها ، فبلغ من معرفة غوائرها الغاية ، واعتقد الصحيح منها وعَلَّلَ السقيم ، وألف في الطب كتباً كثيرة .

وقال غيره : كان إمام وقته في علم الطب والمشار إليه في ذلك العصر ، وكان متقناً لهذه الصناعة حاذقاً فيها عارفاً بأوضاعها وقوانينها ، تشد إليه الرحال في أخذها عنه ، وصنف فيها الكتب النافعة ، فمن ذلك كتاب « الحاوي » وهو من الكتب الكبار ، يدخل في مقدار ثلاثين مجلداً ، وهو عمدة الأطباء في النقل منه والرجوع إليه عند الاختلاف . ومنها كتاب « الجامع » ، وهو أيضاً من الكتب الكبار النافعة . وكتاب « الأعصاب »[2] وهو أيضاً كبير ، وله أيضاً كتاب « المنصوري » المختصر المشهور ، وهو – على صغر حجمه – من الكتب المختارة ، جمع فيه بين العمل والعلم ويحتاج إليه كل أحد ، وكان قد صنفه لأبي صالح منصور بن نوح بن نصر بن إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان ، أحد الملوك السامانية ، فنسب الكتاب إليه ، وله غير ذلك تصانيف كثيرة وكلها يحتاج إليها .

ومن كلامه : مهما قدرت أن تعالج بالأغذية فلا تعالج بالأدوية ، ومهما قدرت أن تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب ؛ ومن كلامه : إذا كان الطبيب عالماً والمريض مطيعاً فما أقل لبث العلة ؛ ومن كلامه : عالج في أول العلة بما لا تسقط به القوة .

[وذكر القاضي التنوخي في كتاب « الفرج بعد الشدة » في باب من اشتد بلاؤه بمرض فعافاه الله بأيسر سبب وأقاله : أن غلاماً من بغداد قدم الري وكان ينفث الدم ، وكان لحقه ذلك في طريقه ، فاستدعى أبا بكر الرازي الطبيب المشهور بالحذق ، صاحب الكتب المصنفة ، فأراه ما ينفث ووصف له ما يجد ،

---

١ ر : يطرب .

٢ لي : الاقصاب ؛ ر : الأقطار ؛ ن : الاعصار ؛ بر من : الاعضاء .

فأخذ الرازي بجسّه ، ورأى قارورته واستوصف حاله منذ ابتداء ذلك به، فلم يقم له دليل على سلّ ولا قرحة ، ولم يعرف العلة ، واستنظر الرجل لينظر في الأمر ، فقامت على العليل القيامة وقال : هذا أيأس لي من الحياة لحذق الطبيب وجهله بالعلة ، فازداد ما به من الألم ، فولد الفكر للرازي أن عاد إليه فسأله عن المياه التي شربها في طريقه ، فأخبره أنه شرب من مستنقعات وصهاريج ، فقام في نفس الرازي بحدة الخاطر وجودة الذكاء أن علقة كانت في الماء وقد حصلت في معدته وأن ذلك الدم من فعلها وقال له : إذا كان في غد جئتك فعالجتك ولم أنصرف حتى تبرأ ، ولكن بشرط أن تأمر غلمانك أن يطيعوني فيك لما آمرهم ، فقال : نعم ؛ فانصرف الرازي فجمع ملء مركنين كبيرين من طحلب فأحضرهما في غدٍ معه فأراه إياهما وقال له : ابلع ، فقال : لا أستطيع، فقال للغلمان : خذوه فأنيموه ، ففعلوا به ذلك ، وطرحوه على قفاه وفتحوا فاه وأقبل الرازي يدس الطحلب في حلقه ويكبسه كبساً شديداً ويسأله ببلعه ويهدده بأن يضرب ، إلى أن أبلعه كارهاً أحد المركنين بأسره ، والرجل يستغيث فلا ينفعه مع الرازي شيء ، إلى أن قال العليل : الساعة أقذف ، فزاد الرازي في ما يكبسه في حلقه ، فذرعه القيء فقذف ، فتأمل الرازي قذفه فاذا فيه علقة ، واذا هي لما وصل إليها الطحلب قربت إليه بالطبع وتركت موضعها والتفت على الطحلب ونهض العليل معافى][1] .

ولم يزل رئيس هذا الشان ، وكان اشتغاله به على كبر ، يقال إنه لما شرع فيه كان قد جاوز أربعين سنة من العمر ، وطال عمره فعمي في آخر مدته ، وتوفي سنة إحدى عشرة وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

وكان اشتغاله بالطب على الحكيم أبي الحسن علي بن ربن الطبري صاحب التصانيف المشهورة ، منها « فردوس الحكمة » وغيره . وكان مسيحياً ثم أسلم .

وقد تقدم الكلام على الرازي .

وأما الملوك السامانية فكانوا سلاطين ما وراء النهر وخراسان ، وكانوا أحسن الملوك سيرة ، ومن ولي منهم كان يقال له سلطان السلاطين ، لا ينعت إلا به ،

---

١ زيادة انفردت بها لي ، وقد وردت عند وستنفيلد .

وصار كالعلم لهم ، وكان يغلب عليهم العدل والدين والعلم ، وملك من بينهم جماعة، ولم تنقرض دولتهم إلا بدولة السلطان محمود بن سُبُكتكين – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – وكانت مدة ولايتهم مائة سنة وسنتين وستة أشهر وعشرة أيام .

(236) وكانت وفاة أبي صالح منصور المذكور في شوال سنة خمس وستين وثلثمائة وكان قد صنف له الرازي المذكور الكتاب المذكور في حال صغره ، ليشتغل به .

ثم رأيت نسخة كتاب[1] « المنصوري » ، وعلى ظهره : أن المنصور الذي وسم الرازي هذا الكتاب باسمه هو المنصور بن إسحاق بن أحمد بن نوح من ولد بهرام كوس[2] صاحب كرمان وخراسان، وكنيته أبو صالح، والله أعلم بالصواب.

وحكى ابن جلجل – المقدم ذكره – في تاريخه أيضاً : أن الرازي المذكور صنف لمنصور المذكور كتاباً في إثبات صناعة الكيمياء ، وقصده به من بغداد فدفع له الكتاب ، فأعجبه وشكره عليه وحباه بألف دينار وقال له : أريد أن تخرج هذا الذي ذكرت في هذا الكتاب إلى الفعل ، فقال له الرازي : إن ذلك مما يتمون له المؤن ، ويحتاج إلى آلات وعقاقير صحيحة ، وإلى إحكام صنعة ذلك كله ، وكل ذلك كلفة ، فقال له منصور : كل ما احتجت إليه من الآلات ، ومما يليق بالصناعة أحضره لك كاملاً حتى تخرج عما ضمنته كتابك إلى العمل . فلما حقق عليه كعّ عن مباشرة ذلك وعجز عن عمله . فقال له منصور : ما اعتقدتُ أن حكيماً يرضى بتحليل الكذب في كتب ينسبها إلى الحكمة ، يشغل بها قلوب الناس ويتعبهم فيما لا يعود عليهم من ذلك منفعة . ثم قال له : قد كافأناك على قصدك وتعبك بما صار إليك من الألف دينار ، ولا بد من معاقبتك على تخليد الكذب ، فحمل السوط على رأسه ، ثم أمر أن يضرب بالكتاب على رأسه حتى يتقطع ، ثم جهزه وسير به إلى بغداد ، فكان ذلك الضرب سبب نزول الماء إلى عينيه ، ولم يسمح بقدحها وقال : قد رأيت الدنيا .

---

[1] ق بر من : بكتاب .

[2] كذا هو في اكثر النسخ ؛ وسقطت الفقرة من لي .

(237) وكانت وفاة والده أبي محمد نوح بن نصر في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة .

(238) وكانت وفاة جده أبي الحسن نصر بن إسماعيل في رجب سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة .

(239) وكانت وفاة جد أبيه أبي إبراهيم إسماعيل بن أحمد في صفر ليلة الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت منه ، سنة خمس وتسعين ومائتين ببخاري ؛ ومولده سنة أربع وثلاثين ومائتين بفَرْغانة ، وكان يكتب الحديث ويكرم العلماء .

(240) وكانت وفاة أحمد بن أسد بن سامان سنة خمسين ومائتين بفَرْغانة ، رحمهم الله تعالى .

وسامان : بفتح السين المهملة والميم وبينهما ألف وبعد الألف الثانية نون — وهذا وإن كان خارجاً عن المقصود ، لكن مساق[1] الكلام جره ، وفيه فائدة لا يستغنى عنها ، والله أعلم بالصواب .

٧٠٨

ابن شاكر

أبو عبد الله محمد بن موسى بن شاكر ؛ أحد الإخوة الثلاثة الذين ينسب إليهم حِيَلُ بني موسى ، وهم مشهورون بها ، واسم أخويه أحمد والحسن ، وكانت لهم همم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكتب الأوائل ، وأتعبوا أنفسهم في شأنها ، وأنفذوا إلى بلاد الروم مَنْ أخرجها لهم ، وأحضروا النَّقلة من الأصقاع الشاسعة والأماكن البعيدة بالبذل السَّنيّ ، فأظهروا عجائب الحكمة . وكان الغالب عليهم من العلوم : الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم ، وهو

---

١ ق : سياق .

٧٠٨ — ترجمته في طبقات صاعد : ٥٥ والفهرست : ٢٧١ وأخبار الحكماء : ٣١٥ .

الأقل . ولهم في الحيل كتاب عجيب نادر يشتمل على كل غريبة ، ولقد وقفت عليه فوجدته من أحسن الكتب وأمتعها ، وهو مجلد واحد .

ومما اختصوا به في ملة[1] الإسلام وأخرجوه من القوّة إلى الفعل – وإن كان أرباب الأرصاد المتقدمون على الإسلام قد فعلوه ، لكنه لم يقل إن أحداً من أهل هذه الملة تصدى له وفعله ، إلا هم – وهو أن المأمون كان مغرى بعلوم الأوائل وتحقيقها ، ورأى فيها أن دور كرة الأرض أربعة وعشرون ألف ميل، كل ثلاثة أميال فرسخ ، فيكون المجموع ثمانية آلاف فرسخ ، بحيث لو وضع طرف حبل على أي نقطة كانت من الأرض ، وأدرنا الحبل على كرة الأرض حتى انتهينا بالطرف الآخر إلى ذلك الموضع من الأرض ، والتقى طرفا الحبل ، فإذا مسحنا ذلك الحبل كان طوله أربعة وعشرين ألف ميل .

فأراد المأمون أن يقف على حقيقة ذلك ، فسأل بني موسى المذكورين عنه فقالوا : نعم ، هذا قطعي . فقال : أريد منكم أن تعملوا الطريق الذي ذكره المتقدمون حتى نبصر هل يتحرر ذلك أم لا ، فسألوا عن الأراضي المتساوية في أي البلاد هي ؟ فقيل لهم : صحراء سنجار في غاية الاستواء ، وكذلك وطاة الكوفة ، فأخذوا معهم جماعة ممن يثق المأمون إلى أقوالهم ، ويركن إلى معرفتهم بهذه الصناعة ، وخرجوا إلى سنجار ، وجاءوا إلى الصحراء المذكورة ، فوقفوا في موضع منها وأخذوا ارتفاع القطب الشمالي ببعض الآلات ، وضربوا في ذلك الموضع وَتِداً وربطوا فيه حبلاً طويلاً ، ثم مشوا إلى الجهة الشمالية على الاستواء من غير انحراف إلى اليمين واليسار حسب الإمكان . فلما فرغ الحبل نصبوا في الأرض وتداً آخر وربطوا فيه حبلاً طويلاً ، ومشوا إلى جهة الشمال أيضاً كفعلهم الأول؛ ولم يزل ذلك دأبهم ، حتى انتهوا إلى موضع أخذوا[2] فيه ارتفاع القطب المذكور ، فوجدوه قد زاد على الارتفاع الأول درجة ، فمسحوا ذلك القدر الذي قدروه من الأرض بالحبل ، فبلغ ستة وستين ميلاً وثلثي ميل ، فعلموا أن كل درجة من درج الفلك ، يقابلها من سطح الأرض ستة وستون ميلاً وثلثان .

---

١ ملة : سقطت من ق .

٢ لي : الموضع الذي أخذوا .

ثم عادوا إلى الموضع الذي ضربوا فيه الوتد الأول وشدوا فيه حبلاً ، وتوجهوا إلى جهة الجنوب ، ومشوا على الاستقامة ، وعملوا كما عملوا في جهة الشمال : من نصب الأوتاد وشد الحبال ، حتى فرغت الحبال التي استعملوها في جهة الشمال ، ثم أخذوا الارتفاع فوجدوا القطب الشمالي قد نقص عن ارتفاعه الأول درجة ، فصح حسابهم وحققوا ما قصدوه من ذلك ، وهذا إذا وقف عليه من له يد في علم الهيئة ظهر له حقيقته . ومن المعلوم أن عدد درج الفلك ثلثمائة وستون درجة ، لأن الفلك مقسوم باثني عشر برجاً ، وكل برج ثلاثون درجة ، فتكون الجملة ثلثمائة وستين درجة ، فضربوا عدد درج الفلك في ستة وستين ميلاً وثلثين – أي التي هي حصة كل درجة – فكانت الجملة أربعة وعشرين ألف ميل ، وهي ثمانية آلاف فرسخ ، وهذا محقق لا شك فيه .

فلما عاد بنو موسى إلى المأمون وأخبروه بما صنعوا ، وكان موافقاً لما رآه في الكتب القديمة من استخراج الأوائل ، طلب تحقيق ذلك في موضع آخر ، فسيرهم إلى أرض الكوفة وفعلوا كما فعلوا في سنجار ، فتوافق الحسابان ، فعلم المأمون صحة ما حرره القدماء في ذلك ، وهذا الفصل هو الذي أشرت إليه في ترجمة أبي بكر محمد بن يحيى الصولي وقلت : لولا التطويل لبينت ذلك[1] .

وكانت لبني موسى المذكورين أوضاع نادرة غريبة ، ولولا الإطالة لذكرت شيئاً منها .

وتوفي محمد المذكور في شهر ربيع الأول سنة تسع وخمسين ومائتين ، رحمه الله تعالى ؛ والله أعلم بالصواب .

---

١ انظر ج ٤ : ٣٥٩ .

٧٠٩

البتاني الحاسب

أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان الحَرّاني الأصل البَتّاني الحاسب ، المنجم المشهور صاحب الزيج ، الصابي ؛ له الأعمال العجيبة والأرصاد المتقنة . وأول ما ابتدأ بالرصد في سنة أربع وستين ومائتين ، إلى سنة ست وثلثمائة ، وأثبت الكواكب الثابتة في زيجه لسنة تسع وتسعين ومائتين. وكان أوحد عصره في فنه ، وأعماله تدل على غزارة فضله وسعة علمه . وتوفي سنة سبع عشرة وثلثمائة ، عند رجوعه من بغداد ، بموضع يقال له قصر الحَضْر . ولم أعلم أنه أسلم ، لكن اسمه يدل على إسلامه .

وله من التصانيف « الزيج » وهو نسختان : أولى وثانية ، والثانية أجود وكتاب « معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك » ورسالة في « مقدار الاتصالات » ، وكتاب شرح فيه أربعة أرباع الفلك ، ورسالة في تحقيق أقدار الاتصالات ، وشرح أربع مقالات بطليموس[1] ، وغير ذلك .

والبتاني : بفتح الباء الموحدة ، وقال أبو محمد هبة الله بن الأكفاني[2] بكسرها ، وبتشديد التاء المثناة من فوقها وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى بتّان ، وهي ناحية من أعمال حران .

والحَضْر : بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وبعدها راء ، وهي مدينة قديمة ، بالقرب من تكريت ، بين دجلة والفرات في البرية ، وكان صاحبها الساطرون ، فحاصره أردشير بن بابك أول ملوك الفرس ، وأخذ البلد وقتله ، وفي ذلك يقول أبو دواد الإيادي ، واسمه حارثة بن حجاج ،

---

٧٠٩ – ترجمته في الفهرست : ٢٧٩ وتاريخ الحكماء : ٢٨٠ وطبقات صاعد : ٣١ والشذرات ٢ : ٢٧٦ .

١ ن : بطلميوس .

٢ ذكره المؤلف ١ : ٢٦٩ وكانت وفاته سنة ٥٢٣ .

وقيل حنظلة بن شرقي[1] :

وأرى الموت قد تدلى من الحَضْـ ـر على رب أهله الساطرونِ
صرعته الأيام[2] من بعد ملك ونعـيم وجوهر مكنون

وذكره أيضاً عدي بن زيد العبادي[3] في قوله :

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجـ ـلة تُجْبى إليـه والخابورُ

وجاء ذكره في الشعر كثيراً ، وقيل إن الذي حصره سابور ذو الأكتاف وهو الذي ذكره ابن هشام في سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأول أصح .

والساطِرون : بفتح السين المهملة وبعد الألف طاء مهملة مكسورة ثم راء مضمومة ثم واو ساكنة وبعدها نون وهو لفظ سرياني ، ومعناه الملك ، واسمه ضَيْزن – بفتح الضاد المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الزاي وبعدها نون – بن معاوية .

وضيزن : اسم صنم كان في الجاهلية وبه سمي الرجل ، وهو قضاعي ، وكان من ملوكِ الطوائف ، وإذا اجتمعوا لحرب غيرهم تقدم عليهم لعظمته[4] عندهم .

فأقام أردشير على حصاره أربع سنين وهو لا يقدر عليه ، وكان للساطرون ابنة يقال لها نضيرة – بفتح النون وكسر الضاد المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة – وفيها يقول الشاعر :

أقفر الحَضْر من نضيرة فالمر باع منها فجانب الثرثارِ

وكانت في غاية الجمال ، وكانت عادتهم إذا حاضت المرأة أنزلوها إلى الربض ،

---

١ ديوان أبي دواد : ٣٤٧ .
٢ ق : صدعته المنون .
٣ ديوان عدي : ٨٨ .
٤ ق ر : لعظمه .

فحاضت نضيرة فأنزلت إلى ربض الحَضْر ، فأشرفت ذات يوم فأبصرت أردشير وكان من أجمل الرجال فهويته ، فأرسلت إليه أن يتزوجها وتفتح له الحصن ، واشترطت عليه ، والتزم لها ما طلبت ، ثم اختلفوا في السبب الذي دلته عليه حتى فتح الحصن ، والذي قاله الطبري أنها دلته على طِلَّسْم كان في الحصن ، وكان في علمهم أنه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء وتخضب رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء ، ثم ترسل الحمامة فتنزل على سور الحصن ، فيقع الطِّلَّسْم[1] فيفتح الحصن ، ففعل أردشير ذلك واستباح الحصن وخربه وأباد أهله [وقتل الساطرون أباها][2] وسار بنضيرة وتزوجها ، فبينما هي نائمة على فراشها ليلاً إذ جعلت تتململ لا تنام[3] ، فدعا بالشمع ، ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس ، فقال لها أردشير : أهذا الذي أسهرك ؟ قالت : نعم ، قال : فما كان أبوك يصنع بك ؟ قالت : كان يفرش لي الديباج ويلبسني الحرير ويطعمني المخ والزبد وشهد أبكار النحل ، ويسقيني الخمر الصافي ، قال : فكان جزاء أبيك ما صنعت به ؟ أنت إليّ بذلك أسرع ، ثم أمر بها[4] فربطت قرون رأسها بذَنب فرس ، ثم ركض الفرس حتى قتلها . والحضر إلى الآن آثاره باقية ، وفيه بقايا عمائر ، لكنه لم يسكن منذ ذلك الوقت ؛ وقد طال الكلام فيه ، وإنما هي حكاية غريبة فأحببت إثباتها .

---

١ ق : فتنزل على طلسم الحصن .

٢ لم ترد إلا في المختار .

٣ ورد النص في لي مغايراً لسائر النسخ إذ جاء هنالك : « فجعلت تململ ولا يأخذها النوم ، فقال لها سابور : أي شيء خبرك لا تنامين ؟ قالت : ما نمت على فراش أخشن من هذا الفراش ، وبعد فأنا أحس بشيء يؤذيني ، فأمر سابور بالفراش فأبدل ، فلم تنم أيضاً حتى أصبحت وهي تشتكي جنبها ، فنظر اليه فاذا ورقة آس قد لصقت ببعض عكنها وقد أدمتها ، فعجب سابور من ذلك وقال : أهذا الذي أسهرك ؟.. الخ » ؛ وكذلك أورده وستنفيلد .

٤ لي : ثم أمر بها فشدت ذوائبها إلى فرسين جامحين ، ثم أرسلا فقطعاها ؛ والدليل على ذلك أن في البرية مواضع قريبة من الثرثار : موضع يعرف بالورك وآخر يقال له الكتف وآخر يعرف بالأعضاء ، وهي أماكن وجدت أعضاؤها فيها فسمي المكان بالعضو الذي وجد فيه ؛ وهذا هو ما أثبته وستنفيلد أيضاً في هذه الترجمة .

ورأيت في تاريخ آخر أنه دخل بغداد وخرج منها وتوفي في الطريق بقصر الحَضْر في التاريخ المذكور، قال ياقوت الحموي في كتابه «المشترك» : قصر الحضر بقرب سامرا من أبنية المعتصم ، والله تعالى أعلم[1] .

٧١٠

أبو الوفاء المهندس

أبو الوفاء محمد بن محمد بن يحيى بن إسماعيل بن العباس البُوزْجاني الحاسب المشهور، أحد الأئمة المشاهير في علم الهندسة، وله فيه استخراجات غريبة لم يسبق بها ، وكان شيخنا العلامة كمال الدين أبو الفتح موسى بن يونس، تغمده الله برحمته وهو القيم بهذا الفن ، يبالغ في وصف كتبه ويعتمد عليها في أكثر مطالعاته ، ويحتج بما يقوله . وكان عنده من تواليفه عدة كتب . وله في استخراج الأوتار تصنيف جيد نافع .

وكانت ولادته يوم الأربعاء مستهل شهر رمضان المعظم سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ، بمدينة بُوزْجان . وتوفي سنة سبع وثمانين وثلثمائة[2] ، رحمه الله تعالى .

وبُوزْجان : بضم الباء الموحدة وسكون الواو والزاي وفتح الجيم وبعد الألف نون ، وهي بليدة بخراسان بين هَراة ونيسابور .

وكان قد قدم العراق سنة ثمان وأربعين وثلثمائة .

وكنت وقفت على تاريخ ولادته على هذه الصورة في كتاب « الفهرست »

---

١ ورأيت ... أعلم : لم يرد في لي .

٧١٠ – ترجمته في الفهرست : ٢٨٣ وأخبار الحكماء : ٢٨٧ والوافي ١ : ٢٠٩ وابن الأثير (وفيات : ٣٨٧) وراجع الامتاع والمؤانسة فقد كتبه أبو حيان له ؛ ولم يقف صاحب المختار عند هذه الترجمة .

٢ موضع التاريخ بياض في لي ؛ وفي تاريخ الحكماء أنه توفي سنة ٣٨٨ .

تأليف أبي الفرج ابن النديم ، ولم يذكر تاريخ وفاته . فكتبت هذه الترجمة ، وذكرت تاريخ الولادة ، فأخليت بياضاً لأجل تاريخ الوفاة لعلي أظفر به ، فإن قصدي في هذا التاريخ إنما هو ذكر الوفاة كما ذكرته في أول الكتاب . ثم إني وجدت تاريخ الوفاة في تاريخ شيخنا ابن الأثير قد ذكرها في هذه السنة المذكورة فألحقتها . وكان بين شروعي في هذا التاريخ وظفري بالوفاة أكثر من عشرين سنة ، والله تعالى أعلم .

٧١١

الزمخشري صاحب الكشاف

أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمَخْشَري ، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان ؛ كان إمام عصره من غير مدافع ، تُشَد إليه الرحال في فنونه . أخذ النحو عن أبي مضر منصور[١] ، وصنف التصانيف البديعة : منها « الكشاف » في تفسير القرآن العزيز ، لم يصنف قبله مثله [و « المحاجاة بالمسائل النحوية » و « المفرد والمركب » في العربية][٢] و « الفائق » في تفسير الحديث ، و « أساس البلاغة » في اللغة ، و « ربيع الأبرار وفصوص الأخبار » و « متشابه أسامي الرواة » و « النصائح الكبار » و « النصائح الصغار » و « ضالة الناشد والرائض[٣] في علم الفرائض »

---

٧١١ – ترجمته في طبقات المعتزلة : ٢٠ ولسان الميزان ٦ : ٤ والجواهر المضية ٢ : ١٦٠ والبدر السافر ، الورقة : ١٩٣ وعبر الذهبي ٤ : ١٠٦ وانباه الرواة ٣ : ٢٦٥ وفي الحاشية ثبت كبير بالمصادر الأخرى .

١ لي : أبي منصور مضر ؛ وسقطت مضر من بر من والمختار .

٢ لم يرد في النسخ ، وورد عند وستنفيلد والمطبوعة المصرية .

٣ ن : وضالة الناشد وكتاب الرائض ...

و « المفصل » في النحو وقد اعتنى بشرحه خلق كثير ، و « الأنموذج » في النحو ، و « المفرد والمؤلف » في النحو ، و « رؤوس المسائل » في الفقه ، و « شرح أبيات كتاب سيبويه » و « المستقصى[1] في أمثال العرب » و « صميم العربية » و « سوائر الأمثال » و « ديوان التمثيل » و « شقائق النعمان في حقائق النعمان » و « شافي العيّ من كلام الشافعي » رضي الله عنه ، و « القسطاس » في العروض ، و « معجم الحدود » و « المنهاج » في الأصول ، و « مقدمة الآداب »[2] و « ديوان الرسائل » و « ديوان الشعر » و « الرسالة الناصحة » والأمالي في كل فن، وغير ذلك ؛ وكان شروعه في تأليف «المفصل» في غرة شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ، وفرغ منه في غرة المحرم سنة خمس عشرة وخمسمائة .

وكان قد سافر إلى مكة ، حرسها الله تعالى ، وجاور بها زماناً ، فصار يقال له « جار الله » لذلك ، وكان هذا الاسم علماً عليه . وسمعت من بعض المشايخ أن إحدى رجليه كانت ساقطة ، وأنه كان يمشي في جاون خشب ، وكان سبب سقوطها أنه كان في بعض أسفاره ببلاد خوارزم أصابه ثلج كثير وبرد شديد في الطريق فسقطت منه رجله ، وأنه كان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة ذلك خوفاً من أن يظن من لم يعلم صورة الحال أنها قطعت لريبة ، والثلج والبرد كثيراً ما يؤثر في الأطراف في تلك البلاد فتسقط، خصوصاً خوارزم ، فإنها في غاية البرد ، ولقد شاهدت خلقاً كثيراً ممن سقطت أطرافهم بهذا السبب ، فلا يستبعده من لم يعهده .

ورأيت في تاريخ بعض المتأخرين[3] أن الزمخشري لما دخل بغداد واجتمع بالفقيه الحنفي الدامغاني سأله عن سبب قطع رجله ، فقال : دعاء الوالدة ، وذلك أني في صباي أمسكت عصفوراً وربطته بخيط في رجله ، وأفلت من يدي ، فأدركته وقد دخل في خرق ، فجذبته فانقطعت رجله في الخيط ، فتألمت

---

١ ق : والمستصفى ، وقد طبع الكتاب باسم « المستقصى » .
٢ ن بر من : الادب .
٣ انظر انباه الرواة ٣ : ٢٦٨ .

والدتي لذلك وقالت : قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله ؛ فلما وصلت إلى سن الطلب رحلت إلى بخارى لطلب العلم ، فسقطت عن الدابة فانكسرت الرجل[1] وعملت عليّ عملاً أوجب قطعها ؛ والله أعلم بالصحة .

وكان الزمخشري المذكور معتزلي الاعتقاد متظاهراً به ، حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحباً له واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن : قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب. وأول ما صنف كتاب «الكشاف» كتب استفتاح الخطبة « الحمد لله الذي خلق القرآن » فيقال إنه قيل له : متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس ولا يرغب أحد فيه ، فغيره بقوله « الحمد لله الذي جعل القرآن » وجعل عندهم بمعنى خلق ، والبحث في ذلك يطول ، ورأيت في كثير من النسخ « الحمد لله الذي أنزل القرآن » وهذا إصلاح الناس لا إصلاح المصنف .

وكان الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد السِّلَفي المقدم ذكره، رحمه الله تعالى، قد كتب إليه من الإسكندرية[2] ، وهو يومئذ مجاور بمكة حرسها الله تعالى ، يستجيزه في مسموعاته ومصنفاته ، فرد جوابه بما لا يشفي الغليل ، فلما كان في العام الثاني كتب إليه أيضاً مع الحُجّاج استجازة أخرى اقترح فيها مقصوده ، ثم قال في آخرها : ولا يحوج ، أدام الله توفيقه ، إلى المراجعة ، فالمسافة بعيدة، وقد كاتبه في السنة الماضية فلم يجبه بما يشفي الغليل ، وله في ذلك الأجر الجزيل. فكتب إليه الزمخشري جوابه ، ولولا خوف التطويل لكتبت الاستدعاء والجواب ، لكن نقتصر على بعض الجواب وهو « ما مثَلي مع أعلام العلماء إلا كمثل السُّها مع مصابيح السماء ، والجَهام الصفر من الرهام مع الغوادي الغامرة للقيعان والآكام ، والسُّكَيْت المخلف مع خيل السباق ، والبغاث مع الطير العتاق ، وما التلقيب بالعلامة ، إلا شبه الرقم بالعلامة ، والعلم مدينة أحدُ بابيها الدراية ، والثاني الرواية[3] ، وأنا في كلا البابين ذو بضاعة مُزجاة ، ظلي

---

١ ق : رجلي .

٢ انظر هذه المكاتبات في أزهار الرياض ٣ : ٢٨٣ .

٣ ق : للدراية ... للرواية .

فيه أقلص من ظل حَصاة ، أما الرواية فحديثة الميلاد ، قريبة الإسناد ، لم تستند إلى علماء نحارير ، ولا إلى أعلام مشاهير ، وأما الدراية فَثَمد لا يبلغ أفواها ، وبرض لا يبلُ شفاها » ثم كتب بعد هذا : لا يغرنكم قول فلان فيَّ ولا قول فلان ، وعدد جماعة من الشعراء والفضلاء مدحوه بمقاطيع من الشعر ، وأوردها كلها ، ولا حاجة إلى الاتيان بها ها هنا ، فلما فرغ من إيرادها كتب « فإن ذلك اغترار منهم بالظاهر المموّه ، وجهل بالباطن المشوّه ، ولعل الذي غرهم مني ما رأوا من حسن منصح للمسلمين وبليغ الشفقة على المستفيدين ، وقطع المطامع عنهم ، وإفادة المبار والصنائع عليهم ، وعزة النفس والرَّبْءِ بها عن الإسفاف للدنيّات ، والإقبال على خويصتي ، والإعراض عما لا يعنيني ، فجللت في عيونهم ، وغلطوا في ونسبوني إلى ما لست منه في قَبيل ولا دَبير ، وما أنا فيما أقول بهاضم لنفسي كما قال الحسن البصري ، رحمه الله تعالى ، في أبي بكر الصديق رضوان الله عليه بقوله « وليتكم ولست بخيركم » : إن المؤمن ليهضم نفسه ، وإنما صدقت الفاحص عني وعن كنه روايتي ودرايتي ومن لقيت وأخذت عنه ، وما بلغ علمي وقصارى فضلي ، وأطلعته طلعَ أمري ، وأفضيت إليه بخبيّة سري ، وألقيت إليه عُجَري وبُجَري ، وأعلمته نجمي وشجري . وأما المولد فقرية مجهولة من قرى خوارزم تسمى زَمَخْشر ، وسمعت أبي ، رحمه الله تعالى ، يقول : اجتاز بها أعرابي فسأل عن اسمها واسم كبيرها ، فقيل له : زمخشر والردّاد ، فقال لا خير في شر وردّ ، ولم يُلْمم بها ؛ ووقت الميلاد شهر الله الأصم في عام سبع وستين وأربعمائة ، والله المحمود ، والمصلى عليه محمد وآله وأصحابه » هذا آخر الإجازة ، وقد أطال الكلام فيها ، ولم يصرح له بمقصوده فيها ، وما أعلم هل أجازه بعد ذلك أم لا .

وبيني وبينه في الرواية شخص واحد ، فإنه أجاز زينب بنت الشّعْري ، ولي منها إجازة كما تقدم في ترجمتها في حرف الزاي .

ومن شعره السائر قوله ، وقد ذكره السمعاني في « الذيل »[1] قال : أنشدني أحمد بن محمود الخوارزمي إملاء بسمرقند ، قال : أنشدنا محمود بن عمر الزمخشري

---

١ لي : المذيل .

لنفسه بخوارزم ، وذكر الأبيات وهي :

ألا قل لسعدى ما لنا فيك من وَطَرْ ... وما تطلبين النجل من أعين البقرْ
فانا اقتصرنا بالذين تضايقت ... عيونهمُ والله يجزي من اقتصر
مليح ولكن عنده كل جَفْوة ... ولم أر في الدنيا صفاء بلا كدر
ولم أنس إذ غازلته قرب روضة ... إلى جَنْب حوض فيه للماء مُنْحَدَر
فقلت له : جئني بورد وإنما ... أردت به ورد الخدود وما شعر
فقال : انتظرني رَجْعَ طرفٍ أجيء به ... فقلت له : هيهات ماليَ منتظر
فقال : ولا ورد سوى الخد حاضر ... فقلت له : إني قنعت بما حضر

ومن شعره يرثي شيخه أبا مضر منصوراً المذكور أولاً :

وقائلة : ما هذه الدرر التي ... تساقط من عينيك سِمْطين سمطين ؟
فقلت : هو الدر الذي كان قد حشا ... أبو مضر أذْني تساقَطَ من عيني

وهذا مثل قول القاضي أبي بكر الأرجاني – المقدم ذكره – ولا أعلم أيهما أخذ من الآخر لأنهما كانا متعاصرين ، وهو :

لم يُبكني إلا حديث فراقكم[1] ... لمّا أسر به إلى مُوَدّعي
هو ذلك الدر الذي أودعْتُمُ ... في مسمعي أجريته من مدمعي

وهذان البيتان من جملة قصيدة طويلة بديعة ؛ ومن المنسوب إلى القاضي الفاضل في هذا المعنى :

لا تردني نظرةٌ ثانية ... كَفَتِ الأولى ووفّت ثمني
لك في قلبي حديث مودَع ... لا جحدت الحب ما أودعني
خذه من جفني عقوداً إنه ... بعضُ ما أودعتَه في أذني

ومما أنشده لغيره في كتابه « الكشاف » عند تفسير قول الله تعالى في سورة البقرة ﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها ﴾ (البقرة : ٢٦)

١ ق ر لي : فراقهم .

فإنه قال : أنشدت لبعضهم :

يا من يرى مدَّ البعوض جَناحها ... في ظلمة الليـل البهيم الأليلِ
ويرى عروق نياطها في نحرها ... والمخ في تلك العظام النحَّلِ
اغفرْ لعبدٍ تاب من فرطاته ... ما كان منه في الزمان الأولِ

وكان بعض الفضلاء قد أنشدني هـذه الأبيات بمدينة حلب وقال : إن الزمخشري المذكور أوصى أن تكتب على لوح قـبره هذه الأبيات ، ثم أنشدني ذلك الفاضل الرئيس بيتين وذكر أن صاحبها أوصى أن يكتبا على قبره وهما[1] :

إلهيَ قد أصبحْتُ ضيفك في الثرى ... وللضيف حق عند كل كريمِ
فهب لي ذنوبي في قراي فإنها ... عظيم ولا يُقرَى بغـير عظيمِ

وأخبرني بعض الأصحاب أنه رأى بجزيرة سواكن تربة ملكها عزيز الدولة ريحان وعلى قبره مكتوب :

يا أيها الناس كان لي أمل ... قَصَّر بي عن بلوغه الأجَلُ
فليتق الله ربـه رجـل ... أمكنه قبـل موته العمل
ما أنا وحدي نقلت حيث ترى ... كل إلى مـا نقلت ينتقل

وكانت ولادة الزمخشري يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر . وتوفي ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، بجُرْجانية خوارزم ، بعد رجوعه من مكة ، رحمه الله تعالى ؛ ورثاه بعضهم بأبيات ، ومن جملتها :

فأرض مكة تذري الدمع مقلتها ... حزناً لفرقـة جـار الله محمودِ

وزَمَخْشَر : بفتح الزاي والميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الشين المعجمة

---

١ ينتهي هنا الجزء الأول من المختار ، وقد سقطت منه تراجم ، ثم يبدأ الجزء الثاني بترجمة « أبو تميم معد » .

وبعدها راء ، وهي قرية كبيرة من قرى خوارزم .

وجُرْجانية : بضم الجيم الأولى وفتح الثانية وسكون الراء بينهما وبعد الألف نون مكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها مفتوحة مشددة ثم هاء ساكنة ، وهي قصبة خوارزم .

قال ياقوت الحموي في كتاب «البلدان» : يقال لها بلغتهم كركانج، وقد عربت فقيل لها الجرجانية ، وهي على شاطىء جيحون ، والله تعالى أعلم بالصواب .

٧١٢
القاضي الأصبهاني

أبو طالب محمود بن علي بن أبي طالب بن عبد الله بن أبي الرجا التميمي الأصبهاني ، المعروف بالقاضي ، صاحب الطريقة في الخلاف ، تفقه على الشهيد محمد بن يحيى – المقدم ذكره – وبرع في الخلاف ، وصنف فيه التعليقة التي شهدت بفضله وتحقيقه وتبريزه على أكثر نظرائه ، وجمع فيها بين الفقه والتحقيق، وكان عمدة المدرسين في إلقاء الدروس عليها ومن لم يذكرها فإنما كان لقصور فهمه عن إدراك دقائقها ، واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به ، وصاروا علماء مشاهير . وكان له في الوعظ اليد الطولى ، وكان متفنناً في العلوم خطيباً ، خطب ودرس بأصبهان مدة ؛ وتوفي في شوال سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

---

٧١٢ – ترجمته في طبقات السبكي ٤ : ٣٠٤ والشذرات ٤ : ٢٨٤ .

٧١٣
محمود بن سبكتكين

أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة أبي منصور سُبُكتِكِين ، الملقب أولاً سيف الدولة ، ثم لقبه الإمام القادر بالله لما سلطنه بعد موت أبيه « يمين الدولة وأمين الملة » واشتهر به .

(241) وكان والده سبكتكين قد ورد مدينة بخارى في أيام نوح بن منصور أحد ملوك السامانية[1] المذكورين في ترجمة أبي بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب ، وكان وروده في صحبة أبي إسحاق ابن البتكين ، وهو حاجبه وعليه مدار أموره ، فعرفه أركانُ تلك الدولة بالشهامة والصرامة ، وتوسموا فيه الارتفاع إلى اليفاع . ولما خرج أبو إسحاق المذكور إلى غَزْنَة والياً عليها وسادّاً مسدّ أبيه انصرف الأمير سبكتكين بانصرافه على جملته[2] في زعامة رجاله ومراعاة ما وراء بابه ، فلم يلبث أبو إسحاق بعد موافاتها أن قضى نحبه ، ولم يبق من ذوي قرابته مَنْ يصلح لمكانته واحتاج الناس إلى من يتولى أمورهم ، فاختلفوا فيمن يصلح لذلك ، ثم وقع اتفاقهم واجتمعت كلمتهم على تأمير الأمير سبكتكين ، فبايعوه على ذلك ، وانقادوا لحكمه .

فلما تمكن واستحكم شرع في الغَزاة والإغارة على أطراف الهند ، فافتتح قلاعاً كثيرة منها ، وجرت بينه وبين الهنود حروب يقصر الشرح عن وصفها ولم يلبث أن اتسعت رقعة ولايته وعظم حجم جريدته ، وعمرت أرض خزانته[3] ، وأشفقت النفوس من هيبته . وكان من جملة فتوحاته ناحية بُسْت ، وكان من

---

٧١٣ – أخباره في تاريخ ابن الأثير (ج : ٩) وابن خلدون ٤ : ٣٦٣ والجواهر المضية ٢ : ١٥٧ والبداية والنهاية ٢ : ٢٧ والمنتظم ٨ : ٥٢ وعبر الذهبي ٣ : ١٤٥ والشذرات ٣ : ٢٢٠ .

١ ق : أحد الملوك السلطانية السامانية .

٢ لي لي ن : حملته .   ٣ لي : خزائنه .

جملة ما استفاده[1] من صفاياها أبو الفتح علي بن محمد البستي الشاعر المقدم ذكره ، فإنه كان كاتباً لملك الناحية المذكورة ، واسمه بابي نور[2] ، فلما تعلق بخدمته اعتمد عليه في أموره ، وأسر إليه بأحواله ، وشرحُ ذلك يطول .

وآخر الأمر أن الأمير سبكتكين كان قد وصل إلى مدينة بلخ من طوس فمرض بها ، واشتاق إلى غَزْنَة فخرج إليها في تلك الحال ، فمات في الطريق قبل وصوله، وذلك في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، ونقل تابوته إلى غزنة، ورثاه جماعة من شعراء عصره منهم كاتبه أبو الفتح البستي المذكور بقوله :

قلت إذ مات ناصر الدين والدو ... لة حيّاه ربه بالكرامه
وتداعت جموعه بافتراق : ... هكذا هكذا تكون القيامه !

واجتاز بعض الأفاضل بداره بعد موته وقد تشعثت ، فأنشد :

عليك سلام الله من منزل قفر ... فقد هِجتَ لي شوقاً قديماً وما تدري
عهدتك مذ شهر جديداً ولم أخل ... صروف الردى تبلي مغانيك في شهر

وكان الأمير المذكور قد جعل ولي عهده من بعده ولده إسماعيل ، واستخلفه على الأعمال ، وأوصى إليه بأمور أولاده وعياله ، وجمع وجوه حجابه وقواده على طاعته ومتابعته ، وجلس على سرير السلطنة ، وتحكم واعتبر بيوت الأموال ، وكان أخوه السلطان محمود بخراسان مقيماً بمدينة بلخ وإسماعيل بغزنة ، فلما بلغه نعي أبيه كتب إلى أخيه إسماعيل ولاطفه في القول وقال له : إن أبي لم يستخلفك دوني إلا لكونك كنت عنده وأنا كنت بعيداً عنه، ولو أوقف الأمر على حضوري لفاتت مقاصده[3]، ومن المصلحة أن نتقاسم الأموال بالميراث وتكون أنت مكانك بغزنة وأنا بخراسان ، وندبر الأمور ونتفق على المصالح كيلا يطمع فينا عدو ، ومتى ما ظهر للناس اختلافنا قلّت حرمتنا[4] ، فأبى إسماعيل من

---

١ ن : استقاده .

٢ لي ن : بابي ثور ، ق : بابي النور ، وعند دي سلان : باي توز .

٣ لي : مصالح ومقاصد .

٤ ق ن لي : كي لا يطمع فينا متى ما ظهر للناس اختلافنا .

موافقته على ذلك وكان فيه لين ورخاوة،فطمع فيه الجند وتشغبوا عليه وطالبوه بالأموال فاستنفد في مرضاتهم الخزائن .

ثم خرج محمود إلى هراة وجدد مكاتبة أخيه ، وهو لا يزداد إلا اعتياصاً[1] ، فدعا محمود عمه بغراجق إلى موافقته فأجابه ؛ وكان أخوه أبو المظفر نصر بن سبكتكين أميراً بناحية بُسْت ، فنهض إليه وعرض عليه الانقياد لمتابعته فلم يتوقف عليه ، فلما قوي جأشه بعمه وأخيه قصد أخاه إسماعيل بغَزْنة وهما معه، فنازلها في جيش عظيم وجم غفير وحاصرها ، واشتد القتال عليها ففتحها، وانحاز إسماعيل إلى قلعتها متحصناً بها ، ثم تلطف في طلب الأمان من أخيه محمود فأجابه إلى سؤاله ، ونزل في حكم أمانه وتسلم منه مفـــاتيح الخزائن ، ورتب في غزْنة النواب والأكفاء وانحدر إلى بلخ .

وكان السلطان محمود قد اجتمع بأخيه إسماعيل في مجلس الأنس بعد ظفره به ، فسأله عما كان في نفسه أنه يعتمده في حقه لو ظفر به ، فحملته سلامـة صدره ونَشْوة السكر على أن قال : كان في عزمي أن أسيّرك إلى بعض القلاع مُوَسّعاً عليك فيما تقترحه من دار وغلمان وجوار ورزق على قدر الكفاية[2] ، فعامله بجنس ما كان قد نواه له ، وسيره إلى بعض الحصون وأوصى عليه الوالي أن يمكنه من جميع ما يشتهي .

ولما انتظم الأمر للسلطان محمود ، كان في بعض بلاد خراسان نواب لصاحب ما وراء النهر من ملوك بني سامان ، فجرى بين السلطان محمود وبينهم حروب[3] انتصر فيها عليهم ، وملك بلاد خراسان وانقطعت الدولة السامانية[4] منها ، وذلك في سنة تسع وثمانين وثلثمائة ، واستتب له الملك ، وسير له الإمام القادر بالله خلعة السلطنة ، ولقبه بالألقاب المذكورة في أول ترجمتــه ، وتبوأ سرير المملكة ، وقام بين يديه أمراء خراسان سماطين مقيمين برسم الخدمة ، وملتزمين

---

١ ر : إباء .

٢ ق : على قدر الكفاية دار .

٣ ر : حروب عظيمة .

٤ ق : السلطانية السامانية .

حكم الهيبة ، وأجلسهم بعد الإذن العام على مجلس الأنس ، وأمر لكل واحد منهم ولسائر غلمانه وخاصته ووجوه أوليائه وحاشيته من الخلع والصلات ونفائس الأمتعة ما لم يسمع بمثله . واتسعت الأمور عن آخرها في كنف إيالته ، واستوسقت الأعمال في ضمن كفالته ، وفرض على نفسه في كل عام غزْوَ الهند. ثم إنه ملك سجستان في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ، بدخول قوادها وولاة أمرها في طاعته من غير قتال .

ولم يزل يفتح في بلاد الهند حتى انتهى إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية ، ولم تتل[1] به قط سورة ولا آية ، فَرَحَضَ عنها أدناس الشرك وبنى بها مساجد وجوامع ، وتفصيل حاله يطول شرحه . ولما فتح بلاد الهند كتب إلى الديوان العزيز ببغداد كتاباً يذكر فيه ما فتحه الله تعالى على يديه من بلاد الهند ، وأنه كسر الصنم[2] المعروف بسومنات . وذكر في كتابه أن هذا الصنم عند الهنود يُحيي ويميت ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وأنه إذا شاء أبرأ من جميع العلل ، وربما كان يتفق لشقوتهم إبلال عليل يقصده فيوافقه طيب الهواء وكثرة الحركة فيزيدون به افتتاناً ويقصدونه من أقاصي البلاد رجالاً وركباناً ، ومن لم يصادف منهم انتعاشاً احتج بالذنب وقال : إنه لم يخلص له الطاعة ، ولم يستحق منه الإجابة ، ويزعمون أن الأرواح إذا فارقت الأجسام اجتمعت لديه على مذهب أهل التناسخ ، فينشئها فيمن يشاء ، وأن مد البحر وجَزره عبادة له على قدر طاقته ، وكانوا بحكم هذا الاعتقاد يحجونه من كل صقع بعيد ، ويأتونه من كل فج عميق ، ويتحفونه بكل مال نفيس . ولم يبق في بلاد السند والهند على تباعد أقطارها وتفاوت أديانها ملك ولا سوقة إلا تقرب إلى هذا الصنم بما عز عليه من أمواله وذخائره حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية مشهورة في تلك البقاع[3] ، وامتلأت خزائنه من أصناف الأموال ، وفي خدمته من البراهمة ألف رجل يخدمونه ، وثلثمائة رجل يحلقون رؤوس حجيجه ولحاهم عند الورود

---

١ ر : ولم تقر به ؛ ن : ولم تقل به قط صورة ولا ية .

٢ ق : الصنم الكبير .

٣ ق : البلاد والبقاع .

عليه ، وثلثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون ويرقصون عند بابه ، ويجرى من مال الأوقاف المرصَدة له لكل طائفة من هؤلاء رزق معلوم .

وكان بين المسلمين وبين القلعة التي فيها الصنم مسيرة شهر في مفازة موصوفة بقلة المياه وصعوبة المسالك واستيلاء الرمل على طرقها ، فسار إليها السلطان محمود في ثلاثين ألف فارس جريدة مختارة من بين عدد كثير ، وأنفق عليهم من الأموال ما لا يحصى ؛ فلما وصلوا إلى القلعة وجدوها حصناً منيعاً ، وفتحوها في ثلاثة أيام ، ودخلوا بيت الصنم وحوله من الأصنام الذهب المرصع بأصناف الجوهر عدة كثيرة[1] محيطة بعرشه ، يزعمون أنها الملائكة ، وأحرق المسلمون الصنم المذكور فوجدوا في أذنه نيفاً وثلاثين حلقة ، فسألهم محمود عن معنى ذلك فقالوا : كل حلقة عبادة ألف سنة ، وكانوا يقولون بقدم العالم ويزعمون أن هذا الصنم يعبد منذ أكثر من ثلاثين ألف سنة ، وكلما عبدوه ألف سنة علقوا في أذنه حلقة ، وبالجملة فإن شرح ذلك يطول .

وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه أن بعض الملوك بقلاع الهند أهدى له هدايا كثيرة من جملتها طائر على هيئة القمري ، من خاصيته أنه إذا حضر الطعام وفيه سم دمعت عينا هذا الطائر وجرى منهما ماء وتحجّر ، فإذا حك[2] ووضع على الجراحات الواسعة لحمها ، ذكر ذلك في سنة أربع عشرة وأربعمائة .

وقد جمع سيرته أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي الفاضل المعروف في كتاب سماه « اليميني » وهو مشهور ، وذكر في أوله أن السلطان المذكور ملك الشرق بجنبيه ، والصدر من العالم ويديه ، لانتظام الإقليم الرابع بما يليه من الثالث والخامس في حوزة ملكه وحصول ممالكها الفسيحة وولايتها[3] العريضة في قبضة ملكه ، ومصير أمرائها وذوي الألقاب الملوكية من عظمائها تحت حمايته وجبايته ، واستدرائهم من آفات الزمان بظل ولايته ورعايته ، وإذعان ملوك الأرض لعزته ، وارتياعهم بفائض[4] هيبته ، واحتراسهم — على تقاذف الديار

---

١ ق : عدد كثير .

٢ ق : حل ، ر : خط .

٣ ن : وولاياتها ؛ لي : وولاتها .

٤ ق : من فائض .

وتحاجز الأنجاد والأغوار – من فاجيء ركضته ، واستخفاء الهند تحت جيوبها[1] عند ذكره، واقشعرارهم لمهب الرياح من أرضه، وقد كان مذ لَفَظه المهد وجفاه الرضاع ، وانحلت عن لسانه عقدة الكلام ، واستغنى عن الإشارة بالإفهام ، مشغولَ اللسان بالذكر والقرآن ، مشغوف النفس بالسيف والسنان ، ممدود الهمة إلى معالي الأمور، معقود الأمنية بسياسة الجمهور، لعبه مع الأتراب جد ، وجده مستكدّ ، يألمُ لما لا يعلم حتى يقتله[2] خُبراً ، ويحزن لما يحزن حتى يدمّنه قسراً وقهراً .

وذكر إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني –المقدم ذكره– في كتابه الذي الذي سماه « مغيث الخلق في اختيار الأحق » أن السلطان محموداً المذكور كان على مذهب أبي حنيفة ، رضي الله عنه ، وكان مولعاً بعلم الحديث ، وكانوا يسمعون الحديث من الشيوخ بين يديه ، وهو يسمع ، وكان يستفسر الأحاديث ، فوجد أكثرها موافقاً لمذهب الشافعي رضي الله عنه ، فوقع في خلده[3] حكة ، فجمع الفقهاء من الفريقين في مَرْو ، والتمس منهم الكلام في ترجيح أحد المذهبين على الآخر ، فوقع الاتفاق على أن يصلوا بين يديه ركعتين على مذهب الإمام الشافعي، رضي الله عنه ، وعلى مذهب أبي حنيفة ، رضي الله عنه، لينظر فيه السلطان ، ويتفكر ويختار ما هو أحسنها ، فصلى القفال المروزي – وقد تقدم ذكره – بطهارة مسبغَة وشرائط معتبرة من الطهارة والسترة واستقبال القبلة ، وأتى بالأركان والهيئات والسنن والآداب والفرائض على وجه الكمال والتمام ، وقال : هذه صلاة لا يجوّز الإمام الشافعي دونها رضي الله عنه ، ثم صلى ركعتين على ما يجوز أبو حنيفة رضي الله عنه ، فلبس جلد كلب مدبوغاً ولطخ ربعه بالنجاسة ، وتوضأ بنبيذ التمر ، وكان في صميم الصيف في المفازة ، واجتمع عليه الذباب والبعوض ، وكان وضوءه منكساً منعكساً ، ثم استقبل القبلة ، وأحرم بالصلاة من غير نية في الوضوء ، وكبر بالفارسية دو بركك سبز ، ثم نقر

---

١ لي : جنودها ؛ ن ق : جيوبها .

٢ لي : يقلبه ؛ ق : يقبله .

٣ لي : جِلده .

نقرتين كنقرات الديك من غير فصل ومن غير ركوع ، وتشهد ، وضرط في آخره ، من غير نية السلام ، وقال : أيها السلطان ، هذه صلاة أبي حنيفة[1] ، فقال السلطان : لو لم تكن هذه الصلاة صلاة أبي حنيفة لقتلتك ، لأن مثل هذه الصلاة لا يجوزها ذو دين ، فأنكرت الحنفية أن تكون هذه صلاة أبي حنيفة ، فأمر القفال بإحضار كتب أبي حنيفة ، وأمر السلطان نصرانياً كاتباً يقرأ[2] المذهبين جميعاً ، فوجدت الصلاة على مذهب أبي حنيفة على ما حكاه القفال ، فأعرض السلطان عن مذهب أبي حنيفة ، وتمسك بمذهب الشافعي رضي الله عنه؛ انتهى كلام إمام الحرمين .

وكانت مناقب السلطان محمود كثيرة ، وسيرته من أحسن السير ، ومولده ليلة عاشوراء سنة إحدى وستين وثلثمائة . وتوفي في شهر ربيع الآخر ، وقيل حادي عشر صفر ، سنة إحدى ، وقيل اثنتين وعشرين وأربعمائة بغَزْنَة ، رحمه الله تعالى .

(242) وقام بالأمر من بعده ولده محمد بوصية من أبيه ، واجتمعت عليه الكلمة ، وغمرهم بإنفاق الأموال فيهم ، وكان أخوه أبو سعيد مسعود غائباً ، فقدم نيسابور وقد استتب أمر أخيه محمد، فراسله ، ومال الناس إليه لقوة نفسه وتمام[3] هيبته ، وزعم أن الإمام القادر بالله قلده خراسان ، ولقبه الناصر لدين الله وخلع عليه وطوقه سواراً ، فقوي أمره لذلك . وكان محمد هذا سيء التدبير منهمكاً في ملاذه ، فأجمع الجند على عزل محمد وتولية الملك لمسعود ، ففعلوا ذلك ، وقبضوا على محمد وحملوه إلى قلعة ووكلوا به .

(243) واستقر الملك للأمير مسعود ، وجرى له مع بني سلجوق خطوب يطول شرحها . وله في ترجمة المعتمد بن عباد حكاية في المنام ، فلتنظر هناك[4] . وقتل سنة ثلاثين وأربعمائة ، واستولى على المملكة بنو سلجوق ، وقد تقدم في

---

١ في حاشية ق تعليق بغير خط الأصل في الدفاع عن مذهب أبي حنيفة .

٢ ن : فقرأ .

٣ ن ر ق : في تمام .

٤ لم يرد شيء من ذلك في ترجمة المعتمد .

ترجمة السلطان طُغْرُلبَكْ السلجوقي طرف من الخبر ، وكيفية ما اعتمده السلطان محمود في حقهم ، وكيف تغلبوا على الأمر .

وسُبُكْتِكين : بضم السين المهملة والباء الموحدة وسكون الكاف وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف الثانية وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون .

وتفسير « دو بركك سبز » ورقتان خضراوان ، وهو معنى قوله تعالى في سورة الرحمن ﴿ مدهامتان ﴾ (الرحمن : ٦٤) والله تعالى أعلم .

٧١٤

مغيث الدين السلجوقي

أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي ، الملقب مغيث الدين ، أحد الملوك السلجوقية المشاهير ، وقد تقدم ذكر والده وجماعة من أهل بيته وسيأتي ذكر جده وغيره منهم إن شاء الله تعالى ، وتقدم طرف من خبره في ترجمة العزيز أبي نصر أحمد بن حامد الأصبهاني عم العماد الكاتب .

تولى أبو القاسم المذكور السلطنة بعد وفاة والده ، وخطب له بها بمدينة بغداد على جاري عادة الملوك السلجوقية ، يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرم سنة اثنتي عشرة وخمسمائة ، في خلافة المستظهر بالله ، وهو يومئذ في سن الحلم ، وكان متوقداً ذكاء ، قوي المعرفة بالعربية ، حافظاً للأشعار والأمثال ، عارفاً بالتواريخ والسير ، شديد الميل إلى أهل العلم والخير ، وكان حَيْصَ بَيْصَ الشاعر المقدم ذكره قد قصده من العراق ومدحه بقصيدته الدالية المشهورة التي أولها :

ألق الحدائجَ ترع الضمرُ القودُ ... طال السرى وتشكت وَخْدَكَ البيدُ

---

٧١٤ – أخباره في تاريخ ابن الأثير (ج : ١٠) وتاريخ الدولة السلجوقية وابن خلدون ٥ : ٤٥ والسلوك ١ : ٣٤ والباهر : ٤٢ والمنتظم ١٠ : ٢٤ وعبر الذهبي ٤ : ٦٦ والشذرات ٤ : ٧٦ .

يا ساريَ الليل لا جَدْبٌ ولا فرق   فالنبتُ أغيد والسلطـان محمودُ
قَيْلٌ تألفتِ الأضدادُ خيفتـه   فالمورد الضنك فيـه الشاء والسِّيد

وهي طويلة ومن غرر القصائد ، وأجازه عليها جائزة سنية .

وقد كان تزوج بنتي عمه السلطان سنجر – المقدم ذكره – حسبما شرحناه في ترجمة العزيز الأصبهاني ، واحـدة بعد الأخرى ، وكانت السلطنة في أواخر أيامه قد ضعفت وقلت أموالها ، حتى عجزوا عن إقامـة وظيفة الفقاعي ، فدفعوا له يوماً بعض صناديق الخزانة حتى باعها وصرف ثمنها في حاجته ، وكان في آخر مدته قد دخل بغداد ، ثم خرج منها ، فمرض في الطريق واشتد به المرض ، وتوفي يوم الخميس خامس عشر شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

وذكر ابن الأزرق الفارقي في تاريخه أنه مات خامس عشر شوال سنة أربع وعشرين بباب أصبهان ، ودفن بها . وولي السلطنة أخوه طُغْرُلبَك ، ومات سنة سبع عشرين ، وتولى أخوه مسعود وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

(244) وابنه محمد شاه بن محمود بن محمد هو الذي حاصر بغداد ومعه زين الدين أبو الحسن علي بن بلتكين صاحب إربل في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، وقال شيخنا ابن الأثير في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة – قال ذلك في تاريخه الصغير المعروف بالأتابكي – : ومات محمد شاه المذكور في ذي الحجة سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، وتاريخ وفاة زين الدين المذكور مذكور في ترجمة ولده مظفر الدين صاحب إربل في حرف الكاف ؛ ومات محمد شاه بباب همذان ، ومولده في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة .

٧١٥
الملك العادل نور الدين

أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر ، الملقب الملك العادل نور الدين ، قد تقدم ذكر أبيه في حرف الزاي .

ولما حاصر أبوه قلعة جعبر – حسبما تقدم ذكره في ترجمته – كان ولده نور الدين المذكور في خدمته ، فلما قتل أبوه سار نور الدين وفي خدمته صلاح الدين محمد بن أيوب اليغيساني وعساكر الشام إلى مدينة حلب[1] فملكها في ذلك التاريخ . وملك أخوه سيف الدين غازي – المذكور في حرف الغين – مدينة الموصل وما والاها من تلك النواحي .

ثم إنه نزل على دمشق محاصراً لها وصاحبُها يومئذ مجير الدين أبو سعيد أبق ابن جمال الدين محمد بن تاج الملوك بوري بن ظهير الدين طغتكين ، وهو أتابك الملك دُقاق بن تُتُش – المقدم ذكره في ترجمة تتش في حرف التاء – وكان نزوله عليها ثالث صفر سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، وملَكها يوم الأحد تاسع الشهر المذكور ، وعوض مجير الدين أبق عن دمشق حمص ثم أخذها منه وعوضه عنها بالس ، فانتقل إليها وأقام بها مدة ثم قصد بغداد في أيام الإمام المقتفي .

وكان أتابكه معين الدين أنر بن عبد الله عتيق جد أبيه ظهير الدين طغتكين الأتابك – المقدم ذكره في ترجمة تتش السلجوقي ، وقد سبق ذكر ظهير الدين طغتكين الأتابك هناك أيضاً .

ثم استولى نور الدين محمود على بقية بلاد الشام من حَماة[2] وبعلبك ، وهو

---

٧١٥ – أخباره في الباهر والكامل (ج : ١١) وابن خلدون ٥ : ٢٥٣ وابن الوردي ٢ : ٨٣ ومرآة الزمان : ٣٠٥ ومفرج الكروب (ج : ١) والنجوم الزاهرة ٦ : ٧١ والمنتظم ١٠ : ٢٤٨ وعبر الذهبي ٤ : ٢٠٨ والشذرات ٤ : ٢٢٨ ولابن قاضي شهبة مؤلف في سيرته باسم « الكواكب الدرية في السيرة النورية » ، تحقيق الدكتور محمود زايد (بيروت ١٩٧١) .

١ زاد في لي بر من : وحماه وحمص ومنبج وحران .

٢ لي : حمص وحماة .

الذي بنى سورها ، ومنبج وما بين ذلك ، وافتتح من بلاد الروم عدة حصون منها مرعش وبهسنا[1] وتلك الأطراف ، وكان فتحه لمرعش في ذي القعدة من سنة ثمان وستين وخمسمائة ولبهسنا في ذي الحجة من السنة[2] ، وافتتح أيضاً من بلاد الفرنج حارم ، وكان فتحها في أواخر شهر رمضان سنة تسع وخمسمائة ، وفتح أعزاز وبانياس وغير ذلك ما تزيد عدته على خمسين حصناً .

ثم سير الأمير أسد الدين شيركوه – المقدم ذكره – إلى مصر ثلاث دفعات ، وملكها السلطان صلاح الدين في الدفعة الثالثة[3] نيابة عنه ، وضرب باسمه السكة والخطبة ، وهي قضية مشهورة فلا حاجة إلى الإطالة في شرحها[4] ، وسيأتي ذلك في ترجمة صلاح الدين إن شاء الله تعالى .

وكان ملكاً عادلاً زاهداً عابداً ورعاً ، مستمسكاً[5] بالشريعة مائلاً إلى أهل الخير ، مجاهداً في سبيل الله تعالى ، كثير الصدقات ، بنى المدارس بجميع بلاد الشام الكبار مثل دمشق وحلب وحماة وحمص وبعلبك ومنبج والرحبة ، وقد تقدم ذلك في ترجمة الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون ، وبنى بمدينة الموصل الجامع النوري ورتب له ما يكفيه ، وبحماة الجامع الذي على نهر العاصي ، وجامع الرها وجامع منبج ، وبيمارستان دمشق ، ودار الحديث بها أيضاً ، وله من المناقب والمآثر والمفاخر ما يستغرق الوصف .

وكان بينه وبين أبي الحسن سنان بن سليمان[6] بن محمد الملقب راشد الدين صاحب قلاع الإسماعيلية ومقدم الفرقة الباطنية بالشام ، وإليه تنسب الطائفة السنانية ، مكاتبات ومحاورات بسبب المجاورة ، فكتب إليه نور الدين في بعض الأزمنة كتاباً يتهدده فيه ويتوعده[7] لسبب اقتضى ذلك ، فشق على سنان فكتب

---

١ ق : وبهنشا ، لي : وبهشنا .

٢ زاد هنا في ق : واعزاز وبانياس في ذي الحجة من السنة المذكورة ؛ وسيأتي هذا بعد قليل .

٣ ق : الأولى والثالثة .

٤ ق : في ذكرها وشرحها .

٥ ق ر بر من : متمسكا .

٦ ق ر لي بر من : سلمان .

٧ لي ر ن : ويتواعده .

جوابه أبياتاً ورسالة ، وهما :

يا ذا الذي بقراع السيف هَدّدَنا[1] لا قام مصرع جنبي حين تصرعه
قام الحَمام إلى البازي يهدّده واستيقظت لأسود البر أضْبُعه
أضحى يسدُّ فم الأفعى باصبعه يكفيه ما قد تُلاقي منه إصبعه

وقفنا على تفاصيله[2] وجمله ، وعلمنا ما هددَنا به من قوله وعمله ، فيالله العجب من ذبابة تطن في أذن فيل، وبعوضة تُعَدُّ في التماثيل، ولقد قالها من قبلك قوم آخرون ، فدمرنا عليهم وما كان لهم من ناصرين ، أوَ للحق تدحضون ، وللباطل تنصرون ؟ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، وأما ما صدر من قولك في قطع راسي ، وقلعك لقلاعي من الجبال الرواسي ، فتلك أماني كاذبة ، وخيالات غير صائبة ، فإن الجواهر لا تزول بالأعراض ، كما أن الأرواح لا تضمحل بالأمراض ، كم بين قوي وضعيف ، ودني وشريف ؟ وإن عدنا إلى الظواهر والمحسوسات ، وعدلنا عن البواطن والمعقولات ، فلنا أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « ما أوذي نبيّ ما أوذيت » ولقد علمتم ما جرى على عترته ، وأهل بيته وشيعته ، والحال ما حال ، والأمر ما زال ، ولله الحمد في الآخرة والأولى إذ نحن مظلومون لا ظالمون ، ومغصوبون لا غاصبون ، وإذا جاء الحق زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ، ولقد علمتم ظاهر حالنا ، وكيفية رجالنا ، وما يتمنونه من الفوت ، ويتقربون به إلى حياض الموت ، ﴿ قل فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾ (الجمعة ٦ – ٧) وفي أمثال العامة السائرة : أوَ للبط تهددون بالشط ؟ فَهَيِّىء للبلايا جلباباً ، وتدرع للرزايا أثواباً ، فلأظهرن عليكَ منك، ولأفتننّهم[3] فيك عنك ، فتكون كالباحث عن حَتفه بظِلْفه ، والجادع مارنَ

---

١ لي : هددني .

٢ ق لي : تفصيله .

٣ وردت هذه اللفظة بصور مختلفة في النسخ : ن : ولا يقيتهم ؛ ر : ولا نصبهم ؛ لي : ولا يفنيهم ؛ بر من : ولا يقتيهم .

أنفه بكفه ، وما ذلك على الله بعزيز .

وهذه الرسالة نقلت من خط القاضي الفاضل على هذه الصورة ، ورأيت في نسخة زيادة على هذا ، وهي: فاذا وقفت على كتابنا هذا فكن لأمرنا بالمرصاد ، ومن حالك على اقتصاد ، وأقرأ أول النحل وآخر صاد ؛ والصحيح أنه كتبها إلى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، والله أعلم ؛ ورأيت في بعض النسخ زيادة بيت في أول الأبيات الثلاثة ، وهو :

يا للرجال لأمرٍ هالَ مفظعه[1]   ما مر قطُّ على سمعي توقعه

وكتب سنان المذكور مرة أخرى إليه ، وقد جرت بينهما وحشة :

بنا نِلتَ هذا الملك حتى تأثّلت   بيوتُكَ فيها واشمَخرّ عمودها
فأصبحتَ ترمينا بنبل بنا استوى   مغارسها منـا ، وفينا حديدها

وبالجملة فإن محاسن نور الدين كثيرة ؛ وكانت ولادته يوم الأحد عند طلوع الشمس سابع عشر شوال سنة إحدى عشرة وخمسمائة ؛ وتوفي يوم الأربعاء حادي عشر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة ، بقلعة دمشق ، بعلة الخوانيق ، وأشار عليه الأطباء بالفَصْد فامتنع ، وكان مهيباً فما روجع . ودفن في بيت بالقلعة كان يلازم الجلوس فيه والمبيت أيضاً ، ثم نقل إلى تربته بمدرسته التي أنشأها عند باب سوق الخواصين ، وسمعت من جماعة من أهل دمشق يقولون : إن الدعاء عند قبره مستجاب ، ولقد جربت ذلك فصح ، رحمه الله تعالى .

[وذكر شيخنا عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري في تاريخه الكبير الذي سمّاه « الكامل » في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة[2] أن نور الدين المذكور نزل في البقيعة تحت حصن الاكراد في السنة المذكورة محاصراً لحصن الاكراد ، وعازماً على قصد طرابلس وهو في جميع عساكره ، فاجتمع من الفرنج خلق كثير وكبسوهم في النهار والمسلمون في غفلة عنهم ، فلم يتمكنوا

---

١ ق ر لي بر من : مقطعه .
٢ الكامل ١١ : ٢٩٥ – ٢٩٦ .

من الاستعداد لهم وهربوا منهم ، ونجا نور الدين بنفسه وهي وقعة مشهورة معروفة ، ونزل على بحيرة قدس بالقرب من حمص ، وبينه وبين الفرنج مقدار أربعة فراسخ ، فسير إلى حلب وبقية البلاد وأحضروا الأموال الكثيرة وأنفقها ليقوي جيشه ثم يعود إليهم فيستوفي الثار ، فقال له بعض أصحابه : إن في بلادك إدرارات وصدقات وصلات كثيرة على الفقهاء والصوفية والقرّاء ، ولو استعنت بها في هذا الوقت لكان أصلح ، فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال : إني لا أرجو النصر إلا بأولئك، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم ، كيف أقطع صلات قوم يقاتلون عني وأنا نائم على فراشي بسهام لا تخطىء ، وأصرفها إلى من لا يقاتل عني إلا بسهام قد تصيب وتخطىء ؟ وهؤلاء القوم لهم نصيب في بيت المال فكيف يحل أن أعطيه غيرهم ؟][1] .

وكان اسمر اللون طويل القامة حسن الصورة، ليس بوجهه شعر سوى ذقنه .

(245) وكان قد عهد بالملك إلى ولده الملك الصالح عماد الدين إسماعيل وعمره يوم مات أبوه إحدى عشرة سنة ، فقام بالأمر من بعده ، وانتقل من دمشق إلى حلب ودخل قلعتها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة سبعين وخمسمائة ، وخرج السلطان صلاح الدين من مصر ، وملك دمشق وغيرها من بلاد الشام ، ولم يبق عليه سوى مدينة حلب ، ولم يزل الصالح بها إلى أن توفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، وذكروا أنه لم يبلغ عشرين سنة ، والله أعلم . وكان مبدأ مرضه في تاسع شهر رجب من السنة المذكورة ، وحدث له قولنج في مستهل جمادى الأولى ، وكان لموته وقع عظيم في قلوب الناس ، وتأسفوا عليه لأنه كان محسناً محمود السيرة ، ودفن في المقام الذي في القلعة ، ثم نقل إلى رباطه المعروف به تحت القلعة ، وهو مشهور هناك، رحمه الله تعالى .

(246) وتوفي مجير الدين أبق[2] المذكور في سنة أربع وستين وخمسمائة ببغداد،

---

١ لم ترد في النسخ ، وانما اثبتها وستنفيلد .

٢ راجع أخبار مجير الدين في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي .

٧٦١
أبو المرهف النميري

أبو المرهف نصر بن منصور بن الحسن بن جوشن بن منصور بن حميد[١] بن أثال بن ورد[٢] بن عطاف بن بشر بن جندل بن عُبَيْد الراعي بن الحصين بن معاوية بن جندل ابن قطن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نُمَيْر بن عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان ، النميري ، الضرير الشاعر المشهور ؛ قدم بغداد في صباه ، وسكنها إلى حين وفاته ، وحفظ القرآن المجيد ، وتفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، رضي الله عنه ، وسمع الحديث من القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري وأبي البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي وأبي الفضل محمد بن ناصر وغيرهم . وقرأ الأدب على أبي منصور ابن الجواليقي ، وقال الشعر ، ومدح الخلفاء والوزراء والأكابر ، وحدث ، وكان زاهداً ورعاً ، حسن المقاصد في الشعر ، له ديوان شعر .

وذكره العماد الأصبهاني في كتاب « الخريدة » وذكر شيئاً[٣] من شعره ، وأورد نسبه على هذه الصورة وقال : هو الذي أملاه علي .

وعُبيد الراعي المذكور في عمود نسبه هو الشاعر المشهور ، صاحب الديوان الشعر ، وكان بينه وبين جرير مهاجاة[٤] .

---

٧٦١ – ترجمته في الروضتين ٢ : ٢١١ ومرآة الزمان : ٤٢١ ومعجم الأدباء ١٩ : ٢٢٢ والبداية والنهاية ١٢ : ٣٥٣ ومرآة الجنان ٣ : ٤٣٨ ونكت الهميان : ٣٠٠ والنجوم الزاهرة ٦ : ١١٨ والشذرات ٤ : ٢٩٥ وقد جاء نسبه مختصراً في ق .

١ ق : حمدان .

٢ ن : ورز ، ق بر من : وزر ؛ ص : وزرين .

٣ ص ق : أشياء .

٤ وعبيد ... مهاجاة : سقط من ق .

وكان أبو المرهف المذكور قد كف بصره بالجدري وعمره أربع عشرة سنة ، وذكر له العماد في « الخريدة » هذا المقطوع من شعره ، وهو :

ترى يتألفُ الشملُ الصديعُ ... وآمنُ من زماني ما يروعُ
وتأنس بعد وحشتنا بنجدٍ ... منازلُنا القديمةُ والربوع
ذكرتُ بأيمن العلمين عصراً ... مضى والشملُ ملتئمٌ جميع
فلم أملك لدمعي ردَّ غَرْبٍ ... وعند الشوق تعصيك الدموع
ينازعني إلى خنساءَ قلبي ... ودون لقائها بلدٌ شَسُوع
وأخوفُ ما أخاف على فؤادي ... إذا ما أنجد البرقُ اللموع
لقد حُمّلتُ من طول التنائي ... عن الأحباب ما لا أستطيع

وشعره فيه رقة وجزالة ، وكان ببغداد كثير الانقطاع إلى الوزير عون الدين ابن هُبَيرة – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – وله فيه مدائح . وكانت ولادته يوم الثلاثاء بعد العصر ، ثالث عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسمائة بالرقة . وتوفي يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ببغداد ، ودفن بباب حرب ، رحمه الله تعالى [1] .

والنميري : بضم النون وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ، هذه النسبة إلى نُمَير بن عامر المذكور في عمود النسب في أول الترجمة ، والباقي معروف .

---

[1] هنا تنتهي الترجمة في ق .

٧٦٢

ابن قلاقس

أبو الفتوح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلاقس، اللخمي الأزهري الإسكندري، الملقب القاضي الأعز، الشاعر المشهور؛ كان شاعراً مجيداً وفاضلاً نبيلاً [ولم يكن له لحية بل كان سناطاً، وقيل فيه أشعار بسبب ذلك فأضربت عن ذكرها لفحشها][1]. صحب الشيخ الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد السّلفي – المقدم ذكره – وانتفع بصحبته، وله فيه غرر المدائح، وقد تضمنها ديوانه، وكان الحافظ المذكور كثيراً ما يثني عليه ويتقاضاه بديحه[2]، وقصد القاضي الفاضل عبد الرحيم – المقدم ذكره – بقصيدة موسومة أحسن فيها كل الإحسان، وأولها[3]:

ما ضر ذاك الرّيمَ أن لا يَريمْ ... لو كان يرثي لسليم سليمْ
وما على مَن وصله جَنّةٌ ... ألا أرى من صده في جحيم
أعندما همتُ به روضةً ... أعلّ جسمي لأكونَ النسيم
رقيمُ خد نام عن ساهرٍ ... ما أجدر النوم بأهل الرقيم
وكيف لا يصرم ظبيٌ وقدْ ... سممت في النسبة ظبي الصريم
وعاذلٍ دامَ ودام[4] الدجى ... بهيمة نادمتها في بهيم

---

٧٦٢ – ترجمته في الخريدة (قسم مصر) ١ : ١٤٥ والروضتين ١ : ٢٠٥ ومعجم الأدباء ١٩ : ٢٣٦ ومرآة الجنان ٣ : ٣٨٣ وحسن المحاضرة ١ : ٢٤٢ والبداية والنهاية ٢ : ٢٦٩ والشذرات ٤ : ٢٢٤ والبدر السافر، الورقة : ٢١١.

١ زيادة من ص ن ق.

٢ ق ر : بمدحه.

٣ ديوانه : ٩٦.

٤ ق : عاد وعاد.

يغيظني وهو على رِسْله والمرء في غيظ سواه حليم
قلت له لما عدا طوْرَهُ والقلبُ مني في العذاب الأليم
اعذر فؤادي إنه شاعرٌ من حبه في كل واد يهيم
يا رب خمر فَمُه كاسها لم أقتنع من شربها بالشّميم
أتبعت رشفاً قُبلاً عندها وقلت هذا زمزمٌ والحطيم
فافترّ إما عن أقاحي الرُّبا يضحك أو درّ العقود النظيم
أو كان قد قبَّل مستحسناً ما قبل الفاضل عبد الرحيم

وكان كثير الحركات والأسفار ، وفي ذلك يقول[1] :

والناس كثرٌ ولكن لا يُقَدَّر لي إلا مرافقة المـــلاح والحادي

وفي آخر وقته دخل بلاد اليمن ، وامتدح بمدينة عدن أبا الفرج ياسر بن أبي الندى بلال بن جرير المحمدي وزير محمد وأبي السعود ولدي عمران بن محمد بن الداعي سبأ بن أبي السعود بن[2] زريع بن العباس اليامي ، صاحب بلاد اليمن ، فأحسن إليه وأجزل صلته ، وفارقه وقد أثرى من جهته ، فركب البحر ، فانكسر المركب به ، وغرق جميع ما كان معه بجزيرة الناموس بالقرب من دهلك ، وذلك يوم الجمعة خامس ذي القعدة سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، فعاد إليه وهو عريان ، فلما دخل عليه أنشده قصيدته التي أولها[3] :

صدرنا وقد نادى السماح بنا رِدُوا فعُدْنا إلى مغناك والعَوْدُ أحمدُ

وهذه القصيدة من القصائد المختارة ، ولو لم يكن فيها سوى هذا البيت لكفاه ، ثم أنشده بعد ذلك قصيدة يصف فيها غرقه ، وأولها[4] :

---

١ ديوانه : ٣١ .

٢ بن : سقطت من : بر ر من .

٣ ديوانه : ٣٠ .

٤ ديوانه : ٣٨ .

سافرْ إذا حاولت قدرا سار الهلال فصار بدرا
والمـاء يكسب ما جرى طيباً ويخبث ما استقرا
وبنقـلة الدررِ النفيـ سة بُدّلت بالبحر نحرا

ومنها :

يا راوياً عـن ياسرٍ خبراً ولم يعرفه خُبرا
اقرأ بغرة وجهـه صحف المنى إن كنت تقرا
والثم بنان يمينـه وقلِ السلام عليك بحرا
وغلطت في تشبيهـه بالبحر ، فاللهم غَـفْرا
أو ليس نلتُ بذا غِنـًى جـمّاً ونلت بذاك فقرا
وعهدت هـذا لم يزل مداً ، وذاك يعود جَزْرا

وهي قصيدة طويلة أحسن فيها كل الإحسان ، ومعنى البيت الثاني منها مأخوذ من قول بديع الزمان صاحب المقامات – المقدم ذكره في حرف الهمزة – في أول رسالة قد ذكرتها في ترجمته، وهي « الماء إذا طال مكثه، ظهر خبثه » ، والبيت الثالث من هذه القصيدة أيضاً مأخوذ من قول صرّدُرّ الشاعر – المقدم ذكره في حرف العين – وهو[1] :

قـلقِل ركابك في الفلا ودع الغوانيَ للخدورِ
فمحالفـو أوطانهـم أمثالُ سكانِ القبور
لولا التنقل ما ارتقت درر البحور إلى النحور

وله في جارية سوداء ، وهو معنى غريب :

رب سوداء وهي بيضاء معنى نافَـسَ[2] المسكَ عندها الكافورُ
مثلُ حَبّ العيون يحسبه النا سُ سواداً ، وإنمـا هو نور

---

١ ديوان صر در : ٢١٠ .

٢ بر : نافر .

ومحاسن ابن قلاقس نادرة[1] . وكانت ولادته بثغر الإسكندرية يوم الأربعاء رابع شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة . وتوفي ثالث شوال سنة سبع وستين وخمسمائة بعيذاب ، رحمه الله تعالى .

ودخل صقلية في شعبان سنة ثلاث وستين ، وكان وصوله إلى اليمن سنة خمس وستين ، وكان بصقلية بعض القواد ، يقال له القائد أبو القاسم ابن الحجر فاتصل به وأحسن إليه ، وصنف له كتاباً سماه « الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم » وأجاد فيه ، ولما فارق صقلية راجعاً إلى الديار المصرية ، وكان في زمن الشتاء ، ردته الريح إلى صقلية ، فكتب إلى أبي القاسم المذكور[2] :

منع الشتاء من الوصو ل مع الرسول إلى دياري
فأعادني وعلى اختيا ري جاء من غير اختياري[3]
ولربما وقع الحما ر وكان من غرض المكاري

وقَلاقِس : بقافين ، الأولى مفتوحة والثانية مكسورة وبينهما لام ألف وفي آخره سين مهملة ، وهو جمع قلقاس بضم القاف وهو معروف .

واللخمي : تقدم الكلام عليه وكذلك الأزهري .

وعَيْذاب : بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة وبعد الألف باء موحدة ، وهي بليدة على شاطىء بحر جدة ، يعدي منها الركب المصري المتوجه إلى الحجاز[4] ، على طريق قوص ، في ليلة واحدة ، في أغلب الأوقات ، فيصل إلى جدة ، ومنها إلى مكة – حرسها الله تعالى – مسافة

---

١ ص بر من : كثيرة ؛ ر : ونوادره كثيرة .

٢ انظر دراسة عن ابن قلاقس في صقلية في كتاب « العرب في صقلية » ٢٨٧ – ٢٩٥ وقد نقل العماد في الخريدة كثيراً عن كتابه الزهر الباسم (مخطوطة نور عثمانية رقم ٣٧٧٤) .

٣ سقط البيت والذي يليه من ص ن ق .

٤ ص : تعدي منها المراكب إلى الحجاز ؛ ق : يعني يعدي المركب منها إلى الحجاز أعني الركب المصري إذا توجه إلى الحجاز .

يوم ، وبجدة قبر أم البشر حواء ، رضي الله عنها ، على ما يقال ، وقبرها هناك ظاهر يزار .

وياسر المذكور قتله شمس الدولة توران شاه – المقدم ذكره – عند دخوله اليمن .

٧٦٣

ضياء الدين ابن الأثير

أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، المعروف بابن الأثير الجزري ، الملقب ضياء الدين ؛ كان مولده بجزيرة ابني[١] عُمَر ، ونشأ بها ، وانتقل مع والده إلى الموصل [في رجب سنة تسع وسبعين وخمسمائة][٢] وبها اشتغل وحصل العلوم وحفظ كتاب الله الكريم وكثيراً من الأحاديث النبوية وطرفاً صالحاً من النحو واللغة وعلم البيان وشيئاً كثيراً من الأشعار حتى قال في أول كتابه الذي سماه « الوشي المرقوم » ما مثاله : « وكنت حفظت من الأشعار القديمة والمحدثة ما لا أحصيه كثرة ، ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر الطائيين : حبيب بن أوس ، يعني أبا تمام ، وأبي عبادة البحتري ، وشعر أبي الطيب المتنبي ، فحفظت هذه الدواوين الثلاثة ، وكنت أكرر عليها بالدرس مدة سنين ، حتى تمكنت من صَوْغ المعاني ، وصار الإدمان لي خلقاً وطبعاً » وإنما ذكر هذا الفصل في معرض أن المنشىء ينبغي أن يحمل

---

٧٦٣ – ترجمته في ذيل الروضتين : ١٦٩ والحوادث الجامعة : ١٣٦ والبدر السافر ، الورقة : ٢٠٥ ومرآة الجنان ٤ : ٩٧ وعبر الذهبي ٥ : ١٥٦ والشذرات ٥ : ١٨٧ وروضات الجنات : ٦٥٨. وللدكتور زغلول سلام دراسة عنه (القاهرة : مطبعة نهضة مصر) وفيه اشارة إلى مصادر اخرى .

١ هذا هو الوجه الذي اختاره المؤلف دائماً في المسودة ، ولكن النسخ ما عدا بر ظلت تكتبه « ابن عمر » وكذلك ورد في المختار .

٢ زيادة من ر ص ق .

دأبه في التوسّل حَلّ المنظوم ، ويعتمد عليه في هذه الصناعة .

ولما كملت لضياء الدين المذكور الأدوات قصد جناب الملك الناصر صلاح الدين ، تغمده الله برحمته ، في شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، فوصله القاضي الفاضل لخدمة صلاح الدين في جمادى الآخرة من السنة ، وأقام عنده إلى شوال من السنة ، ثم طلبه ولده الملك الأفضل نور الدين من والده ، فخيره صلاح الدين بين الإقامة[1] في خدمته ، والانتقال إلى ولده ويبقى المعلوم الذي قرره له باقياً عليه ، فاختار ولده ، فمضى إليه ، وكان يومئذ شاباً ، فاستوزره ولده الملك الأفضل نور الدين علي — المقدم ذكره — رحمه الله تعالى ، وحسنت حاله عنده .

ولما توفي السلطان صلاح الدين ، واستقل ولده الملك الأفضل بمملكة دمشق، استقل ضياء الدين المذكور بالوزارة وردت أمور الناس إليه ، وصار الاعتماد في جميع الأحوال عليه ، ولما أخذت دمشق من الملك الأفضل وانتقل إلى صرخد— حسبما شرحناه في ترجمته — وكان ضياء الدين قد أساء العشرة مع أهلها ، وهموا بقتله ، فأخرجه الحاجب محاسن بن عجم مستخفياً في صندوق مقفل عليه ، ثم صار إليه[2] ، وصحبه إلى مصر لما استدعي لنيابة ابن أخيه الملك المنصور — وقد تقدم ذكر ذلك كله في ترجمة الملك الأفضل فأغنى عن الإعادة .

ولما قصد الملك العادل الديار المصرية ، وأخذها من ابن أخيه — كما ذكرناه هناك — وتعوض الملك الأفضل البلاد الشرقية ، وخرج من مصر ، لم يخرج ضياء الدين في خدمته ، لأنه خاف على نفسه من جماعة كانوا يقصدونه ، فخرج منها

---

١ ر : المقام ؛ ق : بين خدمته والاقامة عنده .

٢ علق ابن المؤلف هنا بقوله : « قلت اعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : سمعت والدي رحمه الله تعالى يحكي أن الملك العادل لما تسلم قلعة دمشق من ابن أخيه الأفضل تطلب ضياء الدين كثيراً فلم يظفر به ، فلما حصل الشروع في نقل متاع الأفضل وماله من القلعة قال العادل : ما آمن أن يكون المذكور في بعض الصناديق مستخفياً ، فخرج بنفسه وجلس بدركاه القلعة على صندوق من متاع الأفضل وأمر أن يفتح بين يديه كل صندوق يريدون إخراجه ففعل ذلك ، واتفق جلوسه على الصندوق الذي فيه المذكور فلما تكامل نقلهم الصناديق قام العادل مغضباً لكونه ما ظفر به وغفل عن الصندوق الذي كان جالساً عليه وهذا من غريب الاتفاق » .

مستتراً ، وله في كيفية خروجه مستخفياً رسالة طويلة ، شرح فيها حاله ، وهي موجودة في ديوان رسائله ، وغاب عن مخدومه الملك الأفضل مديدة ، ولما استقر الأفضل في سميساط عاد إلى خدمته وأقام عنده مدة ثم فارقه في ذي القعدة من سنة سبع وستمائة ، واتصل بخدمة أخيه الملك الظاهر صاحب حلب - المقدم ذكره - فلم يطل مقامه عنده ولا انتظم أمره، وخرج مغضباً وعاد إلى الموصل فلم يستقم حاله ، فورد إرْبلَ فلم يستقم حاله ، فسافر إلى سنجار ثم عاد إلى الموصل واتخذها دار إقامته واستقر ، وكتب الإنشاء لصاحبها ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه - المقدم ذكره في حرف الهمزة - وأتابكه يومئذ الأمير بدر الدين لؤلؤ أبو الفضائل النوري ، وذلك في سنة ثماني عشرة وستمائة .

ولقد ترددتُ إلى الموصل من إربل أكثر من عشر مرات ، وهو مقيم بها ، وكنت أود الاجتماع به لآخذ عنه شيئاً ، ولما كان بينه وبين الوالد ، رحمه الله تعالى ، من المودة الأكيدة ، فلم يتفق ذلك ، ثم فارقت بلاد المشرق وانتقلت إلى الشام وأقمت به[1] مقدار عشر سنين ، ثم انتقلت إلى الديار المصرية وهو في قيد الحياة ، ثم بلغني بعد ذلك خبر وفاته وأنا بالقاهرة ، وسيأتي تاريخه في أواخر الترجمة إن شاء الله تعالى .

ولضياء الدين من التصانيف الدالة على غزارة فضله وتحقيق نبله ، كتابه الذي سماه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » ، وهو في مجلدين ، جمع فيه فأوعب ، ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره ، ولما فرغ من تصنيفه كتبه الناس عنه ، فوصل إلى بغداد منه نسخة ، فانتدب له الفقيه الأديب عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن حسين بن أبي الحديد المدائني ، وتصدى لمؤاخذته والرد عليه ، وعنته[2] في ذلك ، وجمع هذه المؤاخذات في كتاب سماه « الفلك الدائر على المثل السائر » فلما أكمله وقف عليه أخوه موفق الدين أبو المعالي أحمد ، ويدعى القاسم أيضاً ، فكتب إلى أخيه المذكور قوله :

---

١ ص ر : بها .

٢ ق : وعنفه ؛ ر : وعتبه .

المثــل السائر يا سيدي صنفت فيه الفلك الدائرا
لكن هــذا فلك دائر تصير فيه المثل السائرا

(283) وكانت ولادة عز الدين المذكور بالمدائن يوم السبت مستهل ذي الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة . وتوفي في بغداد سنة خمس وخمسين وستمائة .

(284) وتوفي أخوه موفق الدين المذكور ببغداد ، في سنة ست وخمسين وستمائة ، بعد أن أخذها التتر بقليل . وكانا فقيهين أديبين فاضلين ، لهما أشعار مليحة . ومولد الموفق المذكور في جمادى الآخرة ، وقيل في شهر ربيع الأول ، سنة تسعين وخمسمائة بالمدائن .

وله كتاب « الوشي المرقوم في حل المنظوم » وهو مع وجازته في غاية الحسن والإفادة ، وله كتاب « المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء » ، وهو أيضاً نهاية في بابه ، وله مجموع اختار فيه شعر أبي تمام والبحتري وديك الجن والمتنبي ، وهو في مجلد واحد كبير ، وحفظه مفيد ، وقال أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إربل » : نقلت من خطه ، في آخر هذا الكتاب المختار ما مثاله :

تمتع به علقاً نفيساً فإنه اخـ ـتيار بصير بالأمور حكيمِ
أطاعته أنواع البلاغة فاهتدى إلى الشعر من نَـهْجٍ إليه قويمِ

وله أيضاً ديوان ترسل في عدة مجلدات والمختار منه في مجلد واحد . ومن جملة رسائله ، ما كتبه إلى مخدومه وقد سافر في زمن الشتاء والبرد الشديد : « وينهي أنه سار عن الخدمة ، وقد ضرب الدَّجْنُ فيه مضاربه ، وأسبل عليه ذوائبه ، وجعل كل قرارة حفيراً ، وكل رَبْوة غديراً ، وخط كل أرض خطاً ، وغادر كل جانب شطاً ، كأنــه يوازي يَدَ مولانا في شيمة كرمها ، والتثاث صَوْب ديمها ، والمملوك يستغفر الله من هذا التمثيل ، العاري عن فائدة التحصيل ، وفرق بين ما يملأ الوادي بمائه ، ومن يملأ النادي بنعمائه ، وليس ما ينبت زهراً يذهبه المصيف ، أو تمراً يأكله الخريف ، كمن ينبت ثروة تغوث الأعطاف ، ويأكل المرتبع والمصطاف ، ثم استمر على مسير يقاسي الأرض ووحلها ، والسماء ووبلها ، ولقد جاد حتى أضجر ، وأسرف حتى اتصل بره بالعقوق ، وما خاف

المملوك لمع البوارق كما خاف لمع البروق ، ولم يزل من مواقع قطره في حرب ، ومن شدة برده في كرب ، والسلام » .

ولما سمع صاحبنا الحسام عيسى بن سنجر بن بهرام ، المعروف بالحاجري الإربلي – المقدم ذكره – هذا المعنى ، وهو قوله « ومن شدة برده في كرب » أعجبه ونظم أبياتاً ، ومن جملتها بيت أودعه هذا المعنى ، وهو :

ويلاه من برد رُضابٍ له أشكو إلى العذال منه الحريقْ

ومن وقف على هذا البيت ربما يتشوق[1] إلى الوقوف على بقية الأبيات ، وهي قليلة فلا بأس بذكرها ، وهي[2] :

بين لوي الجزع ووادي العقيق مَن لا إلى السلوان عنه طريقْ
جانٍ جَنى النحلةِ مِنْ ريقه حلو التثني والثنايا رشيق
لو لم تكن وجنته جنةً ما أنبتت ذاك العذارَ الأنيق
ويلاه من بردِ رُضابٍ له أشكو إلى العذال منه الحريق
واعجبا يفعل بي في الهوى ما تفعلُ الأعداء وهو الصديق
روحي فدى الظبي الذي قدُّهُ يفعلُ فعل السمهريّ الدقيق

وقد سبق في ترجمة النفيس القُطْرُسي – في حرف الهمزة[3] – بيت من جملة أبياته الكافيّة يتضمن هذا المعنى ، وهو قوله :

أحرقت يا ثغر الحبيـ ـب حَشاي لما ذُقْتُ بردك

وأصل هذا المعنى لابن التعاويذي – المقدم ذكره – في بيت من جملة قصيدته النونية المشهورة ، وهو :

يذكي الجوى بارد من ثغره شبمٌ ويوقظ الوجد طرف منه وسنانُ

---

١ ر : تشوف ؛ ق ن : تشوق .
٢ ق : وهي مذكورة فنذكرها الآن .
٣ انظر ج ١ : ١٦٤ .

ومن رسائل ضياء الدين ما كتبه عن مخدومه إلى الديوان العزيز من جملة رسالة، وهي : « ودولته هي الضاحكة ، وإن كان نسَبُها إلى العباس ، فهي خير دولة أخرجت للزمن ، كما أن رعاياها خير أمة أخرجت للناس ، ولم يجعل شعارها من لون الشباب إلا تفاؤلاً بأنها لا تهرم ، وأنها لا تزال محبوة من أبكار السعادة بالحب الذي لا يسلى والوصل الذي لا يصرم ، وهذا معنى اخترعه الخادم للدولة وشعارها، وهو مما لم تخطه الأقلام في صحفها، ولا أجالته الخواطر في أفكارها ».

ولعمري ما أنصف ضياء الدين في دعواه الاختراع لهذا المعنى ، وقد سبقه إليه ابن التعاويذي في قصيدته السينية ، التي مدح بها الإمام الناصر لدين الله أبا العباس أحمد أول يوم جلس في دَسْت الخلافة ، وهو يوم الأحد مستهل ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وأول القصيدة[1] :

طافَ يَسْعى بها على الجلاس   كقضيب الأراكِ المَيّــاسِ

ومنها عند المخلص ، وهو المقصود بالذكر هاهنا :

يا نهارَ المشيب من لي وهيها   ت بليل الشبيبــةِ الديماس
حالَ بيني وبين لَهْوي وأطرا   بيَ دهرٌ أحال صبغة راسي
ورأى الغانياتُ شيبي فأعرضْـ   نَ وقلن السوادُ خير لباس
كيف لا يفضل السوادُ وقد أضـ   حى شعاراً على بني العباس

ولا شك أن ضياء الدين زاد على هذا المعنى ، لكن ابن التعاويذي هو الذي فتح الباب وأوضح السبيل ، فسهل على ضياء الدين سلوكه .

وله من جملة رسائله في ذكر العصا التي يتوكأ عليها الشيخ الكبير ، وهو معنى غريب : « وهذا[2] لمبتدأ ضعفي خَبَر ، ولقوس ظهري وتَر ، وإن كان إلقاؤها دليلاً على الإقامة فإن حملها دليل على السفر » . وله في وصف المسلوبين من جملة كتاب يتضمن البشرى بهزيمة الكفار وهو : « فسلبوا وعاضتهم الدماء

---

١ ديوانه : ٢٣٦ .
٢ ق ص ن : وهذه .

عن اللباس ، فهم في صورة عار وزيهم زي كاس ، وما أسرع مـــا خِيطَ لهم لباسُها الحمر ، غير أنه لم يُجَبْ عليهم ولم يزر[1] ، وما لبسوه حتى لبس الإسلام شعار النصر ، الباقي على الدهر ، وهو شعار نسجه السنان الخارق ، لا الصنع[2] الحاذق ، ولم يغب عن لابسه إلا ريثما غابت البيض في الطُلى والهام ، وألف الطعن بين ألف الخط واللام .

وأول هذا الفصل مأخوذ من قول البحتري :

سلبوا وأشرقتِ الدماء عليهمُ   محمرة فكأنهـم لم يسلبوا

وله رسالة يصف فيها الديار المصرية ، وهي طويلة ، ومن جملتها فصل في صفة نيلها وقت زيادته ، وهو معنى بديع غريب ، لم أقف لغيره على أسلوبه ، وهو قوله : « وعذُب رضابه فضاهى جَنَى النحل ، واحمر صفيحه فعلمت أنه قد قَتل المحل » . وهذا المعنى نهاية في الحسن ، ثم إني وجدت هذا المعنى لبعض العرب ، وقد أخذ ضياء الدين منه ، وهو قوله :

لله قلب ما يزال يَرُوعُهُ   برق الغمامة منجداً أو مغورا
ما احمرَّ في الليل البهيم صفيحهُ   متجرداً إلا وقد قتل الكرى

ولقد أحسن في أخذه وتلطف في نقله إلى هذا المعنى ، ومثله قول عبد الله ابن المعتز المقدم ذكره في غلام أرمد :

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم :   من كثرة القتل مَسَّها الوَصَبُ
حُمْرَتها من دماء من قتلت   والدَّمُ في النَّصل شاهد عَجَبُ[3]

---

[1] ق : يجيب ...يزرر .

[2] ص : الصانع .

[3] علق ابن المؤلف عند هذا بقوله : « قلت أعني كاتبها موسى بن احمد لطف الله به : لما أعيد والدي رحمه الله تعالى إلى قضاء دمشق والشام في أول سنة سبع وسبعين وستمائة ورد عليه كتاب السلطان الملك السعيد ابن الملك الظاهر يخبره بوفاء النيل ، وهو أول كتاب ورد عليه وكان من إنشاء تاج الدين أحمد بن الأثير الحلبي رحمه الله وفيه بعد الألقاب المعتادة: لا زالت أيامه =

وله كل معنى مليح في الترسل ، وكان يعارض القاضي الفاضل في رسائله ، فإذا أنشأ رسالة أنشأ مثلها ، وكان بينهما مكاتبات ومجاوبات ، ولم يكن له في النظم شيء حسن ، وسأذكر منه أنموذجاً وهو :

ثلاثة تعطي الفرح كأس وكوب وقدح
ما ذُبِحَ الزق لها إلا وللهم ذَبَحْ

وكان كثيراً ما ينشد :

قلب كفاه من الصبابة أنه لَبّى دعاء الظاعنين وما دُعي
ومن الظنون الفاسدات توهمي بعد اليقين بقاءَه في أضلعي

وهذان البيتان من جملة أبيات للفقيه عمارة اليمني — المقدم ذكره .

ومحاسنه كثيرة ، وقد طال الشرح .

وذكره أبو البركات ابن المستوفي في «تاريخ إربل» وبالغ في الثناء عليه وقال : ورد إربل في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وستمائة ، وكانت ولادته بجزيرة ابني عُمَر في يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ؛ وتوفي في إحدى الجمادَيَين سنة سبع وثلاثين وستمائة ، ببغداد ، وقد توجه إليها رسولاً من جهة صاحب الموصل ، وصلي عليه من الغد بجامع القصر ودفن بمقابر قريش في الجانب الغربي بمشهد موسى بن جعفر ، رضى الله عنهما .

قال أبو عبد الله محمد بن النجار البغدادي في « تاريخ بغداد » : توفي يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة ، وهو أخبر ، لأنه صاحب هذا الفن ، وقد مات عندهم .

= مستفتحة بالهناء وسعادة الآناء واشادة الثناء إذ كان أمل غيره من دهره اشادة البناء؛ نوضح لعلمكم الكريم أننا سطرناها والنيل المبارك بحمد الله قد وفى، وعفى من آمال القانطة ما عفى،ومرعى البلاد خصيب ، والري قد قتل المحل وكفه من دمه خضيب ، والديار المصرية قد تجمع بها اشتات المحاب وغنيت بمواقع نيلها عن تحمل منة السحاب ؛ وقوله في الدعاء : « واشادة الثناء إذ كان أمله من غيره اشادة البناء » فيه معنى قصده يحتاج إلى إيضاح وهو : أن الحاكم المباشر قبل الوالد كان يكثر في مجالسه القول : عمرت في الأوقات كذا وبنيت للأيتام كذا ، والله أعلم ؛ ا هـ » .

وقد تقدم ذكر أخويه : مجد الدين أبي السعادات المبارك ، وأبي الحسن علي الملقب عز الدين ، وكان الإخوة الثلاثة فضلاء نجباء رؤساء ، لكل واحد منهم تصانيف نافعة ، رحمهم الله تعالى[1] .

(285) وكان لضياء الدين المذكور ولد نبيه له النظم والنثر الحسن، وصنف عدة تصانيف نافعة من مجاميع وغيرها ، ورأيت له مجموعاً جمعه للملك الأشرف ابن الملك العادل بن أيوب، وأحسن فيه وذكر فيه جملة من نظمه ونثره ورسائل أبيه ، ومولده بالموصل في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وتوفي بُكرة نهار الاثنين ثاني جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، واسمه محمد ، ولقبه الشرف ، رحمه الله تعالى .

٧٦٤

النضر بن شميل

أبو الحسن النَّضْر بن شميل بن خَرَشَة بن يزيد بن كُلثوم بن عبدة بن زهير السَّكب ، الشاعر ، ابن عروة بن حَليمة[2] بن حُجر بن خُزاعِيّ بن مازن ابن مالك بن عمرو بن تميم ، التميمي المازني النحوي البصري ؛ كان عالماً بفنون من العلم صدوقاً ثقة ، صاحب غريب وفقه وشعر ومعرفة بأيام العرب ورواية الحديث ، وهو من أصحاب الخليل بن أحمد ؛ ذكره أبو عبيدة في كتاب «مثالب أهل البصرة»[3] فقال : ضاقت المعيشة على النضر بن شميل البصري

---

١ وقد تقدم... تعالى: تأخرت هذه الفقرة في ر حتى آخر الترجمة، وبها تنتهي الترجمة في: بر من.

٧٦٤ – ترجمته في نور القبس : ٩٩ – ١٠٤ ومعجم الادباء ١٩ : ١٣٨ وجمهرة ابن حزم : ٢١١ وتذكرة الحفاظ : ٣١٤ وعبر الذهبي ١ : ٣٤٢ ومرآة الجنان ٢ : ٨ وانباه الرواة ٣ : ٣٤٨ ومصادر أخرى في الحاشية ؛ وقد جاءت هذه الترجمة شديدة الإيجاز في المختار .

٢ ق ص : حكيمة ؛ وفي التاج (سكب) : حلمة ؛ وفي شرح البكري على الأمالي : ٤٤١ جلهمة مع أنه في أصلي الكتاب «حليمة» .

٣ ق : مثالب العرب من أهل البصرة .

بالبصرة فخرج يريد خراسان ، فشيعه من أهل البصرة نحو من ثلاثة آلاف رجل، ما فيهم إلا محدث أو نحوي أو لغوي أو عروضي أو أخباري ، فلما صار بالمربد جلس فقال : يا أهل البصرة ، يعز عليّ فراقكم ، ووالله لو وجدت كل يوم كيلجة باقِلّى ما فارقتكم ، قال : فلم يكن أحد فيهم يتكلف[1] له ذلك ، فسار حتى وصل خراسان فأفاد بها مالاً عظيماً ، وكانت إقامته بمَرْو . وقد سبق في أخبار القاضي عبد الوهاب المالكي نظير هذه الحكاية لما خرج من بغداد[2] .

وسمع من هشام بن عُرْوَة وإسماعيل بن أبي خالد وحُميد الطويل وعبد الله ابن عَون وهشام بن حسان وغيرهم من التابعين ، وروى عنه يحيى بن مَعِين وعلي ابن المديني وكل من أدركه من أئمة عصره ، ودخل نيسابور غير مرة وأقام بها زماناً وسمع منه أهلها .

وله مع المأمون بن هارون الرشيد لما كان مقيماً بمرو حكايات ونوادر ، لأنه كان يجالسه ، فمن ذلك ما حكاه الحريري في كتاب « درة الغواص في أوهام الخواص » في قوله[3] : ويقولون هو سَداد من عَوَز ، فيلحنون في فتح السين[4] ، والصواب أن يقال بالكسر : وقد جاء في أخبار النحويين أن النضر بن شُميل المازني استفاد بإفادة هذا الحرف ثمانين ألف درهم ، وساق خبره ، وذكر إسناداً انتهى فيه إلى محمد بن ناصح الأهوازي قال : حدثني النضر بن شميل قال : كنت أدخل على المأمون في سَمَره ، فدخلت ذات ليلة وعليّ ثوب[5] مرقوع ، فقال : يا نضر ، ما هذا التقشف حتى تدخل على أمير المؤمنين في هذه الخُلقان ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، أنا شيخ ضعيف وحَرُّ مَرْو شديد ، فأتبرد بهذه الخُلقان ، قال : لا ، ولكنك قشف ، ثم أجرينا الحديث ، فأجرى هو ذكر النساء فقال : حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما

---

١ ر : يتكفل ؛ بر من : فلم يكن فيهم من يتكلف .

٢ انظر ج ٣ : ٢١٩ — ٢٢٠ .

٣ درة الغواص : ١٠٥ — ١٠٧ .

٤ ق ص ن : في السين بفتحها .

٥ الدرة : قميص .

قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا تزوّج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سَداد من عوَز» فأورده بفتح السين، قال: فقلت: صدق يا أمير المؤمنين هشيم، حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها[1] سِداد من عَوَز» قال: وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً[2]، وقال: يا نضر، كيف قلت سِداد؟ قلت: لأن السَّداد ها هنا لحن قال: أو تـلحّنني؟ قلت: إنما لحن هشيم وكان لحّانة فتبع أميرُ المؤمنين لفظه، قال فما الفرق بينهما؟ قلت: السَّداد، بالفتح، القصد في الدين والسبيل، والسِّداد، بالكسر، البُلغة، وكل ما سددت به شيئاً فهو سِداد، قال: أو تعرف العرب ذلك؟ قلت: نعم، هذا العَرْجي يقول:

أضاعوني وأيَّ فـتًـى أضاعوا ليوم كريهة وسِداد ثـغـرِ

فقال المأمون: قبح الله من لا أدب له، وأطرق مَليّاً ثم قال: ما مالك يا نضر؟ قلت: أُرَيْضة لي بمرو أتصاببها وأتمززها[3]، قال: أفلا نفيدك مالا معها؟ قلت: إني إلى ذلك لمحتاج، قال: فأخذ القرطاس وأنا لا أدري ما يكتب. ثم قال: كيف تقول إذا أمرت أن يترب؟ قلت: أتربه، قال: فهو ماذا، قلت: مُـتْـرَب، قال: فمن الطين؟ قلت: طِنْهُ، قال: فهو ماذا؟ قلت: مَطِين، قال: هذه أحسن من الأولى، ثم قال: يا غلام، أتربه وطنْه، ثم صلى بنا العشاء وقال لخادمه: تبلغ معه إلى الفضل بن سَهْل؛ قال: فلما قرأ الفضل الكتاب[4] قال: يا نضر، إن أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم، فما كان السبب فيه؟ فأخبرته ولم أكذبه، فقال: لحنت أمير المؤمنين؟ فقلت: كلا إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه، وقد تُـتْـبَـع ألفاظُ

---

١ ن ر: فيه.

٢ ر: فجلس.

٣ ق: وأتمورها؛ ص: وأتموزها.

٤ بر من: القرطاس.

الفقهاء ورواة الآثار . ثم أمر لي بثلاثين ألف درهم فأخذت ثمانين ألف درهم بحرف استفيد مني .

والبيت الذي استشهد به هو لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي العرجي الشاعر المشهور ، وهو من جملة أبيات له ، وهي هذه الأبيات[1] :

أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا   ليوم كريهةٍ وسداد ثَغْرِ
وصبر عند مُعْتَرَكِ المنايا[2]   وقد شَرعَت أسِنَّتُها لنَحْري
أُجَرَّر في الجوامع كلَّ يوم   فيالله مَظْلمتي وقَسْري[3]
كأني لم أكن فيهم وسيطاً   ولم تَكُ نسبتي في آل عمرو
عسى الملك المجيبُ لمن دعاهُ   سَيُنجيني فيَعْلم كيف شكري
فأجزي بالكرامة أهل وُدّي   وأجزي بالضغائن أهل وِتْري

[والعرجي : بفتح العين وسكون الراء وفي آخرها جيم ، هذه النسبة إلى العرج ، وهو موضع بمكة سمّي به ؛ وقال ابن الأثير في كتاب «تهذيب النسب»: العرج بين مكة والمدينة ، وليس بمكة ، والله أعلم .

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: لما حبس المنصور عبد الله بن علي كان يكثر التمثل بقول العرجي :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا

فبلغ ذلك المنصور فقال : هو أضاع نفسه بسوء فعله ، فكانت أنفسنا عندنا أبرّ من نفسه . قال إسحاق ، وقال الأصمعي : مررت بكناس بالبصرة يكنس كنيفاً ويغني :

أضاعوني وأي فتًى أضاعوا   ليوم كريهةٍ وسداد ثغرِ

---

١ ديوان العرجي : ٣٤ .
٢ الديوان : وخلوني لمعترك المنايا ؛ ق : فصبراً ؛ ر : وصبري .
٣ الجوامع : جمع جامعة وهي القيد .

فقلت: أما سداد الكنيف فأنت مليّ به، وأما الثغر فلا علم لنا كيف أنت فيه، وكنت حديث السنّ وأردت العبث به، فأعرض عني ملياً، ثم أقبل عليّ متمثلاً يقول:

وأكرمُ نفسي إنني إن أهنتها وحقك لم تكرم على أحد بعدي

فقلت: والله ما يكون من الهوان شيء أكثر مما بذلتها له فقال لي: والله إن من الهوان لشراً مما أنا فيه، فقلت: وما هو؟ قال: الحاجة إليك وإلى أمثالك][1] .

وكان سبب عمله هذه الأبيات أن محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك لما كان والي مكة حبس العرجي المذكور لأنه كان يشبِّبُ بأمه جَيْداء، وهي من بني الحارث بن كعب، ولم يكن ذلك لمحبته إياها، بل ليفضح ولدها المذكور، وأقام في حَبْسِهِ تسع سنين، ثم مات فيه بعد أن ضربه بالسّياط وشهره بالأسواق، فعمل هذه الأبيات في السجن[2] .

[قال إسحاق: وكان الوليد بن يزيد مضطغناً على محمد بن هشام أشياء كانت تبلغه عنه في حياة هشام، فلما ولي الخلافة قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام وأشخصا إليه إلى الشام، ثم دعا بالسياط، فقال له محمد: أسألك بالقرابة، فقال: وأي قرابة بيني وبينك، هل أنت إلا من أشجع؟ قال: فأسألك بصهر عبد الملك، قال: فلم تحفظه؛ قال: يا أمير المؤمنين قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تضرب قريش بالسياط إلا في حد، قال: ففي حدّ أضربك وقود، [أنت ممن سنّ] ذلك على العرجي وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان فما راعيت حق جده ولا نسبته إلى هشام، ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر، وأنا ولي ثأره، اضرب يا غلام، فضربهما ضرباً مبرحاً وأثقلا بالحديد ووجههما إلى يوسف بن عمر بالكوفة وأمر باستقصائهما وتعذيبهما حتى يتلفا،

---

١ زيادة انفردت بها ر، وانظر الأغاني ١ : ٣٩٠ .

٢ وكان سبب ...السجن: هذه الفقرة وقعت في ر بعد الزيادة التالية، ولكننا قدمناها ليطرد السياق؛ وواضح من إيراد الزيادتين معاً أنهما نقل مباشر عن الأغاني .

وكتب إليه : احتبسهما مع ابن النصرانية ، يعني خالداً القسري ، إن عاش أحد منهما ؛ فعذبهما عذاباً شديداً وأخذ منهما مالاً عظيماً ، حتى لم يبق فيهما موضع للضرب ، وكان محمد بن هشام مطروحاً فإذا أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحيته فجذبوه بها ، ولما اشتد الحال بهما تحامل إبراهيم لينظر في وجه محمد فوقع عليه فماتا جميعاً ومات خالد القسري معهما في يوم واحد .

قال إسحاق : غنيت الرشيد يوماً في عُرض الغناء :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسداد ثغر

فقال لي: ما كان سبب العرجي حتى قال الشعر ؟ فأخبرته بخبره من أوله إلى آخره إلى أن مات فرأيته يتغير كلما مرّ به شيء ، فأتبعته بحديث مقتل ابني هشام ، فجعل وجهه يسفر وغضبه يسكن ، فلما انقضى الحديث قال : يا إسحاق والله لولا ما حدّثتني بـه من فعـل الوليد لـما تركت أحداً من بني مخزوم إلا قتلته بالعرجي][1] .

وقد خرجنا عن المقصود ، ونرجع الآن إلى تتمة أخبار النضر بن شميل .

فمن ذلك ما حكاه الحريري في « درة الغواص »[2] أيضاً في أوائـل الكتاب في قوله : ويقولون للمريض[3]: مسَحَ الله ما بك، بالسين، والصواب فيه مَصَحَ ، بالصاد ، فقال : ويحكى أن النضر بن شُمَيل المازني مرض فدخل عليه قوم يعودونه ، فقال له رجل منهم يكنى أبا صالح: مسح الله ما بك ، فقال: لا تقل مسح بالسين ولكن قل مَصَحَ بالصاد ، أي أذهبه وفرقـه ، أما سمعت قول الأعشى :

وإذا ما الخمر فيها أزبدت أفل الإزباد فيها ومصح

فقال له الرجل : إن السين قد تبدل من الصاد ، كما يقال الصراط والسراط ،

١ زيادة انفردت بها ر ، وانظر الأغاني ١ : ٣٩١ – ٣٩٢ .

٢ درة الغواص : ١٤ – ١٥ .

٣ للمريض : سقطت من : ق ن ر .

وسقر وصقر ، فقال له النضر : فإذاً أنت أبو سالح ؛ ويُشبه هذه النادرة ما حكي أيضاً : أن بعض الأدباء جوز بحضرة الوزير أبي الحسن بن الفرات : أن تقام السين مقام الصاد في كل موضع ، فقال له الوزير : أتقرأ ﴿ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ﴾ (الرعد : ٢٣) أم من سلح ؟ فخجل الرجل وانقطع ؛ انتهى كلام الحريري .

قلت أنا : والذي ذكره أرباب اللغة في جواز إبدال الصاد من السين : أن كل كلمة كان فيها سين ، وجاء بعدها أحد الحروف الأربعة — وهي الطاء والخاء والغين والقاف — فيجوز إبدال السين بالصاد ، فنقول في « السراط » الصراط ، وفي « سخر لكم » صخر ، وفي « مسغبة » مصغبة ، وفي « سيقل » صيقل ، وقس على هذا كله . ولم أر في شيء من كتب اللغة من ذكر هذا وحكى فيه خلافاً ، سوى الجوهري في كتاب « الصحاح » في لفظة صدغ[1] ، فإنه قال : وربما قالوا السدغ بالسين ، قال قطرب محمد بن المستنير : إن قوماً من بني تميم يقال لهم بَلعَنْبر يقلبون السين صاداً عند أربعة أحرف ، عند الطاء والقاف والغين والخاء ، إذا كن بعد السين ، ولا يبالي أثانية كانت أم ثالثة أم رابعة ، بعد أن تكون بعدها ، يقولون : سراط وصراط ، وبسطة وبصطة ، وسيقل وصيقل ، وسرقت وصرقت ، ومسغبة ومصغبة ، ومسدغة ومصدغة ، وسخر لكم وصخر لكم ، والسخب والصخب ؛ انتهى كلامه في هذا الفصل .

وأخبار النضر كثيرة ، والاختصار أولى .

وله تصانيف كثيرة ، فمن ذلك[1] : كتاب في الأجناس على مثال « الغريب » وسماه : « كتاب الصفات » . قال علي بن الكوفي : الجزء الأول منه يحتوي على خلق الإنسان والجود والكرم وصفات النساء . والجزء الثاني يحتوي على الأخبية والبيوت وصفة الجبال والشعاب . والجزء الثالث يحتوي على الإبل فقط والجزء الرابع يحتوي على الغنم والطير والشمس والقمر والليل والنهار والألبان والكمأة والآبار والحياض والأرْشيَة والدلاء وصفة الخمر[2] . والجزء الخامس

---

١ الصحاح ٤ : ١٣٢٣ .

٢ انظر انباه الرواة ٣ : ٣٥٢ .   ٣ ص ن : الحمر .

يحتوي على الزرع والكرم والعنب[1] وأسماء البقول والأشجار والرياح والسحاب والأمطار. وله كتاب « السلاح » ، وكتاب « خلق الفرس » وكتاب « الأنواء » وكتاب « المعاني » وكتاب « غريب الحديث » وكتاب « المصادر » وكتاب « المدخل إلى كتاب العين للخليل بن أحمد » ، وغير ذلك من التصانيف .

وتوفي في سلخ ذي الحجة سنة أربع ومائتين ، وقيل في أولها ، وقيل سنة ثلاث ومائتين بمدينة مرو من بلاد خراسان ، وبها ولد ، ونشأ بالبصرة فلذلك نسب إليها ، رحمه الله تعالى .

والنَّضْر : بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وبعدها راء .

وشميل : بضم الشين المعجمة وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام .

وخَرَشة : بفتح الخاء المعجمة والراء والشين المعجمة .

وكُلْثُوم : بضم الكاف والثاء المثلثة وبينهما لام ساكنة .

وعبدة : بفتح العين والدال المهملة وبينهما باء موحدة وهاء ساكنة .

والسكب : بفتح السين المهملة وسكون الكاف وبعدها باء موحدة، وإنما قيل له « سكب » لقوله[2] :

برقٌ يضيء خلال البيتِ أسكوب

وحليمة : بفتح الحاء المهملة وكسر اللام وسكون الياء المثناة من تحتها . وقال ابن الجوزي في كتاب « الألقاب » في ترجمة السكب : هو زهير بن عروة ابن جُلهُمة ، والله أعلم بالصواب .

وجُلهُمة : بضم الجيم والهاء وبينهما لام ساكنة ، وهو في الأصل : اسم لجنب الوادي ، يقال له : جُلهمة ، وجَلهَة : بفتح الجيم والهاء بغير ميم ، وبه سمي الرجل .

وحُجْر : بضم الحاء المهملة وبعدها جيم ساكنة ثم راء .

---

١ والعنب : سقطت من ق : وفي الانباه : والغيث .

٢ انظر التاج (سكب) والسمط : ٤٤١ .

وخُزاعيّ : بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي وبعد الألف عين مهملة مكسورة ثم ياء مشددة تشبه ياء النسب .

والباقي معروف فلا حاجة إلى ضبطه .

٧٦٥

الإمام أبو حنيفة

أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زُوطى بن ماه الفقيه الكوفي ، مولى تيم الله ابن ثعلبة ، وهو من رهط حمزة الزيات ؛ كان خزازاً يبيع الخز ، وجدُّه زوطى من أهل كابُل ، وقيل من أهل بابل ، وقيل من أهل الأنبار ، وقيل من أهل نَسا ، وقيل من أهل ترمذ ، وهو الذي مَسَّه الرق فأعتق ، وولد ثابت على الإسلام .

وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة : أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزُبان ، من أبناء فارس من الأحرار ، والله ما وقع علينا رق قط . ولد جدي[١] سنة ثمانين ، وذهب ثابت إلى علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وهو صغير ، فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته ، ونحن نرجو أن يكون الله تعالى قد استجاب ذلك لعلي فينا ، والنعمان بن المرزبان أبو ثابت هو الذي أهدى لعلي بن أبي طالب، رضي الله عنه، الفالوذج في يوم المهرجان النيروز[٢]،

---

٧٦٥ – مصادر ترجمته اكثر من أن يحاط بها ولكنا نشير إلى تذكرة الحفاظ : ١٦٨ وتاريخ بغداد ١٣ : ٣٢٣ والجواهر المضية ١ : ٢٦ – ٣٢ ومرآة الجنان ١ : ٣٠٩ وعبر الذهبي ١ : ٢١٤ والشذرات ١ : ٢٢٧ والبداية والنهاية ١٠ : ١٠٧ والنجوم الزاهرة ٢ : ١٢ وانظر بروكلمان (الترجمة العربية) ٣ : ٢٣٦ – ٢٤٥ وبهذه الترجمة تبدأ (ع) .

١ ر : جدي ثابت .

٢ ق ن ع ص : مهرجان النيروز ؛ قلت والمهرجان غير النيروز ، وسبب الاضطراب في النسخ وجود الروايتين في تاريخ بغداد .

فقال : مَهْرجُونا[1] كل يوم ، هكذا قال الخطيب في تاريخه ، والله تعالى أعلم .

وأدرك أبو حنيفة أربعة من الصحابة ، رضوان الله عليهم وهم : أنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة ، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة بمكة ، ولم يلق أحداً منهم ولا أخذ عنه[2] ، وأصحابه يقولون : لقي جماعة من الصحابة وروى عنهم ، ولم يثبت ذلك عند أهل النقل . وذكر الخطيب في « تاريخ بغداد »[3] أنه رأى أنس بن مالك ، رضي الله عنه . وأخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان وسمع عطاء بن أبي رباح وأبا إسحاق السبيعي ومحارب بن دثار والهيثم بن حبيب الصوّاف ومحمد بن المنكدر ونافعاً مولى عبد الله بن عمر ، رضي الله عنهما ، وهشام بن عروة وسماك بن حرب ؛ وروى عنه عبيد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح والقاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وغيرهم .

وكان عالماً عاملاً زاهداً عابداً ورعاً تقياً كثير الخشوع دائم التضرع إلى الله تعالى ، ونقله أبو جعفر المنصور من الكوفة إلى بغداد ، فأراده على أن يوليه القضاء فأبى ، فحلف عليه ليفعَلَنّ ، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل [فحلف المنصور ليفعلن ، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل ، وقال : إني لن أصلح إلى قضاء][4] فقال الربيع بن يونس الحاجب : ألا ترى أمير المؤمنين يحلف ؟ فقال أبو حنيفة : أميرُ المؤمنين على كفارة أيمانه أقدرُ مني على كفارة أيماني ، وأبى أن يلي ، فأمر به إلى الحبس في الوقت ، والعوام يدعون أنه تولى عدد اللبن أياماً ليكفر بذلك عن يمنه ، ولم يصح هذا من جهة النقل . وقال الربيع : رأيت المنصور ينازل أبا حنيفة في أمر القضاء ، وهو يقول : اتق الله ، ولا ترعي[5]

---

١ زاد في ع وهامش ص : نيرزونا ، وفي بر من : مهرجونا أي نيرزونا ، وفي تاريخ بغداد – في احدى الروايتين : نورزونا .

٢ ر ص : إلا وأخذ عنه .

٣ ١٣ : ٣٢٤ .

٤ زيادة من المطبوعة المصرية لم ترد في المخطوطات المعتمدة ، وهي واردة في تاريخ بغداد : ٣٢٨ .

٥ هكذا في تاريخ بغداد والنسخ .

أمانتك إلا من يخاف الله ، والله ما أنا مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب ؟ ولو اتجه الحكم عليك، ثم تهددتني أن تغرقني في الفرات أو تلي[1] الحكم لاخترت أن أغرق ، ولك حاشية يحتاجون إلى مَنْ يكرمهم[2] لك ، ولا أصلح لذلك ، فقال له : كذبت أنت تصلح ، فقال له : قد حكمت لي على نفسك ، كيف يحل لك أن تولي قاضياً على أمانتك وهو كذاب ؟

وحكى الخطيب أيضاً في بعض الروايات[3] : أن المنصور لما بنى مدينته ونزلها ، ونزل المهدي في الجانب الشرقي وبنى مسجد الرصافة ، أرسل إلى أبي حنيفة فجيء به ، فعرض عليه قضاء الرصافة فأبى ، فقال له : إن لم تفعل ضربتك بالسياط ، قال : أو تفعل ؟ قال : نعم ، فقعد في القضاء يومين فلم يأته أحد ، فلما كان في اليوم الثالث أتاه رجل صَفّار ومعه آخر ، فقال الصفار : لي على هذا درهمان وأربعة دوانيق ثمن تور صُفر[4] ، فقال أبو حنيفة : اتق الله وانظر فيما يقول الصفّار ، قال : ليس له عليّ شيء ، فقال أبو حنيفة للصفار : ما تقول ؟ فقال : استحلفه لي ، فقال أبو حنيفة للرجل : قل والله الذي لا إله إلا هو ، فجعل يقول ، فلما رآه أبو حنيفة معتمداً على أن يقول قطع عليه وضرب بيده إلى كمه ، فحلّ صرة وأخرج درهمين ثقيلين وقال للصفار : هذان الدرهمان عوض عن باقي تَوْرك ، فنظر الصفار إليها وقال : نعم ، فأخذ الدرهمين ، فلما كان بعد يومين اشتكى أبو حنيفة فمرض ستة أيام ثم مات .

وكان[5] يزيد بن عمر بن هُبَيرة الفَزاري أمير العراقين أراده أن يلي القضاء بالكوفة أيام مروان بن محمد ، آخر ملوك بني أمية ، فأبى عليه فضربه مائة سوط وعشرة أسواط ، كل يوم عشرة أسواط ، وهو على الامتناع ، فلما رأى ذلك خلّى سبيله . وكان أحمد بن حنبل ، رضي الله عنه ، إذا ذكر ذلك بكى وترحم على أبي حنيفة ، وذلك بعد أن ضرب أحمد على القول بخلق القرآن .

---

١ ن ر ص : ألي .

٢ ق : إلى أن يكرموا .

٣ تاريخ بغداد ١٣ : ٣٢٩ .

٤ تور صفر : وعاء نحاس .

٥ تاريخ بغداد ١٣ : ٣٢٧ .

وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة : مررت مع أبي بالكُنَاسة فبكى ، فقلت له : يا أبت ما يبكيك ؟ فقال : يابني ، في هذا الموضع ضرب ابن هُبيرة أبي عشرة أيام ، في كل يوم عشرة أسواط ، على أن يلي القضاء ، فلم يفعل .

والكُنَاسة ، بضم الكاف ، موضع بالكوفة .

[قال الفضل بن غانم : كان أبو يوسف مريضاً شديد المرض فعاده أبو حنيفة مراراً ، فصار إلى آخر مرة ، فرآه ثقيلاً فاسترجع ثم قال : لقد كنت أؤملك بعدي للمسلمين ولئن أصيب الناس بك ليموتن معك علم كثير . ثم رزق العافية وخرج من الغد فأخبر أبو يوسف بقول أبي حنيفة فيه فارتفعت نفسه وانصرفت وجوه الناس إليه فعقد لنفسه مجلساً في الفقه ، وقصر عن لزوم مجلس أبي حنيفة فسأل عنه فأخبر أنه عقد لنفسه مجلساً وأنه يلقي كلامك فيه ، فدعا رجلاً كان له عنده قدر فقال : سر إلى مجلس يعقوب فقل له : ما تقول في رجل دفع إلى قصار ثوباً ليقصره بدرهم فصار إليه بعد أيام في طلب الثوب ، فقال له القصار : ما لك عندي شيء وأنكره ، ثم إن رب الثوب رجع إليه فدفع له الثوب مقصوراً ، أله أجرة ؟ فإن قال لك : له أجرة فقل له أخطأت ، وإن قال : لا أجرة له فقل : أخطأت ؛ فسار إليه وسأله ، فقال أبو يوسف : له أجرة ، فقال : أخطأت ، فنظر ساعة ثم قال : لا أجرة له ، فقال له : أخطأت ، فقام أبو يوسف من ساعته فأتى أبا حنيفة فقال : ما جاء بك إلا مسألة القصار، قال : أجل ، قال : سبحان الله ، من قعد يفتي الناس وعقد مجلساً يتكلم في دين الله وهذا قدره ، لا يحسن أن يجيب في مسألة من الاجارات ؟ فقال : يا أبا حنيفة ، علمني، فقال : إن كان قصره بعد ما غصبه فلا أجرة لأنه قصر لصاحبه؛ ثم قال : من ظن أنه يستغني عن التعلم فليبك على نفسه][1] .

وكان أبو حنيفة حسن الوجه حسن المجلس ، شديد الكرم حسن المواساة لإخوانه ، وكان رَبْعة من الرجال ، وقيل كان طُوالا تعلوه سمرة ، أحسن

---

١ زيادة من ر ، ويبدو أنها مقحمة ، لأن سياق الترجمة حتى هذا الحد كان تلخيصاً مرتباً عن تاريخ بغداد ، وهذه الحكاية تجيء في ص : ٣٤٩ من تاريخ الخطيب .

الناس منطقاً وأحلاهم نغمة .

وذكر الخطيب في تاريخه[1] أن أبا حنيفة رأى في المنام كأنه ينبش قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث مَنْ سأل ابن سيرين ، فقال ابن سيرين : صاحب هذه الرؤيا يثور[2] علماً ، لم يسبقه إليه أحد قبله .

قال الشافعي[3] ، رضي الله عنه ، قيل لمالك : هل رأيت أبا حنيفة ؟ فقال : نعم ، رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته .

وروى حَرْمَلة بن يحيى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال[4] : الناس عيال على هؤلاء الخمسة ، من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة ، وكان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه ، ومن أراد أن يتبحر في الشعر فهو عيال على زهير ابن أبي سلمى ، ومن أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق ، ومن أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي ، ومن أراد أن يتبحر في التفسير فهو عيال على مُقاتل بن سليمان ، هكذا نقله الخطيب في تاريخه .

وقال يحيى بن مَعين : القراءة عندي قراءة حمزة ، والفقه فقه أبي حنيفة ، على هذا أدركت الناس . وقال جعفر بن ربيع : أقمت على أبي حنيفة خمس سنين ، فما رأيت أطول صَمْتاً منه ، فإذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادي ، وسمعت له دَوِيّاً وجَهارة في الكلام .

وكان إماماً في القياس ؛ قال علي بن عاصم[5] : دخلت على أبي حنيفة وعنده حجام يأخذ من شعره ، فقال للحجام : تَتَبَّع مواضع البياض ، فقال الحجام : لا تزد ، فقال : ولم ؟ قال : لأنه يكثر ، قال : فتتبع مواضع السواد لعله يكثر ، وحكيت لشريك هذه الحكاية فضحك وقال : لو ترك أبو حنيفة قياسه لتركه مع الحجام .

---

١ تاريخ بغداد ١٣ : ٣٣٥ .

٢ ق : يثير .

٣ تاريخ بغداد ١٣ : ٣٣٧ — ٣٣٨ .

٤ تاريخ بغداد ١٣ : ٣٤٦ .

٥ تاريخ بغداد ١٣ : ٧٤٧ .

وقال عبد الله بن رجاء[1] : كان لأبي حنيفة جار بالكوفة إسكاف ، يعمل نهاره أجمع ، حتى إذا جنَّه الليل رجع إلى منزله ، وقد حمل لحماً فطبخه أو سمكة فيشويها ثم لا يزال يشرب ، حتى إذا دب الشراب فيه غَرَّد بصوت ، وهو يقول :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم ، وكان أبو حنيفة يسمع جَلَبته كل ليلة ، وأبو حنيفة كان يصلي الليل كله ، ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه ، فقيل : أخذه العَسَسُ منذ ليال وهو محبوس ، فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من غدٍ ، وركب بغلته ، واستأذن على الأمير ، فقال الأمير : ايذنوا له وأقبلوا به راكباً ولا تَدَعُوه ينزل حتى يطأ البساط ببغلته[2] ، ففعل ، ولم يزل الأمير يوسع له في مجلسه ، وقال : ما حاجتك ؟ فقال : لي جار إسكاف أخذه العسس منذ ليال ، يأمر الأمير بتخليته ، فقال : نعم ، وكل من أخذ في تلك الليلة إلى يومنا هذا ، فأمر بتخليتهم أجمعين ، فركب أبو حنيفة والإسكاف يمشي وراءه ، فلما نزل أبو حنيفة مضى إليه وقال : يا فتى أضعناك ؟ فقال : لا ، بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً عن حرمة الجوار ورعاية الحق ، وتاب الرجل ولم يَعُدْ إلى ما كان عليه .

وقال ابن المبارك[3] : رأيت أبا حنيفة في طريق مكة ، وشوي لهم فصيل سمين ، فاشتهوا أن يأكلوه بخلّ فلم يجدوا شيئاً يصبون فيه الخل ، فتحيروا ، فرأيت أبا حنيفة وقد حفر في الرمل[4] حُفْرة وبَسَط عليها السفرة ، وسكب الخل على ذلك الموضع ، فأكلوا الشّواء بالخل ، فقالوا : تحسن كل شيء ، فقال: عليكم بالشكر ، فإن هذا شيء ألهمته لكم فضلاً من الله عليكم .

---

١ انظر القصة في تاريخ بغداد ١٣ : ٣٦٢ والأغاني ١ : ٣٨٩ .

٢ ببغلته : سقطت من ع ر والمختار وتاريخ بغداد .

٣ تاريخ بغداد ١٣ : ٣٦٥ .

٤ ع : الأرض .

[وحكى الحسن بن زياد قال : دفن رجل مالاً في موضع ، ثم نسي في أي موضع دفنه فلم يقع عليه ، فجاء إلى أبي حنيفة فشكا إليه فقال له أبو حنيفة : ما هذا فقه فأحتال لك ، ولكن اذهب فصلِّ الليلة ، ففعل الرجل ، ولم يقم إلا أقلّ من ربع الليل حتى ذكر الموضع ، فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره ، فقال له : قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي حتى يذكرك ، فهلا أتممت ليلتك شكراً لله عز وجل .

وقال ابن شبرمة : كنت شديد الازراء على أبي حنيفة ، فحضر الموسم وكنت حاجاً يومئذ ، فاجتمع إليه قوم يسألونه ، فوقفت من حيث لا يعلم من أنا ، فجاءه رجل فقال : يا أبا حنيفة : قصدتك أسألك عن أمر أهمني وأزعجني قال : وما هو ؟ قال : لي ولد وليس لي غيره ، فإن زوّجته طلق ، وإن سرّيته أعتق ، وقد عجزت عن هذا فهل من حيلة ؟ قال له : نعم اشتر الجارية التي يرضاها لنفسه ثم زوجها منه ، فإن طلق رجعت إليك مملوكتك وإن أعتق أعتق ما لا يملك ، وإن ولدت ثبت نسبه لك ، فعلمت أن الرجل فقيه من يومئذ وكففت عن ذكره إلا بخير][1] .

وقال ابن المبارك أيضاً : قلت لسفيان الثوري : يا أبا عبد الله ، ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة ، ما سمعته يغتاب عدوّاً له قط ، فقال : هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها[2] .

وقال أبو يوسف[3] : دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة ، فقال الربيع صاحب المنصور ، وكان يُعادي أبا حنيفة : يا أمير المؤمنين ، هذا أبو حنيفة يخالف جَدّك ، كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول : إذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو بيومين جاز الإستثناء ، وقال أبو حنيفة : لا يجوز الاستثناء إلا متصلاً باليمين ، فقال أبو حنيفة : يا أمير المؤمنين ، إن الربيع يزعم أنه ليس لك في رقاب جُنْدك بَيْعة ، قال : وكيف ؟ قال : يحلفون لك

---

١ زيادة انفردت بها ر .

٢ وقال ابن المبارك . . . يذهبها : سقط من ع .

٣ تاريخ بغداد : ٣٦٥ .

ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم ، فضحك المنصور وقال : يا ربيع ، لا تتعرّض لأبي حنيفة ، فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع : أردت أن تشيط بدمي ، قال : لا ، ولكنك أردت أن تشيط بدمي فخلصتك وخلصت نفسي .

وكان أبو العباس[1] الطوسي سيء الرأي في أبي حنيفة ، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك ، فدخل أبو حنيفة على المنصور ، وكثر الناس ، فقال الطوسي : اليوم أقتل أبا حنيفة ، فأقبل عليه فقال : يا أبا حنيفة ، إن أمير المؤمنين يدعو الرجل فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو ، أيسعه أن يضرب عنقه ؟ فقال : يا أبا العباس أمير المؤمنين يأمر بالحق أم بالباطل ؟ فقال : بالحق ، قال: أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه ؛ ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه : إن هذا أراد أن يُوثِقني[2] فربطته .

وقال يزيد بن الكميت[3] : كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى ، فقرأ بنا علي بن الحسين[4] المؤذن ليلة في العشاء الأخيرة سورة ﴿ إذا زلزلت ﴾ وأبو حنيفة خلفه ، فلما قضى الصلاة وخرج الناس نظرت إلى أبي حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس ، فقلت : أقوم لا يشتغل قلبه بي ، فلما خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه إلا زيت قليل ، فجئت وقد طلع الفجر وهو قائم وقد أخذ بلحية نفسه، وهو يقول : يا من يجزي بمثقال ذرة خير خيراً، ويا من يجزي بمثقال ذرة شر شراً ، أجِرِ النعمانَ عبدَكَ من النار، وما يقرب منها من السوء، وأدخله في سَعَة رحمتك ، قال : فأذنت[5] وإذا القنديل يزهر وهو قائم ، فلما دخلت قال لي : تريد أن تأخذ القنديل ، قلت : قد أذنت لصلاة الغداة ، فقال: اكتم علي ما رأيت ، وركع ركعتين وجلس حتى أقمت الصلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أوّل الليل .

---

١ المصدر السابق نفسه .
٢ ن ص : يوبقني .
٣ تاريخ بغداد : ٣٥٧ .
٤ ع ر ن ق : الحسن .
٥ ر : فدنوت .

وقال أسد بن عمرو[1] : صلى أبو حنيفة فيما حُفظ عليه صلاة الفجر بوضوء صلاة العشاء أربعين سنة ، وكان عامة ليلة يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة وكان يُسمَع بكاؤه في الليل حتى يرحمه جيرانه ، وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة .

وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه[2] : لما مات أبي سألنا الحسن ابن عمارة أن يتولى غسله ففعل ، فلما غسله قال : رحمك الله وغفر لك ! لم تفطر منذ ثلاثين سنة ، ولم تتوسَّد يمينك في الليل منذ أربعين سنة ، وقد أتعبت مَنْ بعدك ، وفَضحْتَ القراء .

ومناقبه وفضائله كثيرة ، وقد ذكر الخطيب في تاريخه منها شيئاً كثيراً ، ثم أعقب ذلك بذكر ما كان الأليق في تركه والإضراب عنه ، فمثل هذا الإمام لا يشك في دينه ، ولا في وَرَعه وتحفظه[3] ، ولم يكن يُعاب بشيء سوى قلة العربية ، فمن ذلك ما روي أن أبا عمرو بن العلاء المقرىء النحوي – المقدم ذكره – سأله عن القتل بالمثل: هل يوجب القود أم لا ؟ فقال: لا، كما هو قاعدة مذهبه خلافاً للإمام الشافعي رضي الله عنه ، فقال له أبو عمرو : ولو قتله بحجر المنجنيق ، فقال : ولو قتله بأبا قُبَيس ، يعني الجبل المطل على مكة حرسها الله تعالى . وقد اعتذروا عن أبي حنيفة بأنه قال ذلك على لغة من يقول : إن الكلمات الست المعرَبة بالحروف – وهي أبوه وأخوه وحموه وهنوه وفوهُ وذو مال – أن إعرابها يكون في الأحوال الثلاث بالألف ، وأنشدوا في ذلك :

إن أباها وأبا أباها   قد بلغا في المجد غايتاها

وهي لغة الكوفيين ، وأبو حنيفة من أهل الكوفة ، فهي لغته ، والله أعلم . وهذا وإن كان خروجاً عن المقصود لكن الكلام ارتبط بعضه ببعض فانتشر.

وكانت ولادة أبي حنيفة سنة ثمانين للهجرة[4] ، وقيل سنة إحدى وستين ،

---

١ تاريخ بغداد : ٣٥٤ .

٢ المصدر نفسه .

٣ ص ن : ولا في تحفظه .

٤ زاد في ر : وقيل سنة سبعين .

والأول أصح . وتوفي في رجب ، وقيــل في شعبان سنة خمسين ومائة ، وقيل لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى من السنة ، وقيل سنة احدى وخمسين وقيل ثلاث وخمسين ، والأول أصح ؛ وكانت وفاته ببغداد في السجن ليلي القضاء فلم يفعل ، هذا هو الصحيح ، وقيل إنه لم يمت في السجن ، وقيل توفي في اليوم الذي ولد فيه الإمام الشافعي رضي الله عنهما ، ودفن بمقبرة الخيزران ، وقبره هناك مشهور يزار .

وزُوْطَى : بضم الزاي وسكون الواو وفتح الطاء المهملة وبعدها ألف مقصورة ، وهو اسم نبطي .

وكابُل : بفتح الكاف وضم الباء الموحدة بعد الألف وبعدها لام ، وهي ناحية معروفة من بلاد الهند ينسب إليها جماعة من العلماء وغيرهم .

وأما بابل والأنبار فهما معروفان فلا حاجة إلى الكلام عليهما .

(286) وبنى شرف الملك أبو سعد[1] محمد بن منصور الخوارزمي مستوفي مملكة السلطان ملك شاه السلجوقي على قبر الإمام أبي حنيفة مشهداً وقبة ، وبنى عنده مدرسة كبيرة للحنفية ، ولما فرغ من عمارة ذلك ركب إليها في جماعة من الأعيان ليشاهدوها ، فبيناهم هناك إذ دخل عليهمُ الشريف أبو جعفر مسعود المعروف بالبياضي الشاعر – المقدم ذكره – وأنشده :

ألم تر أن العلم كان مُبَدّدا فجمَّعه هذا المغيَّبُ في اللحدِ
كذلك كانت هذه الأرض مَيْتَةً فأنشرها فعلُ العميد أبي سعدِ

فأجازه أبو سعد جائزة سنية .

ولهذا أبي سعد مدرسة بمدينة مرو ، وله عدة رُبُط وخانات في المفاوز ، وكان كثير الخير وعمل المعروف ، وانقطع في آخر عمره عن الخدمة ولزم بيته ، وكانوا يراجعونه في الأمور ، وتوفي في المحرم سنة أربع وستين وأربعمائة بأصبهان ، رحمه الله تعالى .

وكان بناء المشهد والقبة في سنة تسع وخمسين وأربعمائة ، وقد تقدم في ترجمة

---

١ ر : أبو سعيد ، وقد وقع كذلك أحياناً في ق ؛ والشعر يضبطه « أبو سعد » انظر البيتين التاليين .

ألب أرسلان محمد والد السلطان ملك شاه أنه بنى مشهداً على قبر الإمام أبي حنيفة ، وكذلك وجدته في بعض التواريخ ، وقد غاب عني الآن من أين نقلته، ثم وجدت بعد ذلك أن الذي بنى المشهد والقبة أبو سعد المذكور ، والظاهر أن أبا سعد بناهما نيابة عن ألب أرسلان المذكور ، وهو كان المباشر كما جرت عادة النواب مع ملوكهم ، فتسبت العمارة إليه بهذه الطريق ، ويدل على ذلك أن تاريخ العمارة في أيام ألب أرسلان ، وأبو سعد كان مستوفياً في أيامه ، ثم استمر على وظيفته في أيام ولده ملك شاه ، وهذا إنما ذكرته لنجمع بين النقلين ، والله أعلم .

٧٦٦

القاضي النعمان

أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون[١] ، أحد الأئمة الفضلاء المشار إليهم ، ذكره الأمير المختار المسبّحي في تاريخه فقال : كان من أهل العلم والفقه والدين والنبل على ما لا مزيد عليه ، وله عدة تصانيف : منها كتاب «اختلاف أصول المذاهب» وغيره ،انتهى كلام المسبحي في هذا الموضع. وكان مالكي المذهب ثم انتقل إلى مذهب الإمامية ، وصنف كتاب « ابتداء

---

٧٦٦ – ترجمته وأخباره في اتعاظ الحنفا : ١٤٩ ولسان الميزان ٦ : ١٦٧ والنجوم الزاهرة ٤ : ١٠٦ والكندي : ٢٨٦ ومرآة الجنان ٢ : ٣٧٩ والشذرات ٣ : ٤٧ وروضات الجنات : ٧٢٧ ومقدمة كتاب « الهمة في آداب أتباع الأئمة » وكتاب « دعائم الإسلام » وبروكلمان (الترجمة العربية) ٣ : ٣٤١ – ٣٤٢ و Ivanov : A Guide to Ismaili Literature وقد أوجز صاحب المختار فيما اختاره من هذه الترجمة كثيراً .

١ ق ر ن : حيوان .

٢ اختلاف : سقطت من ق ن .

الدعوة للعُبَيديين »[1] وكتاب « الأخبار » في الفقه ، وكتاب « الاقتصار »[2] في الفقه أيضاً .

وقال ابن زولاق في كتاب « أخبار قضاة مصر » في ترجمة أبي الحسن علي بن النعمان المذكور، ما مثاله : وكان أبوه النعمان بن محمد القاضي في غاية الفضل، من أهل القرآن والعلم بمعانيه ، وعالماً بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء واللغة والشعر الفَحْل والمعرفة بأيام الناس ، مع عقل وإنصاف[3] ، وألف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف وأملح سجع ، وعمل في المناقب والمثالب كتاباً حسناً، وله ردود على المخالفين: له رد على أبي حنيفة وعلى مالك والشافعي وعلى ابن سُرَيج ، وكتاب « اختلاف الفقهاء » ينتصر فيه لأهل البيت رضي الله عنهم ، وله القصيدة الفقهية لقبها بالمنتخبة .

وكان أبو حنيفة المذكور ملازماً صحبة المعز أبي تميم معَد بن منصور — المقدم ذكره — ولما وصل من إفريقية إلى الديار المصرية كان معه ، ولم تطل مدته ، ومات في مستهل رجب سنة ثلاث وستين وثلثمائة بمصر . وذكر أحمد بن محمد بن عبد الله الفرغاني في « سيرة القائد جوهر » أنه توفي في ليلة الجمعة سلخ جمادى الآخرة من السنة[4]، وصلى عليه المعز، وذكر ابن زولاق في تاريخه بعد ذكر وفاة المعز وذكر أولاده وقضاة المعز فقال : قاضيه الواصل معه من المغرب أبو حنيفة النعمان بن محمد الداعي ، ولما وصل إلى مصر وجد جوهراً قد استخلف على القضاء أبا طاهر الذهلي البغدادي فأقره ، انتهى كلام ابن زولاق .

(287) وكان والده أبو عبد الله محمد قد عُمّر ، ويحكي أخباراً كثيرة نفيسة حفظها وعمره أربع سنين ، وتوفي في رجب سنة إحدى وخمسين وثلثمائة ، وصلى عليه ولده أبو حنيفة المذكور ، ودفن في باب سلم ، وهو أحد أبواب القيروان ، وكان عمره مائة وأربع سنين .

---

١ نشر باسم « رسالة افتتاح الدعوة » تحقيق الآنسة وداد القاضي (دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٠) .
٢ ع : الانتصار .
٣ ر : مع العقل والإنصاف .
٤ وذكر أحمد . . . السنة : سقط من ع .

(288) وكان لأبي حنيفة أولاد نجباء سروات ، فمنهم أبو الحسن علي بن النعمان[1] ، أشرك المعز المذكور بينه وبين أبي طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بجير بن صالح بن أسامة الذهلي قاضي مصر في الحكم، ولم يزالا مشتركين فيه إلى أن توفي المعز، وقام بالأمر ولده العزيز نزار – وقد تقدم ذكره أيضاً – فرد إلى القاضي أبي الحسن المذكور أمر الجامعين ودار الضرب ، وهما على الاشتراك في الحكم ، واستمرا على ذلك إلى أن لحقت القاضي أبا طاهر المذكور رطوبة عطلت شقه ومنعته من الحركة والسعي إلا محمولاً ، فركب العزيز المذكور إلى الجزيرة التي بين مصر والجيزة في مستهل صفر سنة ست وستين وثلثمائة ، فحمل أبو طاهر إليه ، فلقيه والشهود معه عند باب الصناعة، فرآه نحيلاً، وسأله استخلاف ولده أبي العلاء بسبب ما يجده من الضعف ، فحكي عن العزيز أنه قال : ما بقي إلا أن تقددوه . ثم قلد العزيز ثالث هذا اليوم القاضي أبا الحسن علي بن النعمان المذكور القضاء مستقلاً فركب إلى جامع القاهرة، وقرىء سجله، ثم عاد إلى الجامع العتيق بمصر وقرىء سجله،وكان القارىء أخاه أبا عبد الله محمد ابن النعمان ، وكان في سجله القضاء بالديار المصرية والشام والحرمين والمغرب وجميع مملكة العزيز والخطابة والإمامة والعيار في الذهب والفضة ، والموازين والمكاييل ، ثم انصرف إلى داره في جمع عظيم ، ولم يتأخر عنه أحد ، وأقام القاضي أبو طاهر المذكور منقطعاً في بيته عليلاً ، وأصحاب الحديث يترددون إليه ويسمعون عليه ، إلى أن توفي سلخ ذي القعدة سنة سبع وستين وثلثمائة ، وسنه ثمان وثمانون سنة ، ومدة ولايته ست عشرة سنة وسبعة عشر يوماً ، وأذن له العزيز أيضاً أن ينظر في الأحكام في هذه المدة ، فلم يكن فيه فضل ، وكان قد حكم في الجانب الغربي ببغداد أيضاً مدة ثم انتقل إلى مصر .

ثم إن القاضي أبا الحسن استخلف في الحكم أخاه أبا عبد الله محمداً ، وفوض إليه الحكم بدمياط وتنيس والفرما والجفار، فخرج إليها واستخلف بها ثم عاد ، ثم سافر العزيز إلى الشام في سنة سبع وستين ، وسافر معه القاضي أبو الحسن المذكور ، وجلس أخوه محمد مكانه للحكم بين الناس .

---

1 انظر ترجمته في رفع الاصر : ٤٠٧ .

وكان القاضي أبو الحسن المذكور مفنناً في عدة فنون، منها علم القضاء والقيام به بوقار وسكينة ، وعلم الفقه والعربية والأدب والشعر وأيام الناس ، وكان شاعراً مجيداً في الطبقة العليا ، ومن شعره ما رواه له أبو منصور الثعالبي في كتاب « يتيمة الدهر »[1] وهو قوله :

ولي صديقٌ ما مسني عدم   مذ وقعَتْ عينُه على عدمي
أغنى وأقنى وما يُكلفُني   تَقبيلَ كف له ولا قَدَم
قام بأمري لما قعدتُ به   ونمت عن حاجتي ولم ينَم

وأورد له الثعالبي أيضاً في المعنى[2] :

صديقٌ لي له أدب   صداقةُ مثلِهِ نَسَبُ
رعى لي فوق ما يُرْعى   وأوجب فوق ما يجب
فلو نُقِدَتْ خلائقه   لبُهْرِجَ عندها الذهب

وأورد له أبو الحسن الباخرزي -المقدم ذكره- في كتاب « دمية القصر »[3] وأوردها أيضاً أبو محمد ابن زولاق في كتاب « أخبار قضاة مصر » في ترجمة أبي الحسن المذكور ، أبياتاً أحسن فيها كل الإحسان ، وهي :

رب خَوْدٍ عرفت في عرفات   سلَبَتْني بحُسْنها حسناتي
حَرَّمَتْ حين أحْرَمَتْ نوم عيني   واستباحت حمايَ باللحظات
وأفاضَت معَ الحجيج ففاضَتْ   من جُفوني سوابقُ العَبَرات
ولقد أضْرَمَتْ على القلب جَمراً   محرقاً إذ مشت إلى الجمَرات
لم أنل من مِنى مُنى النفس حتى[4]   خِفْتُ بالخَيْف أن تكون وفاتي

---

١ اليتيمة ١ : ٤٠٠ .
٢ المصدر السابق : ٤٠١ .
٣ لم ترد في المطبوعة .
٤ بر ص : لكن .

ولم يزل أبو الحسن المذكور مستمراً على أحكامه ، وافر الحرمة عند العزيز ، حتى أصابته الحمى وهو بالجامع ينظر في الأحكام ، فقام من وقته ومضى إلى داره، وأقام عليلاً أربعة عشر يوماً، وتوفي في يوم الاثنين لست خلون من رجب[1] سنة أربع وسبعين وثلثمائة ، وأخرج تابوته من الغد إلى العزيز وهو معسكر بسطح الجب عند الموضع المعروف الآن بالبركة ، فوضع التابوت بالمسجد المعروف بالبئر والجيزة ، وسار العزيز إليه من مُخَيَّمِهِ حتى صلى عليه في المسجد ، وردت الجنازة إلى داره بالحمراء فدفن فيها .

والحمراء : محلة بمصر ، وهي ثلاث حمراوات ، وإنما قيل لها الحمراء لنزول الروم بها .

وأرسل العزيز إلى أخيه أبي عبد الله محمد -المذكور في هذه الترجمة- وكان ينوب عن أخيه أبي الحسن كما ذكرنا ، فقال له: إن القضاء لك من بعد أخيك، ولا تخرجه عن هذا البيت .

وكانت مدة ولاية أبي الحسن تسع سنين وخمسة أشهر وأربعة أيام . وكانت ولادته بالمغرب، في شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلثمائة، رحمه الله تعالى.

(289) وأقامت مصر بغير قاض ينظر فيها ثمانية عشر يوماً لأن أبا عبد الله كان مريضاً، ثم خف عنه المرض فركب في وقته إلى معسكر العزيز يوم الخميس لثمان بقين من رجب، ثم عاد من عنده إلى الجامع العتيق بمصر في يوم الجمعة وقد قلده العزيز القضاء وخلع عليه وقلده سيفاً، فلم يقدر على النزول في الجامع لضعفه من العلة ، فسار إلى داره ، ونزل ولده وجماعة من أهل بيته إلى الجامع العتيق بمصر ، وقرىء سجله بعد صلاة الجمعة ، وكان مثل سجل أخيه أبي الحسن في جميع ولايته .

وفي ذي القعدة سنة أربع وسبعين وثلثمائة استخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز على القضاء بالإسكندرية بأمر العزيز ، وخلع عليه العزيز .

وفي يوم الجمعة مستهل جمادى الأولى سنة خمس وسبعين عقد القاضي محمد بن النعمان المذكور نكاح ولده أبي القاسم عبد العزيز المذكور على ابنة القائد أبي

---

١ بر : سادس شهر رجب .

الحسن جوهر – المقدم ذكره في حرف الجيم – وكان العقد في مجلس العزيز ولم يحضره إلا خواصه ، وكان الصداق ثلاثة آلاف دينار، والكتاب ثوباً مصمتاً .

وكان المعز أبو تميم معد والد العزيز المذكور قد تقدم وهو بالمغرب إلى القاضي أبي حنيفة النعمان المذكور في أول الترجمة بعمل اسطرلاب فضة ، وأن يُجْلِس مع الصائغ أحد ثقاته ، فأجلس أبو حنيفة ولده المذكور محمداً ، فلما فرغ الاسطرلاب حمله أبو حنيفة إلى المعز، فقال له : من أجلست معه ؟ فقال: ولدي محمداً ، فقال : هو قاضي مصر ، فكان كما قال ، لأن المعز كانت تحدثه نفسه أبداً بأخذ مصر ، فلهذا تلفظ بهذا الكلام ، ووافقته السعادة مع المقادير .

وقال القاضي محمد المذكور: كان المعز إذا رآني وأنا صبي بالمغرب يقول لولده العزيز: هذا قاضيك . وكان محمد جيد المعرفة بالأحكام مفنناً في علوم كثيرة حسن الأدب والدراية بالأخبار والشعر وأيام الناس ، وله شعر ، فمن ذلك قوله :

أيا مُشْبِهَ البدرِ بدرِ السماء ... لسبعٍ وخمسٍ مضتْ واثنتينِ
ويا كاملَ الحسنِ في نعته ... شَغَلْتَ فؤادي وأسهرت عيني
فهل ليَ من مَطْمعٍ أرتجيه ... وإلا انصرفتُ بخفَّيْ حُنَيـن
ويشمتُ بي شامتٌ في هواك ... ويفصح لي ظلت صفر اليدين
فإما مننت وإما قتلت ... فأنت القديرُ على الحالتين

وكتب إليه عبد الله بن الحسن الجعفري السمرقندي :

تعادلَتِ القضاة علاً فأما ... أبو عبد الإله فلا عديلُ
وحيدٌ في فضائله غريبٌ ... خطيرٌ في مفاخره جليل
تألق بهجةً ومضى اعتزاماً ... كما يتألقُ السيفُ الصقيل
فيقضي والسدادُ له حليفٌ ... ويعطي والغمام له رَسيل
لو اختبرتْ قضاياه لقالوا ... يؤيده عليها جبْرَئيل
إذا رقيَ المنابرَ فهو قسٌّ ... وإن حضر المشاهد فالخليل

فكتب إليه القاضي محمد المذكور : ...

قرأنا من قريضك ما يروقُ   بدائعَ حاكها طبعٌ رقيقُ
كأن سطورها روضٌ أنيقٌ   تضَوّعَ بينها مسكٌ فتيق
إذا ما أنشدت أرِجَت وطابت   منازلها بها حتى الطريق
وإنا تائقون إليك فاعلمْ   وأنت إلى زيارتنا تتوق
فواصِلنا بها في كلِّ يومٍ   فأنت بكلِّ مكرمةٍ حقيق

وقال ابن زولاق في « أخبار قضاة مصر » : ولم نشاهد بمصر لقاض من القضاة من الرياسة ما شاهدناه[1] لمحمد بن النعمان ، ولا بلغنا ذلك عن قاض بالعراق ، ووافق ذلك استحقاقاً ، لما فيه من العلم والصيانة والتحفظ وإقامة الحق والهيبة .

وفي المحرم سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة استخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز المذكور في الأحكام بالقاهرة ومصر على الدوام ، بعد أن كان ينظر فيها يوم الاثنين والخميس لا غير ، فصار يسمع البينات ويحكم ويسجل ، وكان يخلفه أولاً ولد أخيه ، وهو أبو عبد الله الحسين بن علي بن النعمان ، فصرفه لعشر خلون من جمادى الأولى سنة سبع وسبعين، واستخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز المذكور في الاثنين والخميس خاصة .

وارتفعت رتبة القاضي محمد عند العزيز حتى أصعده معه إلى المنبر يوم عيد النحر سنة خمس وثمانين ، ولما توفي العزيز في التاريخ المذكور في ترجمته تولى غسله القاضي محمد المذكور ، وقام بالأمر من بعده ولده الحاكم — المقدم ذكره — فأقر القاضي محمداً على أشغاله ، وزادت منزلته عنده رفعة وبسط يده .

ولما حصلت له المنزلة والمكنة من الدولة كثرت علله ولازمه النقرس والقولنج، فكان أكثر أوقاته عليلاً ، والأستاذ أبو الفتوح برجوان — المقدم ذكره — على جلالته وعظم شأنه يعوده كل وقت ، ثم تزايدت علته وتوفي ليلة الثلاثاء بعد العشاء الآخرة رابع صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة ، وركب الحاكم إلى داره بالقاهرة ، وصلى عليه فيها ووقف على دفنه ثم انصرف إلى قصره .

---

[1] ق ر : ما شهدناه .

وكانت ولادته يوم الأحد لثلاث خلون من صفر سنة أربعين وثلثمائة بالمغرب.

ووهب الحاكم داره لبعض أصحابه ، فنقل القاضي محمد المذكور إلى داره التي بمصر يوم الأربعاء لتسع خلون من شهر رمضان من هذه السنة ، ثم نقل عشية الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان المذكور إلى مقبرة أخيه وأبيه بالقرافة ، رحمهم الله تعالى .

(290) ولما مات القاضي محمد أبو عبد الله المذكور أقامت مصر بغير قاض أكثر من شهر، ثم قلد الحاكم صاحب مصر القضاء أبا عبد الله الحسين بن علي بن النعمان[1] الذي كان ينوب عن عمه القاضي محمد أبي عبد الله المذكور وصرفه واستخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز – وقد تقدم ذكر ذلك في هذه الترجمة – وكانت ولاية الحسين المذكور لست خلون من شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين وثلثمائة ، واستمر في الحكم إلى يوم الخميس سادس عشر شهر رمضان سنة أربع وتسعين ، فصرف بابن عمه أبي القاسم عبد العزيز بن محمد – المقدم ذكره – ثم ضربت عنق الحسين بن علي بن النعمان المذكور يوم الأحد سادس المحرم سنة خمس وتسعين في حجرته، وأحرقت جثته، وذلك بأمر الحاكم، لقصة يطول شرحها[2].

(291) واستقل أبو القاسم[3] في الأحكام ، وضم إليه الحاكم النظر في المظالم ، ولم يجتمعا قبله لأحد من أهله ، وعلت رتبته عند الحاكم وأصعده معه على المنبر يوم عيد الفطر بعد قائد القواد ، وكذلك في عيد النحر ، وتصلب في الأحكام ، وتشدد على من عانده[4] من رؤساء الدولة ، ورسم على جماعة ممن وجب عليه حق فامتنع من الخروج منه . ولم يزل قاضياً في جميع ما فوضه إليه الحاكم ، إلى أن صرفه عن ذلك جميعه يوم الجمعة سادس عشر رجب سنة ثمان وتسعين وثلثمائة .

وفوض القضاء إلى أبي الحسن مالك بن سعيد بن مالك الفارقي ، وأخرجه عن أهل بيت النعمان .

---

١ انظر ترجمة الحسين بن علي في رفع الاصر : ٢٠٧ .

٢ راجع أسباب مقتله في رفع الاصر : ٢١١ .

٣ انظر ترجمة عبد العزيز في رفع الاصر : ٣٥٩ .

٤ ق ع : عازه .

ثم إن الحاكم أمر الأتراك بقتل القاضي أبي القاسم عبد العزيز المذكور والقائد أبي عبد الله الحسين بن جوهر وأبي علي إسماعيل أخي القائد فضل بن صالح ، فقتلوهم ضرباً بالسيوف في ساعة واحدة ، لأمر يطول شرحه ، وذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعمائة ، رحمهم الله تعالى ؛ وكانت ولادة أبي القاسم عبد العزيز المذكور يوم الاثنين مستهل ربيع الأول سنة أربع وخمسين وثلثمائة .

(292) وأما القاضي أبو طاهر المذكور، فقال أبو منصور أحمد بن عبد الله ابن أحمد الفرغاني المصري في تاريخه : إنه كان كثير الرواية حسن المجالسة ، شيخ مع الشيوخ ، كهل مع الكهول ، شاب مع الشباب . وتوفي لليلة بقيت من ذي القعدة سنة سبع وستين وثلثمائة ، رحمهم الله تعالى .

٧٦٧

السيدة نفيسة

السيدة نفيسة ابنة أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين ؛ دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق رضي الله عنه ، وقيل بل دخلت مع أبيها الحسن وإن قبره بمصر لكنه غير مشهور ، وإنه كان والياً على المدينة من قبل أبي جعفر المنصور ، وأقام بالولاية مدة خمس سنين، ثم غضب عليه فعزله واستصفى كل شيء له وحبسه ببغداد، فلم يزل محبوساً حتى مات المنصور وولي المهدي فأخرجه من محبسه ورد عليه كل شيء ذهب له ، ولم يزل معه .

فلما حج المهدي كان في جملته ، فلما انتهى إلى الحاجر مات هناك ، وذلك

٧٦٧ – ترجمتها في الفوات ٢ : ٦٠٧ والنجوم الزاهرة ٢ : ١٨٥ ومرآة الجنان ٢ : ٤٣ وعبر الذهبي ١ : ٣٥٥ والشذرات ٢ : ٢١ وخطط مبارك ٥ : ١٣٥ وحسن المحاضرة ١ : ٢١٨ .

في سنة ثمان وستين ومائة ، وهو ابن خمس وثمانين سنة ، وصلى عليه علي بن المهدي . – والحاجر على خمسة أميال من المدينة – وقيل إنه توفي ببغداد ودفن بمقبرة الخيزُران ، والصحيح أنه مات بالحاجر ، هكذا قاله الخطيب في تاريخه ، والله أعلم .

وكانت نفيسة من النساء الصالحات التقيات ، ويروى أن الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، لمـــا دخل مصر في التاريخ المذكور في ترجمته حضر إليها ، وسمع عليها الحديث وكان للمصريين فيها اعتقاد عظيم ، وهو إلى الآن باق كما كان. ولما توفي الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، أدخلت جنازته إليها وصلت عليه في دارها ، وكانت [مقيمة][1] في موضع مشهدها اليوم ، ولم تزل به إلى أن توفيت في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين . ولما ماتت عزم زوجها المؤتمن إسحاق بن جعفر الصادق على حملها إلى المدينة ليدفنها هناك ، فسأله المصريون بقاءها عندهم ، فدفنت في الموضع المعروف بها الآن بين القاهرة ومصر عند المشاهـــد ، وهذا الموضع كان يعرف يومذاك بدرب السباع ، فخرب الدرب ولم يبق هناك سوى المشهد ، وقبرها معروف بإجابة الدعاء عنده ، وهو مجرب ، رضي الله عنها[2] .

---

١ زيادة من المختار .

٢ هنا ينتهي الجزء الثالث من النسخة ن ويليه الرابع .

تذييـــل

استمرّ الاعتماد في هذا الجزء على المخطوطات التي ذكرت في مقدمة الجزء الرابع ولكنا زدنا عليها مخطوطتين وهما :

(١) مخطوطة آيا صوفيا (رقم : ٣٥٣٣) وقد رمزت لها بالحرف (ص) على أن يتذكر القارىء أنها ليست هي (ص) المذكورة في الجزءين الأول والثاني ، كما أنها ليست من أسرتها، وإنّما الشركة بينهما انتماؤهما إلى مكتبة واحدة وحسب ؛ وتبدأ (ص) بترجمة أبي تميم معدّ (رقم ٧٢٧ ، الصفحة : ٢٢٤ من هذا الجزء) وتقع في ١٩٣ ورقة ، وفي كل صفحة من صفحاتها ٢١ سطراً ، ومعدل الكلمات في السطر الواحد١٢ كلمة ، وخطها نسخي واضح لا بأس بالضبط فيه ، وميزتها الكبرى أنها تمثل الدور الأول من عمل المؤلف ، وتنتهي بتلك الخاتمة التي يعلن فيها أنّه توقف عن عمله دون أن يتمّ حرف الياء وأن لديه مسودات أخرى أعدّها لكتاب مطوّل يكون في أكثر من عشرة أسفار ، وهذا يعني أن آخر ترجمة فيها هي ترجمة يحيى بن خالد البرمكي ؛ والنسخة ليست مؤرخة وعلى الورقة الأولى أنها الجزء الرابع من الوفيات ، وقد كتب عليها تملك واحد « تملكه الفقير إلى الله تعالى محمد بن علي بن عمر الصفدي الحنفي عفا الله عنه بالشراء الشرعي من القاضي بهاء الدين بن أبي سالم الحموى » .

(٢) مخطوطة نور عثمانية (رقم : ٣٠٧٦) ورمزها (ع) وتبدأ بترجمة الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت (رقم : ٧٦٥ ، الصفحة : ٤٠٥

من هذا الجزء) وهي في ٣٠٨ ورقات ، في كل صفحة من صفحاتها ٢٥ سطراً ، ومعدل الكلمات في السطر الواحد ١١ كلمة ؛ والخط أيضاً نسخي واضح ، ونسبة الضبط حسنة ؛ وهي تحوي تراجم الكتاب حتى آخره حسب الشكل الأخير الذي وضعه فيه مؤلفه ، وقد نسخت سنة ٧٢٥ على يد علي بن جمعة بن أبي الحسن بن حسان، ثم بخط مختلف أنها قوبلت بالنسخة التي في الخزانة العالية المولوية السلطانية الملكية المؤيدية في أوقاتٍ آخرها العشرين (؟) من ذي القعدة سنة ثماني وعشرين وسبعمائة بحسب الطاقة .

محتويات الكتاب

تتمة حرف الميم

٦٨١ محمد بن علي بن فارس بن علي ، أبو الغنائم ابن المعلم الواسطي الشاعر ٥
٦٨٢ محمد بن يوسف بن محمد بن قائد ، أبو عبد الله موفق الدين البحراني الشاعر ٩
٦٨٣ محمد بن علي بن شعيب ، أبو شجاع فخر الدين ابن الدهان الفرضي ١٢
٦٨٤ محمد بن نصر بن الحسين بن عنين ، أبو المحاسن شرف الدين الأنصاري الشاعر ١٤
٦٨٥ محمد (نزار) ، أبو القاسم القائم ابن المهدي عبيد الله ١٩
٦٨٦ محمد بن المعتضد بالله عباد بن الظافر ، أبو القاسم المعتمد على الله ملك الأندلس ٢١
٦٨٧ محمد بن معن بن محمد بن أحمد ، أبو يحيى المعتصم بن صمادح الأندلسي ٣٩
٦٨٨ محمد بن عبد الله بن تومرت ، أبو عبد الله المنعوت بالمهدي الهرغي ٤٥
٦٨٩ محمد بن أبي محمد طغج بن جف بن يلتكين أبو بكر الأخشيد ٥٦
٦٩٠ محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ، أبو طالب ركن الدين طغرلبك ٦٣

٦٩١ محمد بن جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق ، أبو شجاع عضد الدولة ألب أرسلان ٦٩
٦٩٢ محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان ، أبو شجاع غياث الدين السلجوقي ٧١
٦٩٣ محمد بن أبي الشكر أيوب بن شاذي بن مروان ، أبو بكر الملك العادل سيف الدين ٧٤
٦٩٤ محمد ابن الملك العادل الأيوبي ، أبو المعالي الملك الكامل ناصر الدين ٧٩
٦٩٤ب محمد بن أبي بكر ، أبو المعالي الملك الكامل ناصر الدين ٨٩
٦٩٥ محمد بن عبد الله بن طاهر ، أبو العباس الخزاعي ٩٢
٦٩٦ محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة ، أبو جعفر ابن الزيات الوزير ٩٤
٦٩٦ب الوزير أبو جعفر ابن الزيات ١٠١
٦٩٧ محمد بن أبي عبد الله الحسين بن محمد الكاتب ، أبو الفضل ابن العميد ١٠٣
٦٩٨ محمد بن علي بن الحسين بن مقلة ، أبو علي الكاتب ١١٣
٦٩٩ محمد بن محمد بن بقية بن علي ، أبو الطاهر الوزير ١١٨
٧٠٠ محمد بن علي بن خلف ، أبو غالب فخر الملك الوزير ١٢٤
٧٠١ محمد بن محمد بن جهير ، أبو نصر فخر الدولة مؤيد الدين الموصلي الوزير ١٢٧
٧٠٢ محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله ، أبو شجاع ظهير الدين الروذراوري ١٣٤
٧٠٣ محمد بن منصور بن محمد ، أبو نصر عميد الملك الكندري ١٣٨
٧٠٤ محمد بن علي بن أبي منصور ، أبو جعفر جمال الدين الجواد الأصبهاني الوزير ١٤٣

٧٠٥ محمد بن صفي الدين أبي الفرج محمد بن نفيس الدين أبي الرجا حامد ، أبو عبد الله عماد الدين الكاتب الأصبهاني ١٤٧
٧٠٦ محمد بن محمد بن طرخان بن اوزلغ ، أبو نصر الفارابي ١٥٣
٧٠٧ محمد بن زكريا الرازي ، أبو بكر الطبيب المشهور ١٥٧
٧٠٨ محمد بن موسى بن شاكر ، أبو عبد الله ١٦١
٧٠٩ محمد بن جابر بن سنان ، أبو عبد الله البتّاني الحاسب ١٦٤
٧١٠ محمد بن محمد بن يحيى بن إسماعيل ، أبو الوفاء البوزجاني المهندس ١٦٧
٧١١ محمود بن عمر بن محمد بن عمر ، أبو القاسم الزمخشري ١٦٨
٧١٢ محمود بن علي بن أبي طالب بن عبد الله ، أبو طالب القاضي الأصبهاني ١٧٤
٧١٣ محمود بن ناصر الدولة أبي منصور سبكتكين ، أبو القاسم يمين الدولة وأمين الملة ١٧٥
٧١٤ محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب ارسلان ، أبو القاسم مغيث الدين السلجوقي ١٨٢
٧١٥ محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر ، أبو القاسم الملك العادل نور الدين ١٨٤
٧١٦ مروان بن أبي حفصة سليمان بن يحيى ، أبو السمط وقيل أبو الهندام ، الشاعر المشهور ١٨٩
٧١٧ مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد ، أبو الحسين النيسابوري صاحب الصحيح ١٩٤
٧١٨ مسعود بن محمد بن مسعود بن طاهر ، أبو المعالي قطب الدين الطريثيثي ١٩٦
٧١٩ مسعود بن عبد العزيز بن المحسن بن الحسن ، الشريف أبو جعفر البياضي الشاعر ١٩٧

٧٢٠ مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان ، أبو الفتح غياث الدين السلجوقي ٢٠٠
٧٢١ مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر ، أبو الفتح وأبو المظفر عز الدين صاحب الموصل ٢٠٣
٧٢٢ مطرف بن مازن ، أبو أيوب الصنعاني ٢٠٩
٧٢٣ المظفر بن أبي الحسين ازدشير بن أبي منصور العبادي ، أبو منصور قطب الدين الواعظ المروزي ٢١٢
٧٢٤ مظفر بن إبراهيم بن جماعة بن علي ، أبو العز موفق الدين العيلاني المصري ٢١٣
٧٢٥ معاذ بن مسلم ، أبو مسلم الهرّا النحوي الكوفي ٢١٨
٧٢٦ المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد ، القاضي أبو الفرج النهرواني المعروف بابن طرارا الجريري ٢٢١
٧٢٧ معدّ بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله ، أبو تميم المعز لدين الله العبيدي ٢٢٤
٧٢٨ معدّ بن الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بن العزيز ، أبو تميم المستنصر بالله العبيدي ٢٢٩
٧٢٩ معروف بن فيروز (وقيل الفيروزان ، وقيل علي) ، أبو محفوظ الكرخي الصالح المشهور ٢٣١
٧٣٠ المعزّ بن باديس بن المنصور بن بلكين الحميري الصنهاجي ٢٣٣
٧٣١ معمر بن المثنى ، أبو عبيدة البصري النحوي ٢٣٥
٧٣٢ معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة ، أبو الوليد الشيباني ٢٤٤
٧٣٣ مقاتل بن سليمان بن بشير ، أبو الحسن صاحب التفسير ٢٥٥
٧٣٤ مقاتل بن عطية بن مقاتل البكري الحجازي ، أبو الهيجاء شبل الدولة ٢٥٧

٧٣٥ المقلد بن المسيب بن رافع بن المقلّد ، أبو حسان حسام الدولة العقيلي ٢٦٠
٧٣٦ مقلد بن نصر بن منقذ أبو المتوج مخلص الدولة الكناني ٢٦٩
٧٣٧ مكي بن أبي طالب بن حموش بن محمد ، أبو محمد المقرىء ٢٧٤
٧٣٨ مكي بن ريان بن شبة بن صالح ، أبو الحرم الماكسيني النحوي ٢٧٨
٧٣٩ مكحول بن عبد الله ، أبو عبد الله الشامي ٢٨٠
٧٤٠ ملكشاه بن ألب ارسلان محمد بن داود بن ميكائيل ، أبو الفتح جلال الدولة السلجوقي ٢٨٣
٧٤١ منصور بن إسماعيل بن عمر ، أبو الحسن التميمي المصري الفقيه ٢٨٩
٧٤٢ المنصور بن العزيز بن المعزّ بن المنصور ، أبو علي الحاكم بأمر الله العبيدي ٢٩٢
٧٤٣ المنصور بن المستعلي بن المستنصر بن الظاهر ، أبو علي الآمر بأحكام الله العبيدي ٢٩٩
٧٤٤ مودود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر ، قطب الدين الأعرج ٣٠٢
٧٤٥ مؤرج بن عمرو بن الحارث بن ثور ، أبو فيد السدوسي النحوي ٣٠٤
٧٤٦ موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ، أبو الحسن ٣٠٨
٧٤٧ موسى بن أبي الفضل يونس بن محمد بن منعة ، أبو الفتح كمال الدين ٣١١
٧٤٨ موسى بن نصير ، أبو عبد الرحمن ٣١٨
٧٤٩ موسى ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ، أبو الفتح الملك الأشرف مظفر الدين ٣٣٠
٧٥٠ موسى بن عبد الملك بن هشام ، أبو عمران الأصبهاني ٣٣٧
٧٥١ موهوب بن أبي طاهر أحمد بن محمد بن الخضر ، أبو منصور الجواليقي ٣٤٢

٧٥٢ المؤيد بن محمد بن علي ، أبو الحسن رضي الدين النيسابوري ٣٤٥
٧٥٣ المؤيد بن محمد بن علي بن محمد ، أبو سعيد الألوسي الشاعر ٣٤٦
٧٥٤ المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق بن صبح ، أبو سعيد ٣٥٠
٧٥٥ مهيار بن مرزويه ، أبو الحسن الديلمي ٣٥٩

حرف النون

٧٥٦ نافع مولى عبد الله بن عمر ، أبو عبد الله ٣٦٧
٧٥٧ نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، أبو رويم أحد القراء السبعة ٣٦٨
٧٥٨ ناصر بن أبي المكارم عبد السيد بن علي ، أبو الفتح المطرزي ٣٦٩
٧٥٩ نزار بن المعز بن المنصور بن القائم ، أبو المنصور العزيز بالله العبيدي ٣٧١
٧٦٠ نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون ، أبو القاسم الخبزأرزي ٣٧٦
٧٦١ نصر بن منصور بن الحسن بن جوشن ، أبو المرهف النميري ٣٨٣
٧٦٢ نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي ، أبو الفتوح ابن قلاقس ٣٨٥
٧٦٣ نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد ، أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير الجزري ٣٨٩
٧٦٤ النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد ، أبو الحسن التميمي النحوي البصري ٣٩٧
٧٦٥ النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه ، الإمام أبو حنيفة ٤٠٥
٧٦٦ النعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور ، أبو حنيفة القاضي النعمان ٤١٥
٧٦٧ نفيسة ابنة أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ٤٢٣

فهرست التّراجم العارضة

204	الظافر محمد بن إسماعيل القاضي (جد المعتمد ملك الأندلس)	٢٢
205	المعتضد بالله أبو عمرو عباد بن الظافر (والد المعتمد ملك الأندلس)	٢٣
206	أبو بكر ابن اللبانة	٣٩
207	محمد بن أحمد بن صمادح (جد المعتصم الأندلسي)	٣٩
208	معن بن محمد (والد المعتصم بن صمادح الأندلسي)	٤٠
209	جفّ بن يلتكين (جد أبي بكر الأخشيد)	٥٦
210	طغج بن جف (والد أبي بكر الأخشيد) .	٥٧
211	أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بن جف	٦٠
212	تكين (أبو منصور الخزري)	٦٢
213	أحمد بن كيغلغ	٦٢
214	إبراهيم بن كيغلغ	٦٣
215	إسحاق بن إبراهيم بن كيغلغ	٦٣
216	شهاب الدولة قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق	٧١
217	فاطمة ابنة السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي	٧٣
218	الملك المسعود (ابن الملك الكامل الأيوبي)	٨٣
219	الملك العادل سيف الدين أبو بكر (ابن الملك الكامل الأيوبي)	٨٤
220	الملك المغيث (ابن الملك العادل الأيوبي)	٨٦

221 (الملك) العزيز فخر الدين عثمان (ابن الملك المغيث الأيوبي) ٨٧
222 الملك المسعود نجم الدين خضر ابن الملك الظاهر ٨٧
223 ذو الكفايتين أبو الفتح ابن العميد ١١٠
224 أبو حيان علي بن محمد التوحيدي ١١٢
225 أبو عبد الله الحسن بن علي بن مقلة ١١٧
226 ابن رائق ١١٨
227 أبو الحسين زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ١٢٢
228 يحيى بن زيد ١٢٣
229 أبو الحسن الأنباري ١٢٤
230 عميد الدولة شرف الدين أبو منصور محمد (ولد ابن جهير الوزير) ١٣١
231 بنت نظام الملك ١٣٤
232 رئيس الرؤساء أبو القاسم ابن فخر الدولة (ابن جهير) ١٣٤
233 أبو الحسن علي جلال الدين (ولد الجواد الأصفهاني) ١٤٦
234 أبو بشر متى بن يونس ١٥٣
235 محمد بن عبد الملك الفارقي ١٥٦
236 أبو صالح منصور بن نوح الساماني ١٦٠
237 أبو محمد نوح بن نصر السّاماني ١٦١
238 أبو الحسن نصر بن إسماعيل السّاماني ١٦١
239 أبو إبراهيم اسماعيل بن أحمد السّاماني ١٦١
240 أحمد بن أسد بن سامان ١٦١

241	سبكتكين أبو منصور	١٧٥
242	محمد بن محمود بن سبكتكين	١٨١
243	الأمير مسعود أبو سعيد بن محمود بن سبكتكين	١٨١
244	محمد شاه بن محمود بن محمد بن مغيث الدين السلجوقي	١٨٣
245	الملك الصالح عماد الدين إسماعيل (ولد الملك العادل نور الدين)	١٨٨
246	مجير الدين ابق	١٨٨
247	مروان الأصغر (أبو السمط مروان ابن أبي الجنوب ابن مروان الأكبر الشاعر)	١٩٣
248	أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد الذهلي النيسابوري	١٩٥
249	الملك القاهر عز الدين أبو الفتح مسعود	٢٠٨
250	الملك المنصور عماد الدين زنكي	٢٠٨
251	نور الدين ارسلان شاه (ولد عز الدين مسعود)	٢٠٨
252	ناصر الدين محمود (ولد عز الدين مسعود)	٢٠٨
253	بهلوان بن الذكر	٢٠٨
254	شمس الدين الذكر الأتابك	٢٠٨
255	قزل بن الذكر	٢٠٩
256	أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي	٢١١
257	أبو السري سهل بن أبي غالب الخزرجي الشاعر	٢٢١
258	الحوفزان بن شريك الشيباني	٢٥٤
259	العباس بن عمرو الغنوي	٢٦٢
260	معتمد الدولة أبو المنيع قرواش الأمير	٢٦٣
261	أبو جوثة (عم الأمير قرواش)	٢٦٥

262 الطاهر الجزري (من شعراء الدمية) ٢٦٥
263 مدلويه (الرشيد أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الشاعر المعروف بابن النابلسي) ٢٦٦
264 زعيم الدولة بركة بن المقلد ٢٦٧
265 أبو المعالي قريش بن أبي الفضل بدران بن المقلد ٢٦٧
266 شرف الدولة أبو المكارم مسلم بن قريش ٢٦٧
267 أبو عبد الله محمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش ٢٦٨
268 أبو الحارث مهارش بن المجلي بن عليب العقيلي ٢٦٩
269 أبو الغيث منقذ بن نصر بن منقذ ٢٧٣
270 أبو الطيب عبد المنعم بن غلبون المقرىء المصري ٢٧٧
271 أبو عطاء مرزوق السندي الشاعر ٢٨٢
272 أبو شجاع الراهب ٢٩٩
273 بردويل الأفرنجي ٣٠١
274 الشيخ رضي الدين القزويني ٣١٧
275 علم الدين تعاسيف (قيصر بن عبد الغني) ٣١٨
276 نصير (والد موسى بن نصير) ٣١٩
277 الكمال ابن النبيه ٣٣٦
278 المهذب محمد بن أبي الحسين بن يمن المعروف بابن الأردخل الموصلي الشاعر ٣٣٦
279 محمد بن المؤيد الألوسي الشاعر ٣٤٨
280 أبو فراس المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة ٣٥٤

١ سقط الرقم 272 من موضعه .

281	الشريف أبو محمد الحسن بن محمد بن علي العلوي الحسيني النقيب	٣٥٦
282	الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخطيب	٣٧١
283	عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المدائني	٣٩٢
284	موفق الدين أبو المعالي أحمد (أخو عز الدين ابن أبي الحديد)	٣٩٢
285	الشرف محمد بن ضياء الدين ابن الأثير	٣٩٧
286	شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي	٤١٤
287	أبو عبد الله محمد (والد القاضي النعمان)	٤١٦
288	أبو الحسن علي بن النعمان (ولد القاضي النعمان)	٤١٧
289	أبو عبد الله محمد (ولد القاضي النعمان)	٤١٩
290	أبو عبد الله الحسين بن علي بن النعمان	٤٢٢
291	أبو القاسم عبد العزيز بن محمد	٤٢٢
292	القاضي أبو الطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله الذهلي	٤٢٣

Ibn Khallikān

WAFAYĀT EL - A'YĀN

(Biographies of Illustrious Men)

Edited by

Ihsān Abbās, Ph. D.

Vol V

Dar SADER, publishers
P. O. B. 10
BEIRUT, Lebanon